جامعة الجزائر

نيابة الدراسات العليا

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم التاريخ

السلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين (445هـ - 541هـ / 1056م-1147م)

- ابن رشد الجد أنموذجا (520هـ / 1126م) -

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة:

هارون فاطيمة

تحت إشراف:

د. سامية أبو عمران

أعضاء لجنة المناقشة:

أ. د. محمد الأمين بلغيث	رئيسا
د. سامية أبوعمران	مقررا
د. خالد الكبير علال	عضوا
د. لطيفة بن عميرة	عضوا

السنة الجامعية

2009 – 2008



كلمة شكـــــــر

بعدما وفقني اللّه تعالى في إتمام هذه الرسالة، أتقدم بالشكر الجزيل إلى الذين قدموا لي يد العون من قريب أو من بعيد بتوجيهاتهم ونصائحهم وحتى بدعائهم.

وأخص بالذكر الأستاذة الدكتورة المشرفة سامية أبو عمران على جميع التوجهات والنصائح والتصحيحات التي لولاها لما كانت هذه الرسالة كما هي عليها الآن.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث الذي وجهني إلى اختيار الموضوع، وأحالني على الكثير من المصادر والمراجع القيمة.

كما أشكر جميع عمال المكتبات الذي قدموا لي يد العون في اقتناء بعض المصادر والمراجع النادرة بالمكتبة الوطنية الحامة وفرانز فانون والمكتبة الجامعية ومكتبة المجلس الإسلامي الأعلى.

وفي الختام أشكر جميع أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة الموضوع.

الإهـــــداء

أهدي ثـمرة جهدي وتعبي إلى الذين قال فيهما اللّه سبحانه وتعالى:

"وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا"

والديّ العزيـزين

اللذين باركا عملي هذا بدعائهما وصبرهما الجميل عليّ

إلى زوجي الذي كان على قدر المسؤولية وقاسمني العناء النفسي الكبير

إلى جميع أفراد أسرتي الأولى والثانية كلّ واحد باسمه

دون أن أنسى عميّ ابن خالتي، وعائلتهما

إلى جميع طلبة الدفعة المتميزة 2005 / 2006.

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

مقدمــة:

كانت الأندلس أو الغصن الرطيب كما سماها المؤرخ الجزائري شهاب الدين المقري حاضرة من حواضر العالم الإسلامي و حافظة للمغرب من غارات الإمارات المسيحية المحاذية لها ، و في الوقت نفسه كانت من أهم الحواضر محافظة علـى مـنهج الـسلف الصالح و مذهب أهل المدينة رسـول ا صلى عليه و سلم " المذهب المالكي "، كما أنه على طول تاريخـها كان الجانب الديني من بناء الدولـة و المجتمـع فيهـا مـن أهـم المميزات الظاهرة ، بالرغم من أنه جزء لا يتجزأ من حياة الناس في كل بلد إسلامي آخر و أن الحاكم و المحكومين كانوا يتحرون جهد الطاقة أن تكون تصرفاتهم مطابقة لتعـاليم الدين أو متماشية معه على الأقل ، لكن الجدير بالملاحظة أن ذلك الالتزام بالأنـدلس لـم يترك لضمير الحكام و تصرفاتهم و إنما أخذ شكلا واقعيا في صورة فقهـاء وعلمـاء يقفون إلى جانب الحاكم و يشاركونه في الحكم بصورة فعلية بحيث يبدو أمام العامة على الأقل أن الجانب الديني من أعمال الدولة ، يشرف عليه رجال ديـن عـارفون بـشؤون العقيدة و أن لا خوف نتيجة ذلك من انحراف الدولة عن قواعد الدين الحنيف خاصة على عهد المرابطين أين ارتبطـت السلطة السياسية بالـسلطة العلميـة " الفقهيـة المالكيـة " ارتباطا وثيقا لم نلمسه في أي فترة من فترات التاريـخ الإسلامي ، فلقد أدى العلماء فـي العصر المرابطي بالأندلس دورا هاما نظـرا للتقاليد الأندلسية التي كانت تقرب العلمـاء وخاصة رجال الفقه ، و من هنا فإن مكانة علماء الأندلس عند المرابطين لها جذور قديمة إلى غاية سقوط الخلافة الأموية بالأندلس ، وطموح الفقهاء إلى المشاركة السياسية و تأكيد حضورهم العلمي و السياسي، أصبح ظاهرة مؤكـدة من أن شكلوا أهل الرأي و تزعموا شعوبهم و باركوا نجدة المرابطين بالأندلس ، و قيام العلماء و بالأخص الفقهاء بهذا الدور أصبح ظاهرة عامة مشـرقا و مغـربا فلقد أشـار الدارسون إلى حضورهم الواضـح في دولة السلاجقة بالمشرق ، حيث أحاطوا بنظام الملـك **"ت 484 هـــ / 1092** م " الذي جند في خدمة الدين و الدولة قوة لا يطعن في ولائها و لا نجاعتها و التـي تفـوق نجاعة الأسلحة و هي القوة التي يمثلها العلماء و رجال الفقه و التصوف ، فهذا هو المناخ العام الذي أسند للفقهاء المكانة العالية سياسيا و اجتماعيا و هو نفس الدور الذي اضـطلع

به رجال الفقه في المغرب الإسلامي في دولة المرابطين و هو نفس الدور الذي يقـ ـوم به رجال الدين ورواد حركة الاسترداد المسيحي للأندلس فظاهرة الحـ ـروب الـ ـصليبية مشرقا ومغربا أهلت أهل الشريعة و رجال الفقه إلى المكانة التي وصلوا إليها، فالصراع إلى جانب كونه سياسيا كان صراعا دينيا و لا يمكن بالتالي لرجال الـ ـشريعـ ـة مـ ـن الجانب الإسلامي إلا أن يكونوا في مقدمة الصـ ـف على جميع المستويات خاصـ ـة فـ ـي دولة أخذت على عاتقها أعباء مواجهة المسيحيين في أقرب المنـ ـاطق إلـ ـيهم و أكثرهـ ـا حساسية و هي الأندلس .

و بالرغم من أن تاريخ هذه المنطقة قد ظفر بعناية فائقة مـ ـن طـ ـرف البـ ـاحثين سواء كانوا عربا أو مستشرقين إلا أن هذه العناية ألقت الضوء على المجال السياسي و ما كان للحكام و الأمراء من أعمال و إنجازات و فتوحات في حين أهمل ما أسهم به غيرهم من فئات المجتمع الأندلسي في صنع تاريخ هـ ـذه المنطقة غير مدروس و بصفة خاصـ ـة فئة العلمـ ـاء ، فحاولنا من خلال هذه الدراسة أن نرصد إسهامات هذه الفئة من المجتمـ ـع ونبين ما في ذلك من بالـ ـغ الأهمية ، لأننا بذلك نستكمل تاريخ الأمـ ـة ، و نـ ـصل بـ ـين حلقاته، و من العلوم أن هذه الفئة و إن نالت و حضيت بعناية المؤرخين القدامى ، فيما ألفوا كتب تراجم و طبقات ، فإنه لم يلتفت إليها إلا القليل من طرف المؤرخين المحدثين ، فكانت هذه دوافـ ـع تفكيري في إجراء البحث عن إسهامات العلماء لـ ـيس فـ ـي المجـ ـال الفكري و العلمي كما ألفناه في الدراسات السابقة، وإنما في مجـ ـال الـ ـسلطة و الـ ـسياسة والحكم ، دون أن أنسى تزكيـ ـة الأستاذ المحتـ ـرم المساعد محمد الأمين بلغيث ، الـ ـذي وجهني إلى البحث و نصحني بمعالجته تحت عنوان " **السلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين ، ابن رشد نموذجا .** استحسانا منه لهذا الموضوع و تفصيلا له على غيـ ـره . وهو موضوع جديد على حـ ـد علمي لم أصادف طوال فترة بحثـ ـي مرجعا يشير إليـ ـه بشكل مباشر باستثناء دراستين إحداها حول الأثر السياسي للعلماء في عصر المـ ـرابطين لمحمد محمود عبد ا بن بية التي تتبع خلالها إسهامات العلماء فـ ـي مجـ ـال الـ ـسياسة والحكم في المغرب الإسلامي خلال عصر المرابطيـ ـن ، و قد اعتمدت كثيرا على هـ ـذه الدراسة لارتباطها بنفس فترة البحث ، أما الدراسة الثانية فهي دراسة متخصصة تناولـ ـت شخصية ابن رشد و كتابه المقدمات أنجزها الدكتور المختار بن الطاهر التليلـ ـي و التـ ـي

تناول فيها جميع جوانب هذه الشخصية و أضاف على ذلك دراسة أحد مؤلفاته و هـو كتاب المقدمات الممهدات . بالإضافة إلى دوافع أخرى من بينها :

- أهمية الدور الذي اضطلع به العلماء الفترة المرابطية .

- إلقاء الضوء على شخصية جديرة بالدراسة و مكانتها العلمية و الـسياسية ، ألا وهي شخصية **ابن رشد الجدّ** " **520هـ/1126م** "لذي لم يحض بالاهتمـام الكـافي مـن طرف الدراسات الحديثة بقدر الاهتمام بحفيده **ابن رشد الفيلسوف(595هـ/1198م)** . بالرغم مما كان يتمتع به من مكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي عـصري الطوائـف والمرابطين ، حيث كان أكبر الفقهاء المالكية بالأندلس و من رجال الدولـة المرمـوقين الذين قاموا بمهام تفاوضية كثيرة .

- توضيح أسلوب المعارضـة السياسية التي انتهجها العلماء في تحديد مواقفهم من السلطة الحاكمة على أساس شرعي .

- انتماء الأندلس التاريخي إلى المغرب و بالتالي فأعماله تعد جزء من تاريخنا الذي يجب الاهتمام به و المحافظة عليه .

و قد حدد عنوان البحث " السلطة العلمية بالأندلس خلال عصر المرابطين ، ابـن رشد الجد أنموذجا الإطار الزمني و المكاني له ، فالمجال الزمني يشمل عصر الرابطين " **445هـ - 541 هـ / 1056م - 1145م** " ، أما المكاني فهو بلاد الأندلس . و مـن هنا كـانت للموضوع أهميته علما أنه هذه الحقبة من التاريخ الإسلامي تعد من أخـصب الفترات و أغناها باعتبار أن العلماء المؤسسين للدولـة المرابطية عمـلوا علـى جعلهـا ذات منطلق و أساس ديني و سعوا لعرض رؤية خاصة لهوية الدولة التي يريدون إنشائها من خلال مبادئ الإسلام و معطيات الواقع ، فأقاموا دولتهم على أساس نـشر المـذهب المالكي و محاولة بعث القوى الإسلامية و استنهاضها و العودة بالمجتمع الإسلامي إلـى عهد السلف الصالح و اعتمدوا التمكين لها على مبدأ الأمر بالمعروف و النهـي عـن المنكر حتى أدى هذا الوضع إلى ظهور أعلام في الفقه والحديث ، تعاونوا مـع الـولاة المرابطين بالأندلس و قسم آخر دخل في خدمـة الدولة المرابطيـة و خـدمها بـصدق وأمانة ، و استنجـد بها لتغيير أوضاع الأندلـس التي عانت منها طيلة 80 سنة من جور ملوك الطوائف و فساد سيرتهم وتحالفهم مع اليهود و النصارى ، و **يعد أبو الوليد محمد**

بن رشد الفقيه المالكي الأندلسـي المشـهور من أكبر علماء العصر الذين حضوا بنفـوذ ومكانة خاصة في دولـة عرفت فضل الفقهاء و مكنتهم من السلطة الفعليـة ، مكانـة لا نعتقد أن الأبحاث توصلت إلى إبرازها ، فلقد كان ابن رشد الجد بحق أنمـوذج الفقيـه المرابطي الذي استطاع أن يتمثل دوره أحسن تمثيـل و يقـوم بمهامـه أحـسن قيـام بمشاركته في السلطة و تقاسمه الدولـة مسؤولياتها ، فلقد خدم النظام المرابطي ما مـن ذلك شك و تولى له قضاء الجماعة بقرطبـة لكن دون أن يكون من صنف فقهاء الـبلاط المستسلميـن للسلطة الملازمين لركابها حيث استطاع أن يحافظ على اسـتقلالية كبيـرة مكّنته عند الحاجة أن يكون على مسافة منها و لكن كفقيه سني لم يسع أبدا إلى القطيعـة معها بالرغم من استعفائه من وظيفته فيها و نجح فـي المحافظة على مكانة كبيرة جعلت السلطة في احترام دائم لآرائه و فتاويه .

وعليه **جاءت إشكاليـة الموضوع كالتالـي** : إلى أي مدى وصـلت الـسلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين؟ وما مدى تجسيد السلطة السياسية لها ؟ وما هـي مكانة ابن رشد العلميـة ؟ و ما الدور السياسي الذي اضطلع به من بين علماء عصره ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات قسمت موضوع الدراسة إلى مقدمة و أربعـة فـصول وخاتمة ، و ملاحـق وخرائط تفيد الموضوع .

أما **المقدمـة** فتضمنت أهمية الموضوع مع تحديد الإطار الزماني و المكاني له و دوافع اختيار الموضوع و المنهج المتبع فيه و أهم الصعوبات التي واجهتني مـع تقيـيم لأهـم المصادر و المراجع المعتمدة .

ويليها **الفصل الأول** تحت عنوان " العلماء و الدولة المرابطية " ، قسمته إلى مبحثين ، كل مبحث ضم مجموعة من العناوين ، ففي المبحث الأول تعرضت إلى ذكر إسهامات العلماء في تأسيس دولة المرابطين بداية من النشأة إلى ظهور يوسف بـن تاشـفين ، و يمكـن اعتبارها كظروف مهـدت لبروز السلطة العلمية في العصر ، و في هذا الصدد استرجعنا الأدوار الدعوية و السياسية لكل من فقيه القيروان أبي عمران الفاسـي الـذي اعتبرتـه الدراسات الحديثة المنظر الأول للدولة المرابطيـة ، فهو الذي وجه الأميـر يحـى بـن إبراهيم الجدالي إلى الفقيه وجاج بن زلوا اللمطي بالمغرب الأقصى حتى يختار له أنجب طلابه لممارسة الدعوة في الصحراء ، و فعلا كان ذلك بظهـور عبـد ا بـن ياسـين

الجزولي ، الذي تبلورت الدعـوة به و بـدأت تطمع إلى إقامـة كيـان سياسـي ، أمـا المبحث الثاني ، فخصصته لذكر أثر المذهب المالكي علـى اتجـاه الفكـري للدولـة ، مستهلـة الحديث فيه عن المذهب الفقهـي للمرابطيـن " المذهب المـالكي " و أسـباب انتصارهم له و تشجيع تدارسه مع عرض مواقف بعض المـؤرخين المنـاوئين لـذلك ، ومناقشة آرائهم حتى نبين أن طغيان الدراسات الفقهية في الفترة لم يمنـع مـن انتـشار العلوم الشرعية الأخرى من حديث و تفسير و قراءات ، ثم انتقلت بعدها إلى الحديث عن منهجهم في حكم هذه الدولـة ، و إتباعها في ذلك منهج السلف الصالح باعتمادهم علـى أهم مبادئ الحكم في الإسلام ألا و هي البيعة و الشورى و القضـاء . و ختمت الفـصل بالتطرق إلى مذهبهم العقائدي ، و أسباب محاربة المرابطيـن لعلم الكلام ، و موقفهم من التصوف بمعالجة قضيـة كانت من أهم آثار السلطة العلميـة بالأندلـس ألا و هي قضية إحراق كتاب " إحياء علوم الدين للغزالي " .

أمّا الفصل الثاني فخصصته لنموذج الدراسة ، ألا و هو ابن رشد الجـد و مكانتـه العلميـة في عصر المرابطين ، لأنه لا يمكن لأي شخص أن يصل إلـى موقـع نفـوذ وسلطة و يكون له تأثير على العامـة و الخاصة دون أن يتبوأ مكانـة علمية معترف بها من الجميع ، ينال منها الاحترام و التقدير ، علما أنني تناولت جميع جوانب هذه الشخصية بداية من نشأتـه في أسرة لها مكانتـها بين بيوتات الأندلس المرموقـة ، إلـى تكوينـه العلمي على يد أكابر شيوخ العصر بالأندلس إلى إبراز مكانتـه الفقهية بـين معاصـريه مقارنة بينه وبين مجموعـة من كبار علماء عصره ، و بروعه في مختلف المجـالات فضلا عن الفقه، من الحديث و التفسير و اللّغـة و علم الكلام ما أهله أن يكـون أكبـر سلطة إفتائيـة في عصره خاصة في عهـد علي بن يوسف بن تاشـفين . و بعـد ذلـك تطرقـت إلى الحديـث عن أستاذيتـه و مشيختـه العلمية لعدد كبير جدا من الطلبة من مختلف الأقـطار سواء بالمغـرب أو الأندلس . دون أن أغـفل عن التحدث عن إنتاجه العلمي و المعرفي .

أمّا الفصل الثالث فخصصته للحديث عن الأثر السياسي للعلماء بالأندلس عامـة بما فيهم ابن رشد الجد ، مستهلـة الحديث فيه عن أوضاع الأندلس قبيل التدخل المرابطي المباشر ، محاولـة التركيز على إسهامات العلماء في الدعـوة إلى الوحـدة و لم شـمل

أمراء الطوائف ، و تزعم العلماء للمجتمع الأندلسـي و أدوارهم في استقدام المـرابطين إلى الأندلس ، ثم تطرقـت إلى ذكـر إسهاماتهم في الجهاد إلى جانب المرابطين بدايـة من معركة الزلاقة إلى دورهم في إسقاط أمراء الطوائـف و محاولـة توحيـد الأنـدلس والمغرب تحت السلطـة المرابطية . بالرغم من أننا لم نلمس لابن رشد الجـد مواقـف بارزة في هذه المرحلـة اللهم إلا ما قام به إلى جانب العلماء في الدعوة إلى الوحدة و لم الشمـل و مشاركته في مؤتمر قرطبة لاستقدام المـرابطين ، و مـساندته للعلمـاء فـي مشروع الوحدة مع المغـرب .

أما الفصل الرابع " العلماء في مواقع النفوذ و السلطة " فحاولت مـن خلالـه أن أبسط حقيقة ما وصلت إليه السلطة العلمية بالأندلس خلال عصر المرابطين ، مبينـة أن دور الفقهاء المالكية لم يتوقف عند المساهمة إلى جانب الأمراء المـرابطين فـي إنجـاز الوحدة السياسية ، بل احتلوا الصدارة في المجلس الاستشـاري للدولة ، و ولعبـوا دورا مهما في ممارسة السلطة التشريعية و القضائية ، مبرزة أثر هذه المكانة إيجابا و سـلبا ، وحتى نلمس ذلك جليا ، تناولت بالدراسة أعمال ابن رشد الـسياسية و خدمتـه للـسلطة المرابطية بتوليه وظيفة قضاء الجماعة و تزعمه مشيخـة العلماء بالمغرب و الأنـدلس ، و إسهاماته السياسية سـواء في إطار ممارسته وظيفة القضاءأو بعد استعفائه عنهـا ، إذ كـان له دور فعال في إخماد ثورة قرطبة سـنة **515 هـــ / 1121** م علـى والـي المرابطين بالأندلس حيث أظهر من الحزم و الحنكة السياسية في هذه الحادثة ما أرجـع الثقة إلى النفوس و على رأسهم أميـر المسلمين علـي بـن يوسـف . و فـرض مـن موقعـ ـه كقاض للجماعة سلطة قوية على المؤسسة السياسية و العلمية ، كما تعد سفارته إلى مراكش من أهم السفارات الديبلوماسية و التي كانت لعدة أغـراض اسـتلزمت منـه كشخص مسؤول و راع للأمة السفر رغم كبر سنه لمناقشـة الأمر مع أميـر المـسلمين منها ، إفتاؤه بتغريب النصارى المعاهدين الخائنين لعهد المسلمين بهم، وإشارته على أمير المسلميـن تسوير عاصمته مـراكش و المدن الأندلسية درء للأخطار المحدقـة بهـم ، وعزل أبي الطاهر تميم والي المرابطين على الأندلس لعدم كفايته و قلة مـسؤوليته فـي الدفاع عن أراضي المسلمين بالأندلس . و حاولت في الأخير معرفة مـوقف ابن رشـد من قضيـة إحراق كتاب الأحياء ، و هل شـارك في الفتوى و وافق **أبي عبـد ا بـن**

حمدين في ردوده على الغـزالي ، باعتباره شخصية علمية لها وزنها و ثقلها فـي تلـك الفترة ، و لأن الفتـوى تمت بإجماع أغلب علماء العصر ، و ختمت الفصل بالحديث عن وفاته .

و أخيرا أنهيت الموضوع بخاتمـة حوت بعض نتائج البحث ، ثم أردفتها بمجموعة من الملاحق والخرائط لمناطق التوسع المرابطي بالمغرب و الأنـدلس، فـالملحق الأول يعـرفنا بفتـرات حكم الأمراء المرابطيـن و نسبهم ، أما الملحق الثاني فهو عبارة عن مرسوم هام يبين حرص الأمراء المرابطين على إتباع مـنهج الـسلف الـصالـح و أن مطاردة كتاب الأحياء بقي متواصلا إلى غايـة فترة حكم **تاشفين بن علـي** والملحـق الثالث فيشمل قسم من فتوى الغزالـي ليوسف بن تاشفين بشرعية إزاحة ملوك الطوائـف مستقى من مصدر هام معاصر لأحداث الدولة المرابطيـة أولا و هو **أبو بكر بن العربي**

أما الملحق الرابع فهو عبـارة عن جدول جمعت فيـه عدد من الفقهاء و القضاة الأثرياء في عصر المرابطين أما بقية الملاحق فهي عبارة عن فتاوى هامة **لابن رشد الجدّ** استفتاه فيـها الأمراء المرابطين في قضايا أشكلت عليهم مما يوحي بمكانة ابن رشـد و عظـم قـدره لديهم ، هذه المكانة التي كانت متبادلة بين الطرفين ، فابن رشد من خلال فتواه في مسألة التلثيم ، يبدو راضيا عن السياسة المرابطية و مواليا لها .

و قد تناولنا موضوع هذه الدراسة بمنهج تاريخي وصفي أبقيت فيـه علـى مـادة المصادر مستعينة بنصوص تاريخية سواء كانت نثرية أو شعرية لقراءة النظام المرابطي من خلال عملية وصفية يراد بها وصف الواقع و تفسيره . و المنهج النقدي الذي لا يغفل من التحقيق حيث كثفت من الاستشهاد بالنصوص في المتن إما داعمة لرأي أو مـساندة لاستنتاج كما أن الدراسة و التحليل سمتان تميز بهما البحث و أمرهما يتجلى أحيانا فـي تتبع نصوص حادثة معينة و مقارنتها ببعضها و استخراج النتائج منها و تتمثل أحيانـا أخرى في عرض النقول من مختلف المصادر و تحليلها و تبيين ما يمكـن استخلاصـه منها. و من المؤكد أن الصعوبات تواجه أي دارس في بحثـه ، خاصـة عنـدما يكـون الموضوع جديدا و الطالب في بداية مشواره الأكاديمي الدقيق لذلك لا أريد التطرق إليها لأنها جزء هام و أساسي في العمل و سأكتفي بذكر أهمها :

- عدم وجود دراسة سابقة للموضوع مما جعلني أتخوف منه أكثـر خاصـة بعـد اطلاعي على كتاب الفكر الأصولي و إشكالية السلطة العلمية في الإسلام " لعبد الحميـد النجار " الذي تناول فيه الموضوع من ناحية إشكالية فلسفية بحتة ، حول بداية التأسـيس للفكر الأصولي في الإسلام والمبادئ التي تقوم عليها السلطة العلمية ، وهو كتاب مهم جدا عرض فيه النجار لنظريات وآراء العلماء أمثال " الجويني، الشاطبي، الغزالي وغيـرهم من العلماء حول السلطة العلمية في الإسلام .

- عدم تمكننا من بعض اللغات خاصة الإسبانية باعتبارها هي الاخرى لغة البحـث في تاريخ الأندلس لكننا على العموم استفدنا من بعض الكتب المترجمة ،مع ضيق الفترة المحددة لإكمال هذه الرسالة مما أعاق التوصل على مصادر هامة للموضوع.

- صعوبة تكيف المادة مع طبيعة الموضوع الذي شمل بالدراسة فترة لا بأس بهـا مع تشعب موضوع الرسالة مما تطلب قراءة كتب برامج العلماء و طبقاتهم فمنها تعرفت على علماء موضوع البحث عن كثب غير أنها وإن امتازت بوفرة المعلومات عن الحيـاة العلمية للعلماء فإنها في الأغلب تفتقر لتسجيل الحياة السياسية لهذه الطبقة .

ولقد اعتمدت في هذه الدراسة على مصادر ومراجع متنوعـة ، منهـا كتـب الطبقـات والتراجم، ومنها كتب الفقه والفتاوى، ومنها كتب التاريخ والأخبار ومنها الكتـب الأدبيـة والجغرافيـة .

أ)كتب التراجم و الطبقات : لقد كانت معتمدي الأكبر ، فمنهـا تعرفـت علـى العلمـاء موضوع البحث عن كثب ، حياتهم و ثقافتهم ، وسأكتفي هنا بذكر أهم كتب التراجم التـي اعتمدت عليها ، منها : **كتاب الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملـك المعـروف بـابن بشكوال (578هـ /**1198م) تحقيق عزت العطار الحسيني، ط2 مكتبة الخانجي، القاهرة، 1999م . وهو مصدر مهم و غنّي ، معاصر لابن رشد الجد وأحد تلامذتـه وممن عاش في الفترة المرابطية ، و قد أثنى العلماء عليه و وثقوه ، وكتاب الصلة كـما يـدل علـى ذلك اسمه تتة لكتاب سابق و هو تاريخ علماء الأندلس للقاضي ابن الفرضي ترجم فيـه ابن بشكوال لـ : 1541 شخصا و قد حوى هذا الكتاب في ثنايا التراجم أخبارا تاريخية مهمـة يندر وجـودها في الكتب الأخرى ، تتعلق بـأحوال العلمـاء و أخلاقهـم و مـا تعرضوا له من مضايقات و نكبات، ونصوصا عن الفتن و الاضطرابات و موقف العلماء

منها، ومع هذا فإنه يعرض في الكثير من الأحـيان عن ذكر سبب تلـك المحـن التـي تعرض لها بعض العلماء و يكتفي بالتلميح دون التصريح .و **كتب القاضـي عياض بـن موسى اليحصبـي (544هـ/ 1149م**) و هو إمام ثقة معاصر للدولة المرابطية و عاش في كنفـها و تولى القضاء في ظلها و لمس مقدار ما بذلوه من جهـد فكانـت تراجمـه للعلماء شهادة عيان و بالتالي ذات قيمة كبرى . وقد اعتمدت على كتابيه الغنية وترتيـب المدارك ، أما **الغنية** فهو وثيقة مهمة تبين لنا طرق الاتصال الثقافي و الفكـري وحركـة التبادل العلمي بين المشرق و المغرب ، فهو على صغر حجمه عظيم الفائدة يتبين مـن خلاله المصادر التي استقى منها عياض ثقافته ، ولعل أول ما يلاحظه الدارس هو العـدد الضخم للكتب التي رواها و سمعها إضافة إلى الكثير من الأخبار والروايـات وتكمـن أهمية هذا الكتاب بالنسبة إلى بحثنا في أن عياض قد ترجم فيه للكثير من أعلام العـصر المرابطي ، من بينهم شيخه و **أستاذه أبو الوليد بن رشد الجدّ** الذي نقل له ترجمة غيـر مطولة إذا قايسناها بترجمات أخرى لبعض شيوخه المترجم لهـم ، لكنّهـا ذات أخبـار موزونة ، تنبئ عن معلومات قيمة وغزيرة ، **والغنية** ذات أهمية أخرى تتمثل في إمكانية إجراء المقارنـة بين ابن رشد وغيره من شيوخ عياض لإبرازها تميز به و ما حلاّه به من نعوت انفرد بها. أما كتابه الثاني، فهو **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك** ، وقد استفدت من طبعتين منه الأولى بتحقيق محمد بن تاويـت، دار المعرفة للطباعة والنشر، المغرب، الرباط، والثانية بتحقيق محمد سالم هـشام ،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م ، وقد ألّف عياض هذا الكتاب كرد فعل لمـا عاشـته المدرسة المالكية شرقا و غربا ، وهو موسوعة ضخمة عظيمة الفائدة أرخ فيهـا لفقهـاء مالك في المشرق و المغرب ، كما قام فيها بإظهار فضل علم أهل المدينة ، وترجيحـه على غيره بمنطق و حجج مع اطلاع واسع في الفقه والحديث، وقد أفدت كثيرا من ذلـك ومن تراجم هذا الكتاب التي جاءت مليئة باللمحات التاريخية ، والمباحث العلمية والوقائع السياسية من بينها ترجمة **عبد ا بن ياسين الجزولي**.ومن كتب التراجم المهمـة أيـضا كتابا **محمد بن عبد ا القضاعي المعروف بابن الأبار (665هـ/1286م)** التكملـة والمعجم في أصحاب أبو علي الصدفي ، فكتاب **التكملة** نشره و حققـه عـزت العطـار الحسيني،مكتب نشر الثقافة الاسلامية ،القاهرة ،1956م و هو تتمة لكتاب ابـن بـشكوال

السابق الذكر ، حيث أكمل عمله و استدرك ما أهمله فجاء كتابه موسوعــة مهمة تـضم أكثر من ألفي ترجمة ، حوت الكثير من الفوائد . أما كتاب **المعجــم** تحقيــق إبـراهيم الأبياري ،ط1 ،دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني ،القاهرة – بيـروت فلقـد ترجم فيـه ابن الأبـار لتلاميـذ **القاضـي أبـوعلي حـسين بـن سـكرة الـصدفـي (ت514هـ/1120م)** و هو علم كبير من أعلام الحديث في الفتـرة المرابطيـة ، فحوى هذا الكتاب الكثير من المعلومات التاريخية في ثنايا تراجمه عن علماء الفتـرة و صـرح أكثر من ابن بشكوال عن ملابسات عدد من الأحداث التي كان للعلماء طرفا فيها .**وكتاب المراقبة العليا في من يستحق القضاء و الفتيا ، المعروف بتاريخ قضاة الأندلس** لأبي الحسن النباهي ،تحقيق مريم الطويل ،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995م ، يعـد هو الآخر وثيقة مهمة في تاريخ القضاة بالأندلس بدء بعصر الدولة الأمويـــة وانتهـاء بالفتـــرة التي عاشها صاحبه وهي القرن الثامن الهجـري ، كما يعد مصدرا مهما من مصادر الثقافة الإسلامية، فهو صدى لشخصية صاحبه الذي كان قاضيا مثقفا متعمقا فـي مسائل الفقه والأديان فضمن كتابه نبذا من الكلام عن خطة القضاء وسير من بلـغ مـن القضاة رتبة الاجتهاد من بينهم الكثير من أعلام العصر المرابطي وعلى رأسهم أبو الوليد بن رشد الجد حيث استفدنا كثيرا من الترجمة التي خصصها له .

فضلا عن ذلك فقد استعنت بالعديد من كتب التراجم والسير و الطبقات الأخـرى **كبغيــة الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** للضبي أحمد بن عميرة **(599هـ /1203م)**، **والمغرب في حلى المغرب** لعلي بن موسى بن سعيد المغربـي **(685هـــ /1126م)** **والذيل و التكملة** لابن عبد الملك **(703هـ/ 1303م)**، و **صلة الـصلة** لابـن الزبيـر **(708هـ/1308م)** و أزهار الرياض للمقري ، و شجرة النـور الزكيـة فـي طبقـات المالكيـــة لمخلوف .

ب) كتب الفقه و النوازل :و إلى جانب كتب التراجم هناك مصادر أخرى لا تقـل أهمية في رسم الصورة الدقيقة لأوضاع العصر ألا و هي كتب الفقه والنوازل ، فلقد كان اعتمادنا عليها كثيرا و أهمها كتاب الفتاوى للفقيه **ابن رشد الجـدّ (520 هـ/ 1126**م) التي جمعها تلميذه الفقيه أبو الحسن بن الوزان و عمد على تحقيقها كل من المختـار بـن الطاهر التليلي ، طبعة بيروت 1987م ، و محمد الحبيب التجكتـاني ،طبعـة مـشتركة،

بيروت –المغرب،1993م، و تكمن أهميتها في أن ابن رشد صور لنا من خلالهـا جانبـا هاما من حياة ملوك الطوائف و المرابطين بالأندلس و نقل لنـا الكثيـر مـن الأخبـار السياسية والاجتماعية و الاقتصادية و المسائل العقائدية من بينها موقف الـسلطة مـن النصارى المعاهدين و موقفها من المذاهب غير المالكية كالمذهب الظـاهري و علـم الكلام وفرقه من معتزلة و أشعرية و جبرية . و قد أوردنا في محتوى هـذه الدراسـة فتاوى في هذا الشأن ، كما بينت الأثر السياسي للعلماء عامة و لابن رشد خاصـة مـن خلال مواقفه و فتاويه في الكثير من القضايا كموقفه من هيج العامة بقرطبـة على الوالي المرابطي بالأندلس و فتواه بتغريب النصارى المعاهدين . كما نقلت لنا هـذه الفتـاوى الكثير من الأخبار المتعلقة بحياة ابن رشد فالمعلومات التـي سجلها تلميذه ابن الـوزان في آخرها كانت في غاية الضبط و الإتقان تتبعت حياة ابن رشد في الفترة الأخيرة تتبعا يكاد يكون باليوم و السنة و ما وجد بها من أخبار و معلومات انفردت بها قلّ من اطلـع عليها من المعاصرين . كما أفدت كثيرا مـن كتابيـه **البيـان و التحـصيل لمـا فـي المستخرجـة من التوجيـه و التعليل** ، **والمقدمات لأوائل كتاب المدوّنة،** وإلـى جانـب فتاوى ابن رشد و كتبه الفقهية استعنت أيضا بـ : **المعيار المعرب و جامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا و الأندلـس و المغرب للونشريسي أحمد بن يحي بن محمـد بـن عبد الواحـد (914 هـ / 1514م)** الذي قام بجمع الفتاوى التـي عرفتـــــها بـلاد الأندلس و المغرب وإفريقيا ، فجاء كتابه هذا موسوعة فقهيـة للنوازل و أحكام الفقـهاء في شؤون الدين و الدنيا ، و أخـذ علماء العصر المرابطي بنصيب وافر منهـا إذ أورد النوازل الفقهية لابن الحاج الشهيـد (**ت 486 هـ / 1093م**) . ونوازل ابن رشد وابـن سهل (**468هـ/1093م**)من علمـاء و قضـاة المرابطيـن فسهلت بذلك علي في الكثير من الأحيان الرجوع إلى نوازل الفترة التي تمس ملامح الحياة الاجتماعية و السياسية في الأندلس خاصة العلاقات بين المسلمين مجتمعا و سلطة ، و مما أذكره على سبيل المثال ، موقف السلطة المرابطيـة و علماء العصر من قضيـة إحراق كتاب إحياء علوم الـدين للغزالي .

ج)كتب التاريخ العام و الأخبار:كما اعتمـدت بكثـرة علـى الكتـب التاريخيـة أهمـها، كتاب **التبيان أو المذكرات للأمير عبد ا بن بلقيـن بن زيري آخر** ملوك بني

زيري في غرناطـة في القرن الخامس الهجري ، تحقيق أ ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1955م. وتكمن أهميـة هذا الكتاب في أن صاحبه معاصر للأحداث التي نقلهـا لنا وطرف رئيسي في الكثير منها، فجاء كتابـ ـه تسجيلا لـشهادة عيـان علـى تلـك الأحداث فقد اشترك هذا الأمير مع يوسف بن تاشفين في موقعـة الزلاقـة و حـصن ليط وسجل حوادث الجهاد البارزة تسجيلا يدعو إلى الإعجاب حقا ، كما كشف النقـاب عن سياسة يوسف في بلاد الأندلـس **. وكتاب الـبيان المغـرب فـي أخبـار الأنـدلس والمغرب لأحمـ ـد بن عذاري المراكشـي (712 هـ / 1312 م)** خاصـ ـة الجـزء الرابع منه الخاص بالتاريخ المرابطـي ، تحقيق إحسان عـباس ط 3 ، 1983م . الذي يعـ ـد من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس، وتكمن أهميتـ ـه في أنه اعتمد علـى مصادر أندلسيـة ترجع إلى القرنين الخامس و السادس الهجـريين، مثل البكـري كما احـتوى على الكثير من المعلومات المهمة عن دولـة المرابطين وتطورها التاريخـي ونقل لنا الكثير من الأحداث السياسية التي كان لابن رشد الجد مواقف منها . وإلى جانب المذكـرات و البيان المرابطـي اعتمدت على **كتاب الحلـل الموشيـ ـة فـي أخبـار الدولـ ـة المراكشية** لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري الرابع عـشر مـيلادي، تحقيق سهيل زكار- عبد القـادر زمامة ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء، 1979م ، ويظهر من خلال ما حواه أنه مغربي عاصر الدولـة المرينيـة و دولة بنـي الأحمـر بالأندلس لأن هذه الدول هي آخر ما تكلّم عنه ، و هو كتاب قيم و مفيـد رغـم صـغر حجمه أمدنا بمعلومات مهمة عن الدولة المرابطية ، وتكمن أهمية ذلك في أنّه استقاها من كتب أصيلة معاصرة للفترة المرابطية مثل كتاب الأنوار الجلية في أخبـار الدولـ ـة المرابطية لابن الصيرفي الذي كان كاتبا للأمير تاشفين بن علي . كما اسـتعنت **بكتـاب الأنيس المغرب بروض القرطاس لابن أبـ ـي زرع** (**726هـ/1325م**) الـذي حـوى الكثـير من التفاصيل المهمـة عن دولـة المرابطين في معظم مراحلها بالرغم مما وجه إليه من نقد من طرف الباحثين على رأسهم أحمد مختار العبادي . و أراني غنيـة عـن ذكر استفادتي من كتاب **الكامل في التاريـخ لعز الدين بن الأثير (ت630هـ / 1232م)** الذي حوى الكثير من المعلومات الدقيقة عن الفترة و **كتاب العبر لعبد الرحمان بن خلدون المتوفى (808هـ /1405م)**الـذي يعد مصدرا هاما لا غنى عنه لكل باحث في تـاريخ

المغرب حتى القـــرن 08 هـ / 14م. و كتابي لسان الدين الخطيـب (**ت 776هـ / 1374م) أعمال الأعلام و الإحاطـة في أخبار غرناطـة** لأن فيهما الكثير من الفوائـد التاريخية بالنسبة لموضوعنا.

د) كتب و موسوعات أدبية : فضلا عن كتب التراجم و كتب الفقه و الفتـاوى و كتـب التاريـخ العام ، اعتمـدت أيضا على كتب وموسوعات أدبية . كانت في مقدمتها كتـاب **الذخيـرة في محاسن أهل الجزيـرة لابن بسّام الشنترينـي** (**442 هـ / 1147م**). الذي كان معاصرا للمرابطين، وشهد ذلك الصراع المرير بين الإسلام و النصرانية فـي بلاد الأندلس ، فجاء كتابـه هذا مليئا بالكثير من المعلومات التاريخية، وكان في أغلـب الأحيان فيما يقدمـه من تاريخ المترجم يظهر جوانب حياتـه المختلفة، وتأثره بأحـداث مصدره، ووقائعه السياسية والاجتماعية ، كما أورد الكثير من المعلومات علـى جانـب عظيم من الأهمية أعانتني في رصد حركـة جهاد المرابطين بالأندلس . **و نفح الطيـب من غصن الأندلـس الرطيب للمقـري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041 هـ / 1632** م) ، الذي يعتبر أهم موسوعة معلوماتيـة عـن تاريـخ الأنـدلس والمغـرب وأوضاعهما الفكريـة والثقافيـة، رغم عيوبها من ناحية التنظيم و نقص المنهجيـة فـي سرد الأخبار لأن صاحبها أنجزها بعيدا عن وطنه ومكتبته كما أقر بنفـسه فـي مقدمـة موسوعتـه، وقد اعتمدنا عليه في بعض مراحل البحث خاصـة فـي معركـة أوضـاع الأندلس إثر التدخل المرابطي المباشر. كما أفدت كثيرا من كتابا **الفتح بن خاقـان (529 هـ /1134م)** ، الذي كان هو الآخر معاصرا للمرابطين ، و **هما قلائد العقيان ومطمـح الأنفس،** حيث أرخّ فيهما للكثير من الأعلام و الشخصيات السياسيـة والأدبية والفقهيـة الخاصة بالفترة و التي استفدت منها ، بالرغم من أنّه اهتم بالمبنى أكثر مـن المعنـى .

و)أمّا الكتب الجغرافية: فلـقد اعتمدت علـى **كتاب المغرب في ذكـر بـلاد إفريـقيا والمغرب لأبي عبيد البكري (487 هـ / 1094 م)** ، فهو من المعاجم الجغرافية الجليلة نظرا لمعاصرته دولة المرابطين مجال بحثنا حول السلطة العلمية بالأندلس، وقد كان دقيقا فيما جمع من أخبار ، فجاءت معلوماته قيمة مفيـدة عن الفتـرة الأولـى مـن تـاريخ المرابطين ، كما حيث تحدث البكري عن منشأ الدولة المرابطية ، وخصص لعبد ا بـن ياسين دراسة قصيـرة بعنوان " ما شـذ فيه عبد ا بن ياسـين من الأحكام " وشـهادة

البكـري هذه و نقـده لحركة عبد ا   بن ياسين لا تقلل من الشخص العلم بقدر ما تبـرز بدايـة التجديد في الحركة الإسلاميـة. كما أفدت في التعـ ـريف بالكثير مـ ـن البلـدان والمواقـ ـع على **كتاب الشريف الإدريسي (548هـ / 1158م) نزهـة المـشتاق فـي اختـراق الآفاق** ، فهو كتاب مفيد لمعرفة تطور الحـياة العمرانيـ ـة والاقتـصاديـة ، **وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار** للحميري محمد عبد المنعم .

هـ)مراجع ودراسات حديثـة: وقد استعنت أيضا بالكثير من الدراسـات الحديثـة والأعمال الجامعية التي ارتويت منها و كانت لي سندا قـويا في دراسـتي لكثيـر مـن الجوانب إذ استقيت منها في معظم الأحوال آراء أصـحابها حـول بعـض الأحـداث ، مستأنسـة بها في تأييد وجهة نظري و تأتي في مقدمتها دراسـة **محمد محمود عبـد ا بن بيّة الأثر السياسـي للعلماء في عصر المرابطين** التي تناول فيها إسهامات العلمـاء التاريخية في المغرب الإسلامي خلال الفترة المرابطية ، فكانت دراستـه هذه مفيدة وقيمة أفادت الموضوع في الكثير من جوانبه إذ كانت بمثابـ ـة قاعدة الانطلاق في التعـرف على أدوار العلماء السياسيـة بالأندلس في العصر المرابطي . ودراسة **الدكتور المختـار بن الطاهر التليلي** تحت عنوان **ابن رشد وكتابـه المقدمات** التي تطرق فيها إلى مختاف جوانب شخصيـة ابن رشد وكتابه المقدمات الممهدات، وتعـد هـذه الدراسـة الوحيـدة والمتخصصة التي تناولت هذا العلم بالتعريف و التي أفادتني كثيرا فـي التعـرف علـى مختاف جوانب شخصيتـه ومكانته العلمية في عصر المرابطين . كما استعنت بكتاب **قيام دولة المرابطين لحسن أحمد محمود** الذي يعد من أهم الدراسات التاريخية الجادة رغـم أنّها دراسة من الخمسينيات حيث أن العمل المتخصص زاد من قيمتهـا ولا نجـد فيمـا نعرف دراسة أكاديمية متخصصة إلا دراسة حسن أحمد محمود ، التي اعتمدت عليها في معظم جوانب البحث ، خاصة تحليلاته لمواقف علماء العصر وآرائه في التأريخ للسياسة المرابطية ، وموسوعة **محمد عبد ا   عنّان ، دولة الإسـلام فـي الأنـدلس** خاصـ ـة الجزأين المتعلقين بعصر الطوائـف و المرابطين بالأندلـس والتي أفـدت منهـا كثيـرا خاصـة فيما نقله من روايات نصرانية عن الأحداث لكن أحكامه واسـتنتاجاته بالنـسبة للدولة المرابطيـة لم تكن كلّها مصيبـة، ودراسـة **إبراهيم حركات، النظـام الـسياسي والحربي**. التي حاول من خلالها إعطاء صورة واضحة عـن التنظـيم الإداري لدولـة

المرابطين. غير أن قلة المصادر التي تتعرض لهذه الدولة جعلت الكاتب يتيـه في بحـر التخمين والفرضيات في مواضع كثيرة من الدراسة، وبالرغم من ذلك فلقد سد ثغرة كبيرة في الدراسات التي تخص المرابطين ، كما استفدت من بعض المراجع المعربة و المهمـة من بينها **كتاب ليفي بروفنسال ، تاريخ الإسلام بالأندلس** وكتاب **يوسف أشـياخ الأندلس في عصر المرابطين والموحّدين** فهما كتابان مفيدان لما يحويانه من روايـات نـصرانية للأحداث ، كما أفدت كثيرا من **عمل الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث، الحركة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين** الذي يمثل أكبر موسوعة فكريـة عـن الفتـرة رد فيهـا الأسـتاذ الباحث على كلّ من اتهم المرابطين ببعدهم عن العلـم والعلمـاء، فـارتكزت الرسالة في دعم آرائها بما أوردتـه من مخطوطات ومطبوعات فكانت خير شاهد قام به الاستاذ بعملية مسح لكلّ ما يتصل بالتاريخ المرابطي خاصة الجانب الفكري، وبذلك كانت هذه الرسالة خير موجه ومرشد في تتبع التاريخ السياسي لمراحل نشأة الدولة وتطورهـا والتعرف على الكثير من أعلام الفـترة وتتبع أعمالهم العلمية والسياسية، كما استفدت من تحليلات وبعض استنتاجات **الدكتور إبراهيم القادري بوشتيش** في أعماله القيمـة منهـا **تاريخ الغرب الإسلامي و بحوث في التـاريخ الاجتماعـي فـي عـصر المـرابطين** واستنتاجات الدكتور **عصمت عـبد اللطيف دندش** في كتبها المختلفة عن دولة المرابطين خاصة كتابيها الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، وأضـواء جديـدة علـى المرابطين بالإضافة إلى مراجع كثيرة ومهمة منها **مجمـل تـاريخ الانـدلس** للعـروي **والأندلس في عصر المرابطين** لعباس سعدون نصر ا **وتاريخ المغرب والأندلس** لأحمد مختار العبادي و **المغرب الكبير** لعبد العزيز سالم .

وأخيرا بالرغم مما بذلتـه من مجهود في سبيل إخراج هذا العمل إلى النور لـيس في وسعي إدعاء الكمال، ولا الوصول إلى الغاية المرجـوة من حسن الإتقـان والـضبط وأجدني أعـترف بأي نقصان، إلا أن الذي في وسعي قد عملـته، وعلى غيري أن يعمل ويضيف إلى عملي عملا يجزى به خيرا إن شاء ا ، فإن تكن إصابة فتوفيق من ا عز وجلّ، وإن يكن تقصير فقد بـذلت جهد المقـل .

الفصل الأول
العلماء والدولة المرابطية

I- دور العلماء في تأسيس دولة المرابطين

II- أثر العلماء في الاتجاه الفكري للدولة

I- دور العلماء في تأسيس دولة المرابطين:

1- أصل المرابطيـن :

شهد **المغرب الأقصى** في النصف الأول من القـرن 5هـ /11م،، بدايـة تحـول تاريخي عظيم، كان له أبلغ تأثير في تاريخ منطقـة **المغـرب الأقـصى وموريتانيـا، وإفريقيا الغربية**، ففي الوقت الذي كانت فيه إفريقيا في صراع متواصل مع عرب **بني هلال وبني سليم** من جهة و **النورمان** الغازين لسواحلها من جهة ثانية [1]، كانت هنـاك قوة جديدة قد بدأت تظهر على مسرح الأحداث، انبثقت في الصحراء بجنوب المغـرب الأقصى، وهذه القوة هي التي ولدت دولة المرابطين الكبرى، التي ما لبثت وقتا حتـى أصبحت تشمل النصف الغربي من بلاد المغرب، واستطاعت إنقاض الإسـلام الـذي كانت تهدده المسيحية بإسبانيا[2] **فمن هم المرابطون ؟ وما الدور الذي لعبه العلماء في تأسيس دولتهم ؟**

يعود أصل المرابطين إلى **صنهاجة الجنوب**، الضاربة في عمـق الـصحراء، وبالضبط إلى **قبيلة لمتونة**، التي تأتي على رأس قبائل المنطقة، والتي أصـبحت بعـد ذلك بمثابة عصب الدولة وقاعدتها الأساسية، وينتمي إلى **صنهاجة** عدا **لمتونـة** عـدد كبير من القبائل البربرية منها **مسوفة، مسراتة، مداسة ،جدالة ولمطة وجزولة** وبنـو **إبراهيم، وبنو تاشفين، بنو محمد وبنو منصور**... " [3] وغيرها من القبائل التي حـدد **ابن حوقل** عددها في قوله :" ومن المتغربين في البراري صـنهاجة أودغـشت وقـد

---

[1] ظهر في **القرن5هـ/11م** ، عامل جديد، أخذ يؤكد تفوق السيادة المسيحية، وانهيار السيادة الإسـلامية فـي البحـر الأبيض المتوسط وهو **النورمان** في **جنوب إيطاليا**، الذين كانوا ينظرون بعين الطمـع إلـى **صـقلية** ، و انتزعـوا الكثيرمن مدنها من المسلمين، ولم يجدوا في ذلك الوقت دولة إسلامية موحدة تنتشلهم من هذا الخطر الجديد الـذي يتهددهم، الأمر الذي أدى إلى سقوط **صقلية** نهائيا في أيدي **النورمان سنة 484هـ**، ثم توجيه أبصارهم إلى الشاطئ الإفريقي المقابل، حيث أغارت قواتهم على مدينة **زويلة**، كما أغارت أساطيل **بيزة وجنـوة** علـى المهديـة سـنة 480هـ. **أنظر** : حـسن أحمـد محمـود، **قيـام دولـة المـرابطين**، ط2 ، دار الكتـاب الحـديث ، القـاهرة، 1212هـ/1992م ص ص 209-210.

[2] عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، دراسة تاريخية ، عمرانية، و أثرية ،دار النهضة العربيـة بيـروت ، 1981م ،ص ص690،691.

[3] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المكتبة التاريخية، طبعة حجرية، ص 75.

يكونون نحو ثلاثمائة ألف بيت من بين نوالة وخاص "[1]. هؤلاء الذين عرفوا بالملّثمين لاتخاذهم اللّثام شعارا لهم يميزهم عن سائر قبائل المغرب[2]، أما مضاربهم فتمتد مـن الشمال إلى الجنوب شاملة **وادي السوس**[3]، **ووادي درعة**[4] **صحراء شنقيط**[5] أو مـا يسمى اليوم **موريطانيا** الحالية إلى شاطئ نهر السنيغال. [6]ويقول **الإدريسي** عـن هـذه

---

[1] ابن حوقل النصيبي، **كتاب صورة الأرض**، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت 1979، ص 98.

[2] لقد كان الرجال المرابطون هم الذين يتلثّمون فقط، وقد ذهب المؤرخون والرحالة مذاهب شتّة في تفسير أسـباب اتخاذهم اللّثام، فمنهم من ذهب إلى أنّهم كانوا يعتقدون أن ظهور الفم عورة يجب إخفاؤها، وأنّهم لا يفارقون اللثـام في أي حال من الأحوال بل أنّهم لا يستطيعون التمييز بينهم إلاّ به، ولا يميز رجل وليه ولا حميمـه إلاّ إذا تنقـب، وصار لهم ذلك ألزم من جلودهم وفسر **ابن خلكان** سبب اتخاذهم اللّثام لأمرين، **الأول :** أن الخاصة كانوا يتلثّمون لشدة الحر والبرد، ثم قلّدتهم العامة **والثاني :** أن قوما من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم عند غيابهم، فيأخذون مـن أموالهم ويسبون حريمهم، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن تتخذ النساء زي الرجال وأن يقعد الرجال فـي البيـوت ملّثمين، فقتلوهم، فلزموا اللّثام تبركا لما حصل لهم من الضفر بالعدو . **ومن المحتمل** حسب ما ذهـب إليـه أحـد الباحثين أن يكون اللّثام قد اتخذّ في أول الأمر للحماية من الغبار ومنغصات جو الصحراء، فتوارثه الأبناء عن الآباء حتى صار عادة بمرور الزمن، ويرجح هذا الرأي أن بدو الصحراء في شبه جزيرة العرب قد اتخذوه لـنفس هـذه الأسباب. **أنظر** : البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب** وهو جزء من كتاب **المسالك والممالـك**، مكتبـة المثنى، بغداد، د.تـ ص 170.**؛ ابن خلكان** : **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق إحسان عبـاس، دار الـصادر بيروت 1994، المجلد السابع، ص 129؛ ابن خلدون، **العبر**، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1991، ج6، ص 181، دندش عصمت عبد اللطيف، **دور المرابطين في نشر الإسلام في حزب إفريقيا مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي،** الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، ص ص 29-30.

[3] هي بلاد تقع بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير، أنظر : الحميري عبد المنعم، **الروض المعطـار فـي خبـر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1975م، ص 329.

[4] يقع **بجنوب المغرب**، وتقع به **مدينة درعة** التي تبعد عن **مدينة سجلماسة** بـثلاث مراحـل. الحميـري، نفـس **المصدر**، ص 236.

[5] كانت تطلق في الأصل على إحدى القرى بولاية ولايات **موريتانيا**، ومعناها بالبربرية **عيون الخيل**، ويقـال أنّهـا بنيت في القرن2هـ، ثم تجددت في القرن4هـ في موضعها الحالي، ولم يلبث اسمها أن أطلق على القطر كلّه، وصـار أهله يعرفون بالشناجطة ومازالت إلى يومنا العاصمة الروحية للبلاد، أما العاصمة السياسية فهي **نـوا قـشط** علـى ساحل المحيط الأطلسي. العبادي أحمد مختار، **في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسـكندرية 2001، ص 288، الهامش رقم 2.

[6] مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في أخبار الدولة المراكشية**، تحقيق سهيل زكار، عبد القـادر زمامـة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ص 17، السيد محمود، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990، ص 22؛

Clot (Andre): **L'Espagne musulmane** VIV, XV siècle, librairie, académique, Paris, 1990 p 196.

المنطقة وقبائلها بداية من بلاد النول " فأما بلاد النول الأقصى وتازكارت، فهي لمتونة الصحراوية، ولمتونة قبيل من صنهاجة، وصنهاجة ولمطـة أخـوان لأب واحـد وأم واحدة، وأبوهم لمط بن زعزاع من أولاد حمير ". [1]

ويبدو من خلال هذا النقل، أن **الإدريسي** أرجع نسب **صنهاجة** إلى **حميـر** مـن العرب اليمنية وهي النسبة التي تتّفق عليها الكثير من النصوص أمثال **ابن الأثير وابن خلدون** اللذين نقلاها عن **ابن الكلبي** [2]، **وابن عذاري، وابن أبي زرع** اللّذين نقلاها عن **الهمذاني** [3]، والقليل من المصادر من اعتبرت صنهاجة من غير العرب من بينهم **محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللّخمي** [4] الذي اعتبر البربر عامة فـي العجـم غيـر العرب [5]، فضلا عن الأندلسيين **أبو عمر يوسف ابن عبد البر النمري** [6] **وأبو محمـد علي ابن حزم الأندلسي.** [7]فهما حتى عصر الطوائف، رفضا لأي قبيلة من قبائل البربر

---

[1] الإدريـسي(**ت548ه/1158م**)، **نزهـة المـشتاق فـي اختـراق الآفـاق**، ط1، دار عـالم الكتـب، بيـروت 1409هـ/1989م، مج1، ص 223.

[2] ابن الأثير(**ت630ه/1222م**)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق محمد يوسف الـدقاق، دار الكتـب العلميـة، بيـروت ،1998ج8 ،ص 327؛ ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص 201.

[3] ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس،ط3، دار الثقافة، بيـروت 1983، ج4، ص 46؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق**،** ص 75.

[4] **كان حيا 557ه/1126.**

[5] بلغيث محمد الأمين، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**،الجزائر2003/2002م ،ج1، ص 50.

[6] شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته، وأحفظ من كان بها للسنة المأثورة ، وكان شاعرا مشهورا ، تـولى المناصب القضائية في مدن عديدة بالأندلس، وقد توفي (**363ه/1071م**) مخلّفا لنا كتبا عديدة، تشهد له بالبراعة في التصنيف، وسعة الإطّلاع، من أهمها كتاب **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، كتاب **الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار**، وغيرها كثير. **أنظر ترجمته** : ابن بشكوال خلف بن عبد الملك، **الصلة** ، تحقيق عـزت العطـار الحسيني،ط2، مكتبة المانجي، القاهرة، 1414هـ/ 1994م،ج2، ص 640 وما بعدها؛ ابن الأبار محمد بن عبـد ا بن أبي بكر القضاعي : **التكملة لكتاب الصلّة**، تحقيق عزت العطّار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1956/1375م،ج2، ص 612 وما بعدها؛ أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المـالقي : **الأحكـام**، تقـديم وتحقيق الصادق الحلوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992م، ص 28وما بعدها.

[7] من علماء عصر الطوائف، كان حافظا، عالما بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة،، عاملا بعلمه، زاهدا في الدنيا،كما كان واسع الإطّلاع، قوي النفس في الجدل، يحسن كلّ علم تقريبا، فهو نابغة في الحديث وعلم الكلام وفي التاريخ وفي أصول الفقه، وفي الأدب وغيرها، **توفي456ه/1064م** مخلّفا تصانيف مختلفة منهـا كتاب **المحلى** في الفقه، كتاب**الإحكام في أصول الأحكام** في أصول الفقه ، وغيرها كثير، **أنظر ترجمته** : الـضبي أحمد بن يحي بن عميرة : **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأنـدلس**، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، ط1، دار

نسبا حميريا [1] وبذلك يعتبر العمل الذي قام **أبو محمد عبـد ا الرشـاطي** [2] ذا قيمـة كبيرة، باعتباره كان على رأس المدافعين عن النسب الحميري للمرابطين، فهو القائـل نقلا عن **ابن دحية الكلبي** " شرف صنهاجة أصيل ومجدهم أثيل، ورئاسـتهم قديمـة، ونسبتهم إلى حمير معلومة " [3] كما عكس الشعر النسب الحميري للمرابطين، وأحـسن مثال على ذلك ما قاله الشاعر **أبو بكر يحي ابن سهل إليكي** [4] في مدح المرابطين :

قوم لهم شرف العلا من حمير   وإذا انتموا صنهاجة فهم همو

لما حووا إحراز كلّ فضيلـة   غاب عليـهم الحياء فتلثمـوا [5]

وقد رجح أحد الباحثين الأصل الحميري **لصنهاجة** انطلاقا من عدة أمور :

1- وجود إشارات عفوية أكدت أصل المرابطين الحميري وأحسن مثال ما جـاء فـي رسالة **أبي بكر محمد بن العربي المعافري** [6] **عن أبي يعقوب يوسف بـن تاشـفين،**

=الكتب العلمية، بيروت 1417-1997، ص 365؛ الكتاني محمد بن إبراهيم ، **الاجتهاد والمجتهدون في الأنـدلس والمغرب،** تحقيق الشريف بن حمزة بن علي الكتاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيـروت، 1425هـ/2004م، ص 69 وما بعدها.

[1] بلغيث ، **المرجع السابق،** ج1، ص 50.

[2] الفقيه المتوفى **542هـ/1147م،** الذي كانت له عناية بعلوم الأسباب والتواريخ، وله في ذلـك، وكتـاب **اقتبـاس الأنوار، والتماس الأزهار في أنساب الصحابة والرواة والآثار** . أنظر : الضبي ،**بغية الملتمس في تاريخ رجـال الأندلس،** تحقيق إبراهيم الأبياري،ج2، ص 452.

[3] أبو الخطاب عمر بن حسين بن دحية الكلبي(**ت542هـ/1149م**) : **المطرب في أشعار أهل المغرب،** تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرين، دار العلم للجميع، القاهرة، 1955م، ص 61؛ أبي عبد ا بن عسكر-أبي بكر بن خميس **، أعلام مالقة،** تحقيق الترغي أبي عبد ا المرابط ،ط1، دار الغرب الإسلامي- دار الأمـان للنـشر والتوزيـع، بيـروت 1420هـ/1999م، ص 322 وما بعدها.

[4] شاعر مشهور بالهجاء، حتى قيل أن قريحته لا تجيد غيره، ولا تنشط إلاّ به إلى غير ذلك من الأنحـاء، تـوفي **560هـ/1166م.أنظر :** ابن سعيد المغربي : **المغرب في حلى المغرب،** تحيق شوقي ضيف، دار المعارف، مـصر، 1999،ج2، ص 266 وما بعدها.

[5] **نفس المصدر**،ج2، ص 286.

[6] الإمام، العلاّمة، الحافظ، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفّاظها كما وصفه المصادر ، عاصر فترة الطوائف والمرابطين بالأندلس، رحل إلى المشرق مع والده سنة **485هـ/ 1092م،** وهو في السابعة عشر من عمره، رجـع منها موسوعة علمية ضخمة، بعد أن تلقى العلم على يد كبار العلماء بالمشرق ومصر، فكان فصيحا، أديبا، حافظـا، فقيها، أصوليا، مهتما بالقرآن، محقّقا للحديث، يتقن مسائل الخلاف وعلم الكـلام ، إلـى ان تـوفي **543هـ/1148م** مخلّفا لنا تصانيف عديدة في علوم مختلفة منها، **أحكام القرآن ، العواصم من القواصم ، عارضة الأحوذي بشرح**

عندما وصفه " **بإعزاز الدين والذب عن المسلمين، وهو حميري النسب** ". [1]

2- تأكيد بعض المصادر غير المباشرة بالموضوع الأصل الحميري لصنهاجة ومن ذلك ما ذكره النسابة، المؤرخ، الأديب **أبو محمد عبـد ا الرشـاطي** الـسابق الذكر. [2]

3- أن الأقلية الذين نسبوا **صـنهاجة** إلى البربر، من أهل المغرب المتعـصبين لأصلهم البربري، وبالرغم من أن ابن خلدون أشار إلى أصل يوسـف بـن تاشـفين البربري، فإنّه ذكر في موضع آخر انتماء صنهاجة إلى حمير [3]، وقد حاول الـشعراء المرابطين إثبات عروبة أمرائهم، فتغنّوا بأنسابهم العربية الأصل، فلـو كـان نـسب المرابطين غير عربيا، لما توانى مؤرخو الموحدين ثم المرينيين من بعدهم من العمـل على دحض نسبهم العربي للإطاحة من شأنهم، خاصة وأن النسب العربي فـي تلـك الفترة كان من العوامل التي تزيد الدول قوة واحتراما أمام الرعية. [4]

ومهما كان من أمر، فلقد ظلّ **الصنهاجيون** وحتى العصر المرابطي يمثلون أهم عناصر السكّان في بلاد المغرب الأقصى من ناحية العدد ، شكلت **صنهاجة الجنـوب** أهم عناصر سكانه، حيث بقيت طيلة الفترة المرابطية تقوم بهجرات واسعة من الجنوب إلى الشمال، و كان لهذه الهجرة آثار بعيدة المدى تتمثل في تغيير الخريطة البـشرية، ومواطن الاستقرار وذلك عن طريق تعمير مناطق فارغة، وتعرض منـاطق أخـرى

=**جامع الترمذي، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس وغيرها** كثير. **أنظر ترجمته** : أبي نصر الفتح بن خاقـان بن محمد بن عبد ا القيسي : **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملـح أهـل الأنـدلس،**ط1، مطبعـة الجوائـب، القسطنطينية، 1302هـ، ص 62 وما بعدها؛ الضبي،**المصدر السابق** ، تحقيق روحية عبد الرحمن الـسويفي، ص 80 وما بعدها؛ الداوودي شمس الدين محمد بن أحمد : **طبقات المفسرين**،تحقيق نخبة من العلماء بإشراف الناشـر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص 167 وما بعدها؛ السالم بن إبراهيم، **الإمام أبو بكـر بـن العربـي –العطـاء والرحلات-** ملتقى دولي تحت عنوان **الحضارة الإسلامية بالأندلس في القرن6الهجـري/ القـرن12م،** منـشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2007، ج1، ص 258 وما بعدها؛ يوسف عيـد-يوسـف فرحـات : **معجـم الحضارة الأندلسية**، ط1، دار الفكر العربي، بيروت 2000م، ص 116.

[1] دندش، **المرجع السابق** ص 195.

[2] ابن دحية، **المصدر السابق**، ص 61؛

[3] ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص ص 123-201 ؛ بلغيث ، **المرجع السابق**، ج1، ص 52.

[4] بوشتيش إبراهيم القادري، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عـصر المـرابطين**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1998م، ص ص 23-24؛ بلغيث، **نفس المرجع السابق**، ج1، ص 53.

لإخلاء من ساكنيها. وإحلال العناصر الصنهاجية محلها، كما نتج عنها بداية اسـتقرار الأرستقراطية الصنهاجية في الحواضر، وبذلك أضيف إلى المجـال الجغرافـي فـي المنطقة الشمالية مجال صنهاجي جديد. [1]وهذا ما يجلـي أن الـصنهاجيين أصـبحوا يعرفون الاستقرار ويميلون إليه، مما ينفي ادعاءات المستشرقين في تخريب المرابطين للمناطق التي سادت حياة الاستقرار منذ القديم، وأنّهم عمدوا على تعبيد الطريق **للعرب الهلاليين،** فقد عملت بعض قبائل الحلف الصنهاجي على الاسـتقرار مبكـرا **جنـوب السوس،** مثل **لمطة وجزولة،** كما تم تعمير **جبل فازاز** الذي أصـبح منطقـة سـكنية صنهاجية، [2] وبالرغم من أن أهم خواص القبائل الصنهاجية هي تنقّلهم الـدائم، وعـدم استقرارهم لاعتمادهم على نمط الرعي والإنتاج الرعوي، فهم على حد قول **البكـري** " قوم لا يعرفون حرثا ولا زرعا، ولا ثمارا، وإنّما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن، ويتنقلون من ماء **إلى ماء** كالعرب " أما الذين عاشوا حياة شـبه مـستقرة، وتعـاطوا الأعمال الزراعية، بالرغم من قلتهم فهم **صنهاجة الشمال،**ومع ذالك ظلّ طابع التنقل و التّرحال من أهم مميزات القبائل الصنهاجية [3]، وكانت قبائل الملثمين في معظمها تعيش حياة بدوية، وإن كان لبعضه مدن مثل مدينة **أزوكي** [4]ومدينة **أوليل** ،لأن هـذه المـدن كانت في الأساس مراكز تجارية ومحطّات ربط بين **المغرب وبلاد السودان** [5].

أما بالنسبة **للأسس الاقتصادية** التي قام عليها اقتصاد تلك القبائـل وحالـة معاشـها، وأسواق المغرب الأقصى وأهم نشاط القبائل المؤسسة للحركة المرابطية، فلا نملك بين أيدينا إلا بعض النصوص المبهمة التي تذكر في أغلبها أن الفلاحة كانت جد مزدهـرة

---

[1] بوشتيش،**المرجع السابق،** ص ص 23-24؛ بلغيث،**المرجع السابق،** ص 53.

[2] بلغيث، **نفس المرجع السابق،** ج1، ص 53؛ مختار الهراس، " **سيرورة تكون الهياكل القبيلة في جدالـة** "، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986، العدد الثاني عشر، ص 51.

[3] البكري، **المصدر السابق،** ص 146؛ بوشتيش، **نفـس المرجـع الـسابق،** ص 14؛ بلغيـث، **نفـس المرجـع السابق،**ج1، ص 53؛ عباس سعدون نصر ا ، **دولة المرابطين في المغرب و الاندلس** ،ط1دار النهضة العربيـة ، بيروت 1404هـ/1985م **،** ص 12.

[4] قرية توجد على بعد 15 كيلومتر شمال مدينة أطار الموريطانية، وهي من بلاد **مسوفة ولمطـة،** ، منهـا إلـى **سجلماسة** ثلاثة عشر مرحلة، ومنها إلى **نول** سبع مراحل، وبالرغم من أن هذه المدينـة ليـست كبيـرة إلاّ أنّهـا متحضرة، **أنظر :** الإدريسي، **المصدر السابق،** ج1، ص 225؛ بلغيث، **المرجع السابق،**ج1، ص 49.

[5] يطلق على الممالك الزنجية التي تقع جنوب المغرب الأقصى.

وأن المغرب في هذه الفترة شهد سيولة نقدية، فضية وذهبية، أما مصادر ثـراء هـذه المنطقة فتبقى غير معروفة بشكل جلي [1]، والتي ربما تكون ناتجة عن احتكارهم للذهب في بلاد **السودان الغربي** والطرق التجارية المعروفة شـرقا وغربـا، غيـر أن هـذا الاستنتاج يبقى مجرد فرضية واحتمال لا نستطيع من خلاله تحديـد قـوة الاقتـصاد المرابطي، في مرحلته الصحراوية والأندلسية بدقة، رغم ما يعرف عن قـوة العملـة المرابطية، حيث كان الدينار أو المثقال المرابطي واسع الانتشار وعليه إقبال كبيـر ، فالمرابطون اتسعت رقعة دولتهم وأصبحت تمتد من **نهر الابـرو** شـمالا إلـى **نهـر السنيغال جنوبا**، وبذلك سيطروا على مواطن الذهب في **غانة** [2] وعلى تجارة القوافـل في الصحراء كما قاموا بضرب دنانير من الذهب الخالص، وكان الإقبال علـى هـذه الدنانير كبيرا في رقعة الدولة المرابطية وخارجها، وبذلك يكون الذهب السوداني قـد أدى دورا كبيرا في دور الضرب العالمية، ومن خلاله برزت مكانة المـرابطين فـي عملية توزيع الذهب نظرا للدور الكبير لتجارها، كما حضت عملتهم بالسمعة والمكانـة في الأوساط التجارية. [3]

بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي المزدهر، عرفت المنطقـة دخـول **الثقافـة العربية** بشكل واسع من حواضر **المغرب والأندلس**، حيث تم على عهـد المـرابطين أعظم مجهود ثقافي في غرب إفريقيا، خاصـة بعـد أن تأسـست مدينـة **تمبكتـو** [4]،

---

[1] الحسين بولقطيب، **الحياة الاقتصادية للحلف المصمودي في القرنين الخـامس والـسادس الهجـريين، (مجلـة الاجتهاد، دار** الاجتهاد، بيروت 1993م/1413هـ) ص 58؛ بلغيث، **المرجع السابق**،ج1، ص 55.

[2] تعتبر أقدم دولة في **غرب إفريقيا**، ويرجع تاريخ نشأتها إلى القرن **4م**، وقد أضحت هذه المملكة في القـرن **10م** إمبراطورية عظمى، وقد إمتد نفوذ هذه المملكة ما بين **نهر الـسنغال، ونهـر النيجـر**، وجـزء مـن **الـصحراء الموريتانية**، وكان لوقوعها على الطريق التجاري الذي يصل الشمال الإفريقي بمصادر الذهب في الجنوب أثر فـي ثرائها وقوتها، وكان اتّصال الإسلام بهذه المملكة منذ القديم عن طريق التجار، والمراكز التجارية الإسلامية . **أنظر:** ابن حوقل النصيبي، **المصدر السابق**، ص 98، بن بية محمد محمود عبد ا ،**الأثر السياسي للعلمـاء فـي عـصر المرابطين** ،ط1 ،دار الأندلس –دار ابن حزم ، بيروت ،2000م، ص ص و ما بعدها 92.

[3] بلغيث ، **المرجع السابق**،ج1، ص ص 55-56.

[4] مدينة تقع على **نهر النيجر** الأعلى، أنشئت حوالي **490هـ/1096م**، على أيدي الطوارق، وهي مدينة إسـلامية تعتبر من أهم المراكز التجارية والثقافية في **السودان الغربي**، بلغت ذروة مجـدها فـي القـرن **10ه/16م**، وقـد اشتهرت بكثرة أعلامها ومكتباتها، من أشهرهم **أحمد بابا التمبكتي** صاحب كتاب " **الديباج بتطريز الديباج** "، بـن بية، **المرجع السابق**، ص 28، الهامش 2.

وازدهرت المراكز الثقافية الأخرى مثل **أود غشت** [1]، **وغانة وجني** [2]، وقبل هذا مدينة **تبلبالة** واكتسبت بذلك ثقافة المنطقة طابعا مغربيا أندلسيا واضحا، فكان مـذهب هـذه الشعوب واحدا، ممثلا في المذهب المالكي، كما أن الكتب المتداولة في الأوساط الثقافية هي نفسها الكتب الدراسية في **المغرب والأندلس**. [3]

وقبل التطرق **للوضع السياسي** للمنطقة قبل ظهور المرابطين، يجب أن نـشير إلى أن قبائل الملثمين عرفت الإسلام في فترة مبكرة جدا ترجع إلى القرن 1ه والفضل الأكبر في ذلك يرجع للفاتحين الأوائل الذين استمرت جهودهم في نشر الإسلام إلى أن وصلوا المناطق الجنوبية للصحراء حيث بلاد لمتونة ومسوفة وقد ازداد إسلام الملّثمين خاصة بعد قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى وانضوائهم تحت لوائها، وهكـذا مـا كان **القرن3ه/9م** يدخل حتى عما الإسلام جميع الملثمين وانتشر بهـم [4]، وقـد كـان لإسلام هذه القبائل أثر بالغ في تاريخ **المغرب والسودان**، حيث نتج عـن ذلـك قيـام تحالف قوي بين بعض قبائلها، من بينها **لمتونة، مسوفة، جدالة** وكان الهدف من هذا الحلف مدافعة ومواجهة ملك **غانة** في الجنوب [5]، والـسيطرة علـى مـسالك تجـارة **السودان**، بالاستلاء على مدينة **أودغشت.** [6]وكان ملكهم لذلك الوقت يدعى **تيولوتان بن**

---

[1] مدينة من مدن الملثمين تقع في الشمال الشرقي من **تمبكتو** شمال **نهر النيجر** بين صـحراء **لمتونـة والـسودان** وكانت مركزا تجاريا كبيرا، وكانت أكبر مراكز القوافل، وأكبر أسواق بلاد إفريقيا الغربية المداريـة التـي كانـت تعرف في ذلك الوقت ببلاد **غانا**، **وأودغشت** كانت خاضعة لها، كما اشتهرت هذه المدينة بوفرة البضائع التي تبـاع في أسواقها خاصة تبر الذهب الذي كان يجمع من مجاري الأنهار ومن مواضع قليلة من الجبال. **أنظر** : البكـري، **المغرب**، ص ص 158و ما بعدها ؛ الحميري **، المصدر السابق**، ص ص وبعدها 64؛ عبد العزيز سالم : **المغـرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ج2، ص 691؛ حسين مؤنس : **تاريخ المغرب وحضارته من الفـتح إلى الغزو الفرنسي**، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، مصر، 1412هـ/1992م، مج2 ص 23.

[2] مدينة على النيجر الأعلى، تأسست سنة **435هـ/1043م**، وكانت مركزا هاما للتجارة، ومحطّـة رئيـسية فـي التبادل التجاري والثقافي بين الشمال والجنوب، بن بية، **المرجع السابق**، ص 281.

[3] دندش ، **المرجع السابق** ، ص 17.

[4] زبيب نجيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تقديم أحمد بن سودة، ط1، دار الأمير الدولية للثقافـة والنشر، بيروت 1415هـ/1195م،ج2، ص ص 231-232.

[5] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 120.

[6] نفس المرجع والصفحة؛ عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، ج2، ص 691.

تيكلان اللمتوني [1]، الذي كان له الدور الأكبر في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي، ولما توفي هذا الأخير خلفه على زعامة الحاف حفيده **الأثر بن بطين** ثم حفيده **تميم بن الأثر** [2] وقد استمر هذا الأخير على زعامة الحاف إلى أن ثار عليه أشياخ **صنهاجة** وقتلوه، فتفرقت بعد ذلك كلمتهم، وانقسموا شيعا، ولم يلتئم شملهم مدة 120 [3] عاما إلى أن ظهر فيهم **عبد ا بن تيفاوت المعروف بتارسنا** [4]، الذي أعاد تكوين حاف صنهاجي ثان، بزعامة القبائل الآنفة الذكر، فالتفّوا حوله، وقدموه عليهم، سنة 426هـ [5] فكان أميرا فاصلا، شغوفا بالجهاد، بالرغم من قصر مدة حكمه التي لم تتجاوز الثلاث سنوات، حيث انتهت باستشهاده مجاهدا ضد قبائل **السودان الغربي**، فتولى بعده زعامة الحاف رجل من قبيلة **جدالة** يدعى **يحي بن إبراهيم** ، الذي ستعرف منطقة الصحراء الكبرى بوصوله إلى زعامة الملثمين بداية تحول كبير في تاريخها، حيث سيكون له دور كبير في سير الأحداث بالمنطقة، إذ يرجع أو يعود إليه الفضل في ظهور الدولة المرابطية. [6]

2- بداية ظهورهم :

كان **يحي بن إبراهيم الجدالي** الذي آلت إليه زعامة الملّثمين، ذا بصيرة وفطانة عرفته رسالته أمام ا ، إذ وجد نفسه يحكم قوما لا يعرفون من الإسلام غير اسمه، فحز في نفسه ما كان يراه من شدة تأخر قومه عن الأمم المتمدنة، فضاق ذرعا لذلك، وشعر بحاجة كبيرة إلى التفقه في الدين، فعزم على تحصيله، وطلب مختلف العلوم

---

[1] كان من أعظم ملوك الملّثمين قبل قيام دولة المرابطين، اتسعت مملكته كثيرا حتى أصبحت تشمل الصحراء بأسرها، وخضع له بها ما يزيد عن عشرين ملكا يؤدون له الجزية، وقد اتخذ من مدينة **أودغشت** عاصمة له بعد أن انتزعها من ملك **غانة**. **أنظر :** ابن أبي زرع، **المصدر السابق،** ص 79.

[2] **نفس المصدر السابق الصفحة** .

[3] السلاوي الناصري أحمد بن خالد : **الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 2001، ج2، ص ص 161-163.

[4] سماه **ابن خلدون أبو عبد ا بن تيفاوت المعروف بتارسنا** ، أنظر : ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 182.

[5] ابن أبي زرع، **نفس المصدر السابق،** ص 79؛ البكري،**نفس المصدر** ، ج2، ص 858.

[6] السلاوي ، **المصدر السابق،**ج2، ص 161 وما بعدها.

والمعارف من **المغرب الأقصى** [1]، ثم إن **يحي بن إبراهيم الجدالي**، تاقت نفـسه إلـى الحج كما فعل أسلافه، فخرج لطلبه سنة **427هـ/1035م** مع طائفة من زعماء قومه[2] تاركا ابنه إبراهيم ينوب عنه رئاسة صنهاجة اللثام [3]، وبعد فراغه من فريضة الحـج، شرع في طلب طريق العودة، إلاّ أنه لم ينزل مباشرة إلى بلاده، بل عرج علـى أهـم حواضر المغرب ألا وهي **القيروان،** المدينة التي كانت لها شهرتها العلمية والدينيـة، والتي اعتبرت من أهم مراكز العلم والثقافة **بالمغرب** خلال القـرن **5ه/11م** [4]، فـأتيح ليحي بهذه الحاضرة سماع عالم من أعظم أئمة المالكية وعلوم الدين ألا وهو الفقيـه **أبي عمران بن عيسى بن أبي الحاج الفاسـي** . [5]فلاحظ عليه هذا الأخير ميلـه إلـى العلم، وشدة تعلقه بحلقة دروسه ، فسأله عن اسمه وموطنه [6]، فأجاب أنّه **يحـي بـن إبراهيم** بأنّه من قبيلة **جدالة** إحدى قبائل **صنهاجة** الجنوب، كما أخبـره عـن الجهـل المتفشي بين أقوامه الذين لا علوم ولا مذاهب عندهم، لأنّهم منقطعون في الصحراء لا يصل إليهم إلاّ بعض التجار حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء ولا علوم عندهم.[7]

---

[1] بلغيث، **المرجع السابق،ج1**، ص 58؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 105.

[2] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 19؛ ابن عذاري، **المصدر السابق**،ج4، ص 7.

[3] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 77؛ عبد العزيز سالم، **المصدر السابق**،ج2، ص 691.

[4] العبادي ، **المرجع السابق**، ص 291؛ عبد العزيز سالم،**نفس المرجع السابق و الصفحة** .

[5] من بيت من بيوت فاس المعروفة والمشهورة، كان فقيها من أئمة المذهب المالكي، حافظا للحديث، عارفا لمعانيه، أخذ مبادئ العلم بمسقط رأسه، ثم رحل إلى **الأندلس،** ودخل **قرطبة** فأخذ من مشاهيرها، ثم انتقل إلى **القيروان** فتفقه عند **أبي علي القابسي**، ثم رحل إلى المشرق ودخل بغداد وحضر مجالس القاضي **أبي بكر الباقلاني**، في الأصـول، بعد ذلك عاد أبو عمران إلى القيروان، فاستوطنها، وصارت إليه رئاسة العلم بها إلى أن **توفي 430ه1040م**. **أنظر**: ابن الزيات التادلي : **التشوق في رجال التصوف**، تحقيق أحمد توفيـق، ط2، منـشورات كليـة الآداب والبحـوث الإنسانية، المغرب 1997، ص 64؛ كنون عبد ا : **النبوغ المغربي في الأدب العربـي**،ط3، دار الكتاب اللبنـاني، بيروت، 1975م، ج1، ص 59.

[6] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 19؛ حسن إبراهيم حسن : **التاريخ السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، " العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس " (447-656هـ / 1055-1258م)**، دار الجيـل مكتبة النهضة المصرية، بيروت- القاهرة، د.ت،ج4، ص 269.

[7] البكري ، **المصدر السابق**، ص ص 164-165؛ ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 7؛ مؤلـف مجهـول، **نفس المصدر السابق**، ص 19، إبراهيم بيضون : **الدولة العربية في إسبانيا من الفتح، حتى سقوط الخلافة ، ط2**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1406هـ/ 1986م،ص 376.

ومن دروس أبي عمران بدأت تظهر رغبة **يحي بن إبراهيم** في إصلاح قومـه خاصة بعد أن قارن بين حياة العلم والمعرفة التي يحياها سكّان **القيروان**، وحياة الجهل والظلام المتفشية بين عشيرته ومواطنيه، فاشتكى حال قومه **لأبي عمـران** وسـأله أن يبعث بعض طلبه النجباء لتعليم قومه القرآن، وتفقيههم في الدين ، وبين له بأنّه سيكون له في ذلك الأجر العظيم والثواب من ا ، إذ يكون سببا في هدايتهم. [1]

لقد أثّر هذا الكلام كثيرا في أبي عمران الفاسي، فسارع بتلبية طلبه لأنّـه رأى في ذلك تقربا من ا تعالى، ونشرا للعلم بين أولئك الأقوام الذين تفشت فيهم الجهالـة، إلاّ أنّه لم يجد بين طلبته من يقبل هذه المهمة التي استوعرها جميعهم، فكتب إلى أحـد طلبه **بالسوس** الأقصى وهو **الفقيه وحاج بن زلوا اللمطي** [2] ليبحث ليحي عمن يصلح لهذه المهمة، لأنّه الأعرف بأحوال المنطقة ومن يصلح لذلك في بلاد الملثمين [3]. إلاّ أن الرواية التي ذكرها صاحب كتاب بيوتات فاس الكبرى، تعطي اللقاء بـين يحـي بـن إبراهيم وأبي عمران الفاسي بعدا وأهمية كبرى، حيث أورد صاحب هذا الكتاب أن **أبا عمران** لما اجتمع **بيحي بن إبراهيم** ندبه لقتال **برغواطة** [4] **وزناتة** [5] على مـا صـدر منهم من الظلم، واستنزالهم رؤساؤهم من الولاية فوعده يحي بالنهوض إلى ذلك. [6]

---

[1] البكري، **المصدر السابق**، ص 163؛ حسن إبراهيم حسن، **المرجع الـسابق**، ج4، ص 269؛ بلغيـث، **المرجـع السابق**،ج1، ص 58؛ حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين"**، ط1، مكتبة الخانجي، مصر 1980، ص 19.

[2] من أهل **السوس الأقصى**، رحل إلى **القيروان**، فأخذ عن **أبي عمران الفاسي**، ثم عاد إلى بلاده لنشر العلـم، أيـن أسس مدرسة المالكية، كثر عدد طلابه بها،كانت حصنا من حصون الحقّ في منطقة عمها الجهل والظلال في بداية **القرن5هـ/11م، أنظر** : ابن الزيات، **المصدر السابق**، ص 89.

[3] حسن علي حسن**، المرجع السابق**، ص 19.

[4] نشأت دولتهم في القرن **2هـ/8م** في **إقليم تامسنا** وهي الأراضي التي تمتد من مكان مدينة **الرباط الحالية** إلى **ثغر فضالة** الذي كان قاعدة لأسطولها، وتنتهي عند بلدة أزمور عند **مصب نهر أم الربيع**، وقد كانوا أهل انحراف وبدع، ظهر فيهم متنبئ اسمه **صالح بن طريف البرغواطي** يهودي الأصل، ادّعى فيهم النبوة فصدقوه، فشرع لهم الشرائع، ووضع لهم قرآن خاص بهم. **أنظر** :السلاوي **، المصدر السابق،**ج2، ص 179 وما بعـدها؛ العبـادي ، المرجـع السابق ،ص 299.

[5] تشمل كل من **مكناسة ومغراوة** وغيرها من القبائل الزناتية، التي تداولت حكم **المغرب الأقـصى**، قبـل مجـيء المرابطين، و كانت تشكل حصارا حول التكتلات السياسية القائمة، لاسيما برغواطة. **أنظر** : نفس المرجع الـسابق، ص 309 وما بعدها.

[6] نفس المرجع السابق، ص 291؛ بن بية**، المرجع السابق**، ص ص 53-54؛ حسين مؤنس، المـصدر الـسابق، مج2، ص 13.

فهذه الرواية فيها إشارة صريحة إلى أن أبا عمران هو الذي وضـع الخطـوط الأولى مع يحي بن إبراهيم لإنشاء دولة صحراوية على أسس دينيـة صـحيحة، كـي تتمكن من القضاء على الفوضى السياسية والدينية التي عرفها المغـرب فـي القـرن **5هـ/11م** [1]، ثم إن **أبا عمران** كان رجل إصلاح وسياسة وتدبير، إلى جانب كونه رجل علم، وكان من بين الثائرين على أوضاع قومه بموطنه الأصلي **فاس** وعرضه أمـره بالمعروف ونهيه عن المنكر للنفي من طرف عامل **مغراوة** على **فاس**، فرحـل إلـى **القيـروان**، وهناك أيضا ساهم كثيرا في التصدي للمذهب الشيعي، واسـتطاع بفـضل جهوده وجهود العلماء المالكيين من القضاء عليه وإخراج الصنهاجيين من التبعية للدولة الفاطمية. [2]

فهذه العوامل هي التي دفعت بعض الباحثين إلى الاعتقاد أن **أبا عمـران الفاسـي**، كان وراء **فكرة إنشاء دولة مجاهدة بالمغرب الأقصى** [3]، ويعتبر فعـلا المنظـر الأول للدولة المرابطية [4]، [5] وتنفيذا لأفكاره، أحال أمير الملثمين **يحي بن إبراهيم** على أحـد طلبته **بالسوس** الأقصى وهو **الفقيه وجاج بن زولو اللمطي**، الذي كان يقيم برباط لـه

---

[1] العبادي **،** المرجع السابق ،ص291.

[2] بن بية ، نفس المرجع السابق، ص 54.

[3] العبادي **،** نفس المصدر السابق، ص 291.

[4] بلغيث ، **المرجع السابق،** ج1، ص 58.

[5] ذهبت دراسات أخرى إلى أبعد من ذلك، من بينهم **عبد ا العروي**، الذي توصل في استنتاجاته، أن قيـام دولـة المرابطين، كان ضمن خطّة شاملة مرسومة، من طرف **الخلافة العباسية**، لتطويق الدولـة الفاطميـة، بـالجيوش السلجوقية شرقا والمرابطين غربا، واعتمدت الدعاية السنية على **الأشاعرة** في الشرق، ولعب الدور الرئيسي فيهـا **أبو بكر الباقلاني**، وعلى المالكية في الغرب وعلى رأسهم **أبو عمران الفاسي**، فهذه النتـائج التـي توصـل إليهـا العروي، جريئة جدا يمكن أن تكون تحميلا للوقائع أكثر مما هي عليه، رغم أن فكرة التصدي للشيعة كانـت لـدى علماء السنة، فإن فكرة المخطط العام لم نجد في المصادر ما يشير إليها، وقد تأثر باستنتاجات **العروي، بوشـتيش إبراهيم القادري** الذي ذهب هو الآخر إلى أن رحلة يحي إلى الحج، لم تكن بمحض الـصدفة، ولا لغـرض دينـي بحت، وإنّما سارت وفق خطة محكمة لإنشاء دولة مالكية توحد المغرب الإسلامي. أنظر : عبد العروي عبـد ا ، **مجمل تاريخ المغرب**،المركز الثقافي العربي ، ج2، ص ص 112-113؛ بن بيـة، **المرجـع الـسابق**، ص 55؛ بوشنتيش إبراهيم القادري : **تاريخ الغرب الإسلامي**، قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحـضارة، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- القاهرة، ص ص 277-278.

في مدينة **نفيس** يسمى دار المرابطين ليزوده بأحد تلاميذه ممن يثق في دينه وحـسن سياسته وعمله. [1]

فالدافع إذن وراء إرسال **يحي بن إبراهيم الجدالي** إلى **وجاج** من طرف أبـي عمران، لم يكن لعدم مقدرة هذا الأخير في إيجاد أحد طلاّبـه ليقـوم بالمهمـة لأنّهـم استوعروها، وإنّما لرغبته في أن يتولى هذه المهمة، أحد من أبناء منطقـة الملّثمـين، لأنّهم الأعرف بطباع أهاليهم، والأصلح إذن من يقوم بهذه المهمة، خاصة وأنّه ينبغـي على الشخص المكلّف بها أن يكون على معرفة بلسان الملّثمين، حتى يضمن لمهمتـه النجاح [2]، لذلك عندما وصل يحي بن إبراهيم إلى وجاج وسلّم له الرسالة، ما إن عرف محتواها، حتى انتدب ليحي أحد أنجب طلاّبه، من أهل الدين والتقوى، وهو **عبد ا بن ياسين الجزولي** [3]، الذي سيبدأ بظهوره عهد جديد من تاريخ المغرب.

3- عبد ا بن ياسين ودوره في قيام دولة المرابطين :

هو عبد ا بن ياسين ابن مكوك بن سير بن علي بن ياسين الجزولي ، ولد في إحدى القرى القريبة من مدينة **أودغشت** في طرف صحراء غانة، ولا تذكر كتب السير والتراجم شيئا من طفولته سوى أنّه من **جزولة،** وأنّه رحل إلى الأندلس علـى عهـد الطوائف، فأقام بها سبع سنين، حصل خلالها علوما كثيرة [4]، ثم مر في رحلة العـودة إلى بلاده بقبائل برغواطية، كانت منحرفة عن الإسلام، وبقبائل مصمودية التي لم يكن فيها إمام، فهاله الوضع بهذه المناطق، وما وجد عليه أهلها من التفكك والفوضى التـي كانت سائدة، ومجانبة تعاليم الدين الصحيح، فحاول إصلاح الأوضاع بالدعوة إلى الألفة والخير لكن دعوته لم تجد أذنا صاغية [5]، فما كان أمامه إلاّ شد الرحال إلـى **نفـيس**

---

[1] العبادي، **المرجع السابق**، ص 291.

[2] بن بية، **المرجع السابق**، ص 56.

[3] عياض ، **ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك**، ضبطه وصححه محمد سالم هشام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/ 1998م،مج2، ص 333.

[4] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 20؛ السيد محمود، **المرجع السابق**، ص 23؛ الإدريسي علي، **عبد ا بن ياسين، معجم مشاهير المغاربة** ،تنسيق أبو عمران الشيخ و آخرون ، الملكية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995، ص 557.

[5] ابن عذاري، **المصدر السابق،** ج4، ص 10.

حيث انضم إلى دار المرابطين وأخذ العلم من شيخها وجاج [1]، الذي تأثّر بـه كثيـرا، واكتسب منه صفات فقهاء المالكية الكبار، كالتحلّي بالزهـد والتقـشف، والبعـد عـن السلطان، واللّجوء إلى الربط تقربا إلى ا تعالى.

إن هذه النشأة العلمية هي التي خلقت من **عبد ا بن ياسين** شخصية متميزة [2] فكان شهما قوي النفس، حاذقا، ذا رأي وتدبير ، ذكيا نبيلا من أهـل الـدين والـورع ومهيبا [3]، لذلك لم يتردد ولو للحظة في قبول المهمة الموكلة إليه بل اعتبرها من صميم رسالته في الجهاد، ونشر تعاليم الإسلام الصحيحة بين سكان تلك النواحي الذين حرموا نعمة العلم والمعرفة [4]، وانطلق مباشرة مع يحي ، حتى وصـلا إلـى قبيلـة **جدالـة**، فاستقبله أهلها بكثير من الحفاوة والترحيب، غير أنّه هاله الوضع الذي وجدهم عليه من البعد عن المبادئ الإسلامية الصحيحة، [5]، فبدأ ينشر دعوته، ويبصر الملّثمين بأحكـام الدين، وقد تدرج بهم في فهم الإسلام من البسيط إلى المعقد، فكان يفسر لهم القـرآن، ويروي لهم الحديث [6]، وقد استطاع بفضل ذكائه وخبرته بطباع الناس أن يستحوذ على القلوب فحفظوا فتاويه، بحيث أضحت عندهم مما لا يعدلون عنه [7]، ولم يقتصر **عبد ا بن ياسين** على تعليم الملّثمين شعائر دينهم، بل أراد أن يـصلح سـلوكاتهم، ويهـذّب أخلاقهم ويخرجهم من حياة الخشونة والبدائية التي كانوا يعيشون فيها، فوضع لهم مـن أجل ذلك نظاما للآداب العامة، وأخذهم بالشدة والصرامة، خاصة اتجاه التقاليد المنافية للإسلام، كالزنا والسرقة، والزواج بأكثر من أربع. [8]

---

[1] مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق**، ص 20؛ دندش،**المرجع السابق**، ص 63.

[2] بن بية، **المرجع السابق**، ص 57.

[3] عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 22.

[4] مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق**، ص 20؛ عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، ج2، ص 692؛ حسين حمدي عبد المنعم، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، القـاهرة، 1997، ص ص 38-39.

[5] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 78.

[6] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 20؛ ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص ص 182-183؛ حسن أحمـد محمود، **المرجع السابق**، ص 19.

[7] عياض ،**المصدر السابق**، ص333و ما بعدها .

[8] حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته**، مج2، ص 15.

إن هذه الإصلاحات التي فرضها **عبد ا بن ياسين** على الملّثمين، كانت بمثابة ثورة حقيقية على النمط السائد في حياة الملّثمين بكل جوانبه ومحاولة لإعـادة تـشكيله على نمط جديد مبني على الدين القويم، ولم يكتفي عبد ا بن ياسـين علـى إصـلاح عقائدهم وإلزامهم بالأحكام، بل نفذ إلى أبعد من ذلك، حيث كان هدفه الأكبر هو بنـاء قاعدة وأساس متين لدولة الحقّ التي يسعى إلى إنشائها، فأدرك الملّثمـون أنّهـم أمـام تحول جذري زمامه بيد **عبد ا بن ياسين**، فضاق أصحاب النفوذ من ذوي النفـوس الخبيثة بالفقيه المصلح الذي سيحطم بدعوته ما أقاموه مـن مجـد، فرفـضوا دعوتـه وطعنوا في آرائه وعلمه، وانحرفوا عن تعاليمه، وحرضوا الناس للانصراف عنـه [1]، وكان على رأس هؤلاء فقيه يدعى **الجوهر بن سكيم** [2] مع بعض كبار الجداليين، حيث ثاروا ضده وقاموا بعزله عن المشورة والرأي، وأبعدوه عن بيت المال الذي كانوا قـد أسندوه إليه، ثم عملوا على طرده من أرضهم، بسبب هذه الأحداث أرسل عبد ا بـن ياسين مكتوبا إلى شيخه **وجاج بن زلو** لأنه هو الذي أرسله إلى هذه المنطقة، ولا يمكنه تركها دون العودة إليه [3]، فكتب وجاج برسالة عتاب إلى بعض شيوخ جدالة على مـا كان منهم إلى الفقيه المصلح ، وأعلمهم أن من خالفه فقد فارق الجماعة وأن دمه هدر.[4]

هكذا انتهت المرحلة الأولى لعبد ا بن ياسين بالفشل، لبقائهم علـى انحـرافهم وإعراضهم عن المبادئ التي بثّها بينهم [5]، فقرر اعتزالهم مع صاحبه **يحي بن إبراهيم** في مكان معزول [6] أين قام باتباع طريقة أخرى في محاولة الإصلاح، وذلك عن طريق

---

[1] بن بية، **المرجع السابق**، ص 59.

[2] أسماه ابن عذاري في بيانه الجوهر بن سحيم، وذكر أنه هو الذي تزعم حركة الناقمين من الجداليين على عبد ا بن ياسين. ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 8.

[3] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 9.

[4] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص 59 وما بعدها.

[5] بلغيث، **المرجع السابق**، ج1، ص 59؛ حسين مؤنس، **المرجع السابق**، مج2، ص 17.

[6] اختلفت الآراء وتضاربت في تحديد مكان رباط عبد ا بن ياسين، فذهب **أبي زرع** إلى أنّه في جزيرة قبالة البحر المحيط أي المحيط الأطلسي، في حين توصل باحثين محدثين إلى أنّه في جزيرة في مصب نهر السنغال، كما أجمع آخرون **كابن خلدون**، وحتى بعض المؤرخين المتأخرين على تحديد جزيرة تدرا الموريتانية على أنّها المكان الـذي التجأ إليه **عبد ا بن ياسين** وهو المكان المرجح بإجماع المؤرخين،غير أن البحوث الأخيرة توصلت إلـى أنـه لا شيء يدل على وجود بناء قد تم في هذه الجزيرة إطلاقا. ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 79؛ ابـن خلـدون،

إنشاء رباط [1] للتعليم والعبادة، امتثالا لقوله تعالى : " **يا أيها الـذين آمنـوا اصـبروا وصابروا ورابطوا لعلّكم تفلحون** " [2]، وقد رحل مع **عبد ا بن ياسين** نفر قليل مـن أتباعه اعتبروا النواة الأولى التي شكلت المجتمع الجديد، وكان من أبرز أصحاب عبـد ا بن ياسين في هذه المرحلة **يحي بن عمر وأبو بكر بن عمر**، اللذين سيكون لها دور كبير في بناء صرح دولة المرابطين [3]، هكذا ولم تمض فترة قصيرة على رحيل عبـد ا بن ياسين حتى سمع بأخباره، وأخبار أهل الرباط، الكثير من الصالحين، الـراغبين في تحصيل العلوم الدينية، فانضموا إليه وأخذوا عنه مبادئه بالرغم مـن قـسوتها [4]، فتعاليم **عبد ا بن ياسـين** كانت تشترط على المريد " إذا دخل في دعوتهم، وتاب عن سالف ذنوبه، قالوا له: أذنبت ذنوبا كثيرة في شبابك فيجب أن يقـام عليـك حـدودها وتتطهر من إثمها، فيضرب حد الزاني مائة سوط، وحد المفتري ثمانين سوطا، وحـد الشارب". [5]

غير أن الرباط والحياة فيه لم يكن هدف **عبد ا بن ياسين**، بل كان في نظـره مجرد وسيلة لإعداد فئة مؤمنة، مشبعة بالتقاليد الإسلامية الصحيحة، والآن بعدما حقق ما كان يصبوا إليه من تكوين جماعة قادرة على تحمل مشاق دعوته [6]، قام فيهم خطيبا يعضهم ويذكرهم مهمتهم التي رابطوا من أجلها وهي الأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكر، والجهاد في ا حقّ جهاده [7] فما كان جوابهم إلاّ أن قالوا : " مرنا بمـا شـئت

=**المصدر السابق**، ج6، ص 183؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 125؛ بلغيث، **المرجع الـسابق**، ج1، ص 59، الهامش رقم 112؛ عبد العزيز سالم، **المصدر السابق**،ج2، ص 692.

[1] الرباط هو بناء يجمع بين الصفتين الحربية والدينية، فهو إلى جانب مهمته العسكرية في مدافعة العدو، مأوى للعباد والنساك. أنظر : ابن الأثير، **المصدر السابق**،ج5، ص 96؛ عبد العزيز سالم،**نفس المرجع السابق**،ج2، ص 693، 694؛

[2] **سورة آل عمران، الآية 200.**

[3] عبد العزيز سالم، **نفس المرجع السابق**،ج2، ص 693؛ بن بية، **المرجع السابق**، ص 61.

[4] **نفسه،**ج2، ص 695.

[5] البكري، **المصدر السابق**، ص 169؛ بلغيث، **المرجع السابق**، ص 60.

[6] بن بية، **المرجع السابق،** ص 64.

[7] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 79؛ الإدريسي علي، **المرجع السابق**، ص 558.

تجدنا سامعين طائعين "[1]، وبهذا يكون **عبد ا بن ياسين** قد وضع منهاجـا وسياسـة حازمة خولته لزعامة هذه القبائل، كما أدت تعاليمه إلى انتقاء أطهر الملّثمين وأشـدهم حرصا وصبرا على مبادئ الدعوة الجديدة حتى يتمكّن من الانتقال من مرحلة الـوعظ والإرشاد إلى مرحلة الجهاد بالسيف ضد من رفضوا مبادئه ودعوته"[2]، وما إن اطمئن إلى طاعة أتباعه، وولائهم المطلق له ولمبادئه حتى خرج من عزلته، وهم علـى رأس جماعته إلى شيوخ الملّثمين يدعوهم إلى التوبة ويخوفهم عقاب ا ، فلما يئس منهم أمر أصحابه بغزوهم [3]، فبدأ بقبيلة **جدالة،** التي أذعنت لهم بعد قتال مرير انتهـى بإسـلام أهلها إسلاما صحيحا في سنة **434هـ/1044م** ثم سار إلى قبيلة **لمتونة** ثم إلى **مـسوفة** فقاتلهم حتى أذعنوا إلى الطاعة و التوبة وبايعوه على إقامة الكتاب والـسنة، ومـا إن رأت القبائل الصنهاجية ذلك حتى سارعت إلى إقرار السمع والطاعة لعبد ا بن ياسين فقبل منهم [4]، وشرع مع أتباعه في تعليمهم أمور دينهم، وتوجيههم داخل إطار حلـف جديد، تختلف أسسه عن الأحلاف السابقة، إذ أقيم هذا الحلف على أساس من التقـوى، وبسط لواء الإسلام و الإخاء، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور. [5]

هكذا تحول دور **عبد ا بن ياسين** إلى جهاد بالسيف كان يهدف من خلاله إلى إقامة سلطة تتمكن من تجسيد الإصلاح الذي وضع أسسه ورسم منهجه [6]، وهذا ما كان فعلا حيث استدعته المتغيرات الطارئة إلى إنشاء جهاز يدير منه شؤون المجتمع الجديد فسمى أتباعه بالمرابطين [7]، واختار يحي بن عمر ليكون أميرا عليهم، ولقبـه بـأمير

---

[1] ابن أبي زرع، **المصدرالسابق ،ص79.**

[2] بلغيث، **نفس المرجع السابق،**ج1، ص 60.

[3] ابن أبي زرع**، نفس المرجع السابق، ص 126؛** بلغيث، **نفس المرجع السابق، ص 60؛ بن بية،** المرجع السابق، ص 65.

[4] **نفس المصدر السابق**، ص ص 79-80؛ الإدريسي علي، **المرجع السابق**، ص 558.

[5] حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص 41؛ بن بية، **المرجع السابق**، ص 66؛ حسن علي حسن**، المرجع السابق**، ص 22.

[6] النجار عبد الحميد، **المهدي بن تومرت**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/ 1983م، ص 40.

[7] اختلف المؤرخون حول أصل تسمية المرابطين، فأورد **ابن أبي زرع** وابن خلدون أنّها جـاءت مـن الربـاط أو الرابطة، ومعناها ارتباط الخيل، ومنه المرابط، وهو الملازم للثغور الإسلامية، **أما ابن عذاري، وصـاحب الحلـل الموشية،** فذهبوا إلى أن هذا الاسم، يرجع إلى موقعة حربية، استبسلت فيها قبيلة لمتونة ، فأطلق عليهم عبد ا بـن

الحقّ [1]، وكلّه النظر في أمور الجهاد، وفي حين اقتصر دوره على النظر في شـؤون الدين. [2]فضرب بذلك مثلا عظيما من أمثلة الزهد في المناصب والمصلحة الشخـصية، وبرهن أنّه لم يكن من السعاة إلى الملك والمجد، وإنما كان رجل إصلاح وديـن [3]، إلاّ أنّه بالرغم من ذلك فلقد كان يحض لدى القوم بمكانة عالية، حيث كان صاحب الأمـر والنهي، وإليه يعود تصريف الأمور حتى أن **أبا زكريا يحي بن عمر،** كان مـن أشـدّ الناس انقيادا له، فكان كلما تقدم بجيشه، قدم أمامه **عبد ا بن ياسين،** الذي كان فـي الحقيقة هو القائد الآمر والناهي، حتى ولو كان يقول لهم أنّه معلم دينهم فقـط [4]، وقـد صور **البكري** أبو عبيد أحسن تصوير تلك السيطرة الروحية والسلطة العلمية لعبـد ا بن ياسين في قوله: " وكان يحي بن عمر من أشد الناس انقيادا لعبد ا بـن ياسـين، وامتثالا لما يأمر، وقد حدث جماعة أن عبد ا قال في بعض تلك الحروب :" يا أيهـا الأمير إن عليك حقا أدبا فقـال لـه يحـي : ومـا الـذي أوجبـه علـي، قـال لـه عبد ا : .... لا أخبرك به حتى آخذ حقّ ا منك، فطاع له الأمير بذلك، وحكمه في بشرته وضربه ضربا بالسوط ثم قال له : الأمير لا يدخل القتال بنفسه لأن حياته حياة عسكره، وهلاكه هلاكهم ". [5]

ولما انتهى **عبد ا بن ياسين** من تنظيم مجتمعه، وجه قواته إلى ميادين الجهاد في مختلف المناطق المحيطة بالملّثمين، ففي الجنوب كانت مملكة **غانا** تتهـددهم. وإن سقطت في يد المرابطين سيكون ذلك فاتحة لإسلام السودان الغربي [6] لذا قرر **عبد ا بن ياسين** جهادها، وكلّف الأمير **يحي بن عمر** بذلك، فقام بعدة حملات، كان النـصر فيها حليف المرابطين، وكان من نتائجها احتلال مدينة أودغشت **سنة 446هـ،** وطرد

=ياسين اسم المرابطين لصبرهم وحسن بلائهم، ورباطة بأشهم. أنظر : ابن أبي زرع، **المصدر الـسابق**، ص 79؛ ابن **خلدون**، **المصدر السابق**،ج6، ص 189؛ ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 12؛ مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 21.

[1] ابن عذاري، **نفس المصدر السابق**،ج4، ص 12.

[2] مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق**، ص 21؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 148.

[3] نفس المصدر والصفحة ، ص 21؛ بن بية، **المرجع السابق**، ص 66.

[4] نفس المصدر، ص 10.

[5] البكري، **المصدر السابق**، ص ص 166-167؛ النجار عبد الحميد، **المرجع السابق**، ص 41.

[6] بلغيث، **المرجع السابق**،ج1، ص 61.

الغانيين منها، وقد اكتفى المرابطون في هذه الآونة بهذا النصر، ورجع يحي بن عمـر إلى ديار الملثمين أين كانت تنتظره مهمات أخرى.[1]

كما شاع في بلاد المغرب الأقصى، خروج المرابطين من الصحراء وأن " دعوتهم مبنية على دين متين، وتأسيس بفقه، وأنّه إسلام جديد، فحذقت إليهم العيون وصـرفت إليهم الوجوه "[2] وكان المغرب الأقصى في هذه الفترة يعيش فـي فوضـى سياسـية ودينية، حيث ساد فيه الظلم والجور وانتشرت في ربوعه الانحرافات في ظلّ الطوائف المختلفة التي حكمته[3] والمتمثلة في قبائل غمارة في الشمال[4]، وقبائل برغواطة فـي الغرب[5]، وقبائل زناتة حول نطاق هـذه القبائـل[6] وطوائـف الـشيعة والرافـضة والوثنيين.[7]فتعلّقت آمال أهل هذه المناطق بالمرابطين، وإمامهم لمـساعدتهم وإصـلاح أحوالهم، فمنذ ذلك الحين بدأت الرسائل تتوافد على **عبد ا بن ياسين**، شاكية وضـع المغرب ومستغيثة به، الأمر الذي حفزه جديا في التوجه شمالا ليبدأ بذلك صفحة جديدة من تاريخ المغرب بإنشاء إمبراطورية عظمى قائمة على الجهاد[8]، **لكن يا تـرى هـل كان لاهتمام عبد ا بن ياسين بمنطقة المغرب الأقصى دوافع غير الدافع الديني** ؟.

تعرضت دولة المرابطين لعداوات الكثيرين ممن جاءوا بعدها، والـذين شـنّوا عليها حملة ظالمة كان الدافع إليها إما تعصبا دينيا أو مذهبيا، إما كراهـة سياسـية أو

---

[1] بن بية، **المرجع السابق**، ص 67.

[2] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق ليفي بروفنـسال، ط2، دار الكشوف، بيروت، 1956، ص 243.

[3] العبادي أحمد مختار، **المرجع السابق**، ص 288.

[4] هم فرع من قبائل مصمودة، سكنوا جبال الريف من نواحي سبتة وطنجة غربا إلى وادي نكور شرقا، وقد عرفوا بإنحرافهم عن الإسلام في القرن الرابع. العبادي، **نفس المرجع السابق**، ص 298.

[5] السلاوي، **المصدر السابق**،ج2، ص 179.

[6] العبادي، **نفس المرجع السابق**، ص 309.

[7] هم عبارة عن أقليات مبعثرة من روافض الشيعة والوثنيين، استقروا في أقصى جنوب المغرب في بلاد الـسوس، استقرت الشيعة بصفة خاصة في **تارودنت** ونواحيها، أما العناصر الوثنية فكانت تقيم في الجهات الجنوبية. أنظـر : ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 83؛ السلاوي، **نفس المصدر السابق**،ج2، ص 173.

[8] العروي، **المرجع السابق**،ج2، ص 118.

قومية، فحاولوا النيل منها وطمس فضائلها [1]، وأهمها أنّها دولة قامت على أساس ديني، وبنيت على الجهاد، لذلك لجأ هؤلاء المتحاملون إلى طرق مختلفة من أجل الحصول على حجج وبراهين على أن دخول المرابطين إلى المغرب، وفتحهم له كان عملا بربريا، مما يقوم به البدو من تخريب للمراكز الحضارية، وإحلالها أثرا بعد عين [2]، فمنهم من شبه المرابطين بالهلاليين وما قاموا به من نهب وسلب لإفريقيا [3]، والبعض الآخر أرجع اتجاه المرابطين شمالا نحو المغرب الأقصى، بسبب فقر بلادهم وشح مواردها وبسبب إصابتها بالقحط [4]، فراحوا ينعتونهم بأنهم بدو لا يعرفون لرغد الحضارة قيمة، خرجوا من صحاريهم نتيجة ظروف اقتصادية وسياسية ومناخية، فكانوا مخربين لكل حضارة مستقرة. ويزيد آخرون على هذه الأسباب سببا آخر اعتبروه رئيسيا وهو الصراع التاريخي بين صنهاجة وزناتة. [5]

ناقش بعض الباحثين [6] هذه الأسباب التي ساقها المؤرخون، بعد دراستهم لها ونظروا إليها نظرة فاحصة متأنية، فتوصلوا إلى أنّها لا تقوم على أساس تاريخي متين بل في معظمها تحاملات وأهواء يراد لها أن تكون حقائق بلا دليل فاتهام المرابطين بأنّهم بدو لا يعرفون لرغد الحضارة قيمة، هجروا صحاريهم إلى الشمال المتمدن، فعاثوا فيه فسادا، هو افتراء واضح، لأن المرابطون هم أول من وحدوا جميع قبائل المغرب الأقصى تحت سلطان واحد وكونوا فيه أول دولة عظمى شهدها في تاريخه، ساد فيها الرخاء وعما فيها الأمن طيلة فترة من الزمن [7]. أما أنّهم هجروا الصحراء بسبب قحطها وأن **عبد ا بن ياسين** هو الذي أمرهم بذلك، فأمر يحتاج إلى أدلة كثيرة

---

[1] العبادي، **المرجع السابق**، ص 287؛ ومن أشهر المتحاملين على الدولة المرابطية البيدق في كتابه " **أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين** ، و المراكشي، في كتابه **المعجب** والشقندي في رسالته التي كتبها في فصل الأندلس على المغرب، وكان على رأس المستشرقين الذين ساروا على درب هؤلاء راينهارت دوزي في كتابه **الإسلام الإسباني**.

[2] بن بية، **المرجع السابق**، ص ص 68-69.

[3] بلغيث، **المرجع السابق**،ج1، ص 64.

[4] ابن الأثير، **المصدر السابق**،ج8، ص 177.

[5] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 189.

[6] بن بية، **المرجع السابق**، ص 69 وما بعدها.

[7] حسين مؤنس، **المرجع السابق**،ج2، ص 69 وما بعدها.

لإثباته لأن **ابن الأثير** غير معاصر للأحداث، وبعيد عن الفترة ما يقارب القرنين من الزمن كما أن التاريخ الذي أورده لبداية التوجه شمالا هو **سنة 450هـ** [1]، تاريخ بعيد عن الصحة، لأن المسكوكات المرابطية التي تم العثور عليها، تشير بعضها إلى أنّها ضربت في **سجلماسة** عام 450هـ، وهذا إثبات على أنّهم دخلوا المنطقة قبل هذا التاريخ، ثم إن الملثمين باعتبارهم من سكّان الصحراء، فقد تعودوا على طبيعتها، وسنين القحط بها، ومن غير الممكن أن يهجروا بلادهم بسبب قحط أصابهم.أما العامل القبلي الذي اعتبره البعض السبب الرئيسي في توجه المرابطين شمالا فنرى أن دعوة عبد ا بن ياسين كان هدفها الأول هو إعادة نشر الإسلام، وإحياء شرع ا بين سكان هذه المناطق، الذين تفشى فيهم الجهل، وجعل الفوارق العصبية والقبلية تذوب في بوتقة الحزب الجديد " حزب المرابطين "، خاصة وأن العداوة كانت مستحكمة بين قبائل الصحراء أنفسهم، وبفضل **عبد ا بن ياسين** استطاعوا تكوين جيش ومجموعة واحدة هويتها وانتماؤها الإسلام، الذي يعد أوسع وأشرف من القبيلة. [2]

غير أن الباحث المنصف لا ينكر بعض الدوافع المادية والاقتصادية [3] في توجه المرابطين شمالا، كما أن الحدث التاريخي لا يمكن أن يكون لعامل واحد فقط، وإنّما بطبيعته ناجم عن تفاعلات كثيرة، وبنسب متفاوتة لذا فإن نسبة تأثير كلّ سبب هي المهمة، ومن هنا نجد أن العامل أو الأثر الديني كان أقوى من أي أثر آخر [4] فالمغرب في تلك الفترة كان يعاني محنة سياسية ودينية خطيرة [5]، وكان في حاجة ماسة إلى معجزة تنقذه من الوضع المتردي الذي كان سائدا فيه، وكانت تلك المعجزة هي المرابطين، والمبرر الواضح لانطلاق المرابطين لفتح المغرب الأقصى هو الجهاد للقضاء على البدع والانحرافات والظلم والفساد الذي كان متفشيا بين قبائل المغرب

---

[1] ابن الأثير، **المصدر السابق**،ج8، ص 177.

[2] بن بية، **المرجع السابق**، ص ص 70-71.

[3] تتمثل الدوافع الاقتصادية في أحكام السيطرة التامة على الخطوط التجارية والصحراوية التي تربط الشمال بالجنوب، لأنّها الطريق الوحيد للسيطرة على تجارة الملح، ومناجم الذهب، التي شكلت قوة ضاربة للمرابطين في بداية نشأة الدولة. **أنظر** : بلغيث، المرجع السابق، الجزء الأول، ص 63.

[4] إبراهيم حركات، **النظام السياسي والحربي**، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، ص 114.

[5] العبادي، **المرجع السابق**، ص 228.

الأقصى [1]، وكان ذلك ضمن خطّة محكمة هي التي فوض **أبو عمران الفاسي يحي بن إبراهيم** لإنجازها والمتمثلة في مقاتلة الظلمة الزناتين، وجهاد البرغواطيين. [2] ولإنجاز هذه المهمة الشاقة، قام **عبد ا بن ياسين** بتكوين الأداة القادرة علـى تنفيـذها، ولمـا انتهى من تكوين جماعة قوية مدربة قادرة على إنقاض المغرب الأقصى، بـدأ بتنفيـذ مهمته، ويؤكد هذه الحقيقة أن توجه المرابطين إلى المغرب الأقصى جاء بعد استدعاء من **وجاج بن زلو اللمطي**، شيخ عبد ا بن ياسين الذي بعث إليه يشكوا ما نالوه مـن التعسف و الجور على أيدي أمراء **بني وانودين المغراويين** [3]، [4] وحرضـته علـى تغيير أوضاع المنطقة [5]، فكانت منطقة **سجلماسة** [6] **ودرعة** أولى محطّات جهاد عبـد ا بن ياسين بالمغرب الأقصى، فاجتمع فقهاؤها سنة **446هـ** وأرسلوا بكتـاب إلـى **عبد ا بن ياسين** يرغبونه الدخول إلى بلادهم، ليطهروها من المنكرات. [7] فلقد شجع انتشار أخبار المرابطين كقوة إصلاحية الفقهاء بالمغرب الأقصى على لعـب دورهـم التاريخي على أكمل وجه في الثورة على ظلم حكّامهم، وإظهار رغبـتهم فـي تغييـر أوضاع مجتمعاتهم، وذلك لأنّهم وجدوا في هذه الدعوة ما يتماشى مع مبـادئ الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقاموا بدورهم في الاستنجاد، ومحاولة التغيير، كما قام عبد ا بن ياسين بواجبه في تلبية طلبهم، باعتباره حامل رسالة الإسلام، وداعية إلـى الحقّ ونشر العدل. [8]

---

[1] بلغيث، **المرجع السابق**، ج1، ص 63.

[2] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص 71.

[3] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 81؛ رابح بونار،**المغرب العربي تاريخه و ثقافته** ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر 1968م ، ص 236؛ السلاوي ، **المصدر السابق**،ج2، ص 173؛ عبد العزيـز سـالم،**المرجـع السابق**، ج2، ص 696.

[4] كان على رأس **مغراوة الزناتيين**، في ذلك الوقت، **مسعود بن وانودين بن خـزرون بـن فلفـول الهزرجـي** . السلاوي، **نفس المصدر السابق**،ج2، ص 12.

[5] ابن خلدون، **المصدر السابق**،ج6، ص 183.

[6] هي مدينة تقع في جنوب المغرب، أنشأها الخوارج الصفرية و كانت محطة تجاريـة أساسـية بـين المغـرب والسودان وإفريقيا خلال عصر المرابطين. أنظر : ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج1، ص 215؛ السلاوي ، **نفس المصدر السابق**،ج2، ص 171؛ الهامش رقم 18.

[7] **نفس المصدر السابق**، ج2، ص 171.

[8] حسن علي حسن، **المرجع السابق**، ص 23.

بدأ **عبد ا بن ياسين** في الاستعداد، وزحف في جيش عظيم مـن المـرابطين رفقة **يحي بن عمر،** فاحتلوا درعة بعد أن قتلوا أميرها **مسعود بن وانودين** والكثيـر من جيشه وغنموا مغانم كثيرة [1]، ثم وجهوا نظرهم إلى سجلماسة فدخلوها، وأقاموا بها وقتا حتى أصلحوا من أحوالها، وغيروا المنكرات وأسقطوا المغارم والمكوس، وتركوا ما أوجبه الشرع [2]، فكانت هذه الأعمال بمثابة ثورة حقيقية علـى العـادات الفاسـدة، ومحاولة إصلاحية للأوضاع بإرجاعها إلى النهج الإسلامي القويم [3]، كما قام **عبد ا بن ياسين** بإخراج خمس الغنائم، وقسمها على فقهاء **سجلماسة و درعة** وقسم البـاقي على الجند المرابطين [4]، لأنّه رأى في هاتين الفئتين السند والإمـداد لدعوتـه، ومـا تصرفه ذلك إلاّ ليثبت أن المرابطين لا يسيرون إلاّ بتوجيهات العلماء ونصائحهم . [5]

وبعد أن انتهى **عبد ا بن ياسين** من مهمته في منطقة سجلماسة شقّ طريقـه للعودة إلى الصحراء مع معظم المرابطين، تاركا فرقة من جيـشه لرعايـة مـصالح المواطنين بـها، وقدم عليها عاملا من **لمتونة** لإدارة شؤونها [6] غير أن عبـد ا بـن ياسين ما كاد يصل إلى الصحراء حتى نشبت ثورة حقيقية في سجلماسة كان الغـرض منها القضاء على القوة المرابطية واستعادة المدينة [7]، فعاد أدراجه، واستطاع بفئة قليلة من جيشه استعادتها [8] في الوقت الذي فيه **يحي بن عمر** يخوض معارك طاحنة ضـد قبيلة جدالة التي خرجت من طاعة المرابطين [9] والتي سقط فيها شـهيدا فـي إحـدى

---

[1] ابن عذاري، **المصدر السابق،** ج4، ص 13؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق،** ص 81؛ مؤلف مجهول، **المصدر السابق،** ص 22، حسن علي حسن، **المرجع السابق،** ص 24؛ عبد العزيز سالم، **المصدر الـسابق،** ج2، ص ص 697-696.

[2] ابن أبي زرع، **المصدر السابق،** ص 81.

[3] بن بية، **المرجع السابق،** ص 73.

[4] الناصري، المصدر السابق،ج2، ص 172؛ حسن علي حسن، **المرجع السابق،** ص 24.

[5] بن بية، **نفس المرجع السابق،** ص 73.

[6] البكري، **المصدر السابق**،ج2، ص 861؛ ابن عذاري، **المصدر السابق،** ج4، ص 13؛ ابن أبي زرع، **المـصدر السابق،** ص 81.

[7] ابن عذاري، **نفس المصدر السابق**،ج4، ص 13؛ حسن علي حسن، **المرجع السابق،** ص 24.

[8] البكري، **نفس المصدر السابق،** ج2، ص 862؛ حسن علي حسن، **المرجع السابق،** ص 24.

[9] ابن عذاري، **المصدر السابق،** ج4، ص 14.

معاركها سنة **448هـ/ 1056م** [1]، فعين أبو عبد ا بن ياسين، أبو بكر بن عمر خلفا له مثبتا مرة أخرى أن لا رغبة لديه في الإمارة، وأن مهمته التوجيهية تسمو على الأغراض المادية والدنيوية، بالرغم من أنّه كان الحاكم الفعلي للمرابطين والآمر والناهي. [2]

وقد واصل **عبد ا بن ياسين** مهمته الدعوية، بعمل جاد، سالكا فيه المنهج الإسلامي عن طريق الدعوة إلى الحقّ بالحسنى، وعدم استعمال السلاح، إلاّ إذا استدعت الضرورة ذلك واستنفذ كلّ الوسائل السلمية، فبعد أن أخذ البيعة **لأبي بكر بن عمر** من قبائل المرابطين والأماكن المفتوحة اتجه إلى قبائل **وريكة وهيلانة** [3]، يدعوهم إلى الحقّ ونبذ الفتنة واستطاع بفضل فصاحة لسانه أن يقنعهم بمبادئه والدخول في جماعة المرابطين. [4]كما فوض عبد ا بن ياسين الأمير أبا بكر بن عمر إلى غزو **السوس وبلاد المصامدة** فخرج من أجل ذلك في جيش عظيم سنة **448هـ/ 1056م** فغزا **جزولة** ثم **ماسة** ولقد أطاعته هذه البلاد ولم تبدي أي مقاومة. [5]ثم تقدم إلى **تارودنت** مركز الشيعة الرافضة ففتحوها بعد قتلوا منهم خلق كثير وأسلم الباقي [6]، وقد اعتنى **عبد ا بن ياسين** بتنظيم المناطق المفتوحة، فعين عمالا من المرابطين، وأمرهم بإقامة العدل وإظهار السنة، وأخذ الزكاة والعشر وإسقاط ما دون ذلك من المغارم الجائرة [7]، ثم واصل جهاده إلى بلاد المصامدة، ففتح **جبل درن وبلاد نفيس** [8]

---

[1] ابن عذاري، **المصدرالسابق،** ج4،ص14.

[2] بن بية، **المرجع السابق،** ص 76.

[3] اسمين لقبيلتين من قبائل المصامدة، تنسب إليهما **أغمات،** فهناك **أغمات وريكة وأغمات إيلان (هيلانة)** ، تقع الأولى على بعد ثلاثين ميلا شرق مدينة مراكش، أما الثانية، فتقع في الشمال الشرقي من الأولى على بعد أميال قليلة،أنظر : البكري، **المصدر السابق** ، ص 153؛ حسين مؤنس، **المرجع السابق،** مج2، ص 19.

[4] ابن عذاري، **المصدر السابق،**ج4، ص 15.

[5] مؤلف مجهول، **المصدر السابق،** ص 23.

[6] ابن أبي زرع، **المصدر السابق،** ص 82

[7] بن بية، **المرجع السابق،** ص 77.

[8] اسم يطلق عادة على الأطلس الكبير الغربي، جنوب مراكش أما نفيس فهي منطقة تقع إلى الجنوب العربي من مراكش. **أنظر** : الحميري، **المصدر السابق،** ص 244.

وبعد ذلك وجه نظره إلى **أغمات** التي استسلمت له بعد حصار شديد [1]، وكان أميرهـا **لقوط بن يوسف المغراوي** [2]، قد تمكن من الفرار إلى **تادلا** [3]، أيـن تبعـه الجنـود المرابطين وقاموا بقتله، وأسروا زوجته **زينب بنت إسحاق النفزاوية** [4]، [5] وبذلك لـم يبق أمام المرابطين إلاّ بعض النفوذ الزناتي **بفاس،** وبعض المنـاطق المجـاورة لهـا بالإضافة إلى البرغواطين في الجهة الغربية الذين دارت بينهم وبين المرابطين أحداث معارك طاحنة قتل على إثرها **عبد ا بن ياسين** سنة **451هـ/ 1051م**[6]**،** وبهذا يكون **عبد ا بن ياسين** قد قطع شوطا كبيرا في تكوين دولة المرابطين، فلّما غادر ترك قوة سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية قوامها الدين، تشمل رقعة ترابيـة شاسـعة ، وذات حكومة منظمة، لها أمير كفئ، ومجلسا استشاري مكون من العلماء وجيشا قويـا يدافع عنها، كما رسم لأتباعه منهجا قويما ليسيروا عليه وقد أثمر ذلك المنهج بالقضاء على البدع والفرق الظالمة وتوحيد المغرب الأقصى على مذهب أهل السنة والجماعة.[7]

فعبد ا بن ياسين لم يكن مجرد فقيه وحسب، بل كان صاحب دعوة إلى الإصـلاح، فلقد كان يدعو، ويعظ ويذكّر، لكنّه كان مقتنعا أن الحق و الإصلاح كي يثمرا لابد لهما من دولة ترعاهما وتقوم عليها، والنموذج الحاضر في ذهنه والذي كان يرسـم خطـاه ويريد الوصول إليه، هو دولة الإسلام في عهدها الأول المجيد، عهد رسول ا صـلى ا عليه وسلّم وأصحابه من بعده. [8]

---

[1] رابح بونار ، **المرجع السابق،** ص 237.

[2] آخر أمراء مغراوة بفاس، السلاوي،**المصدر السابق** ،ج2، ص 177.

[3] تقع على الشمال والشرق من مدينة أغمات وأهلها أخلاط من البربر، وتادلة مدينة زراعية، تنتج القطـن كثيـرا **أنظر :** الإدريسي، **المصدر السابق**،ج1 ،ص 241.

[4] ابن خلدون، **المصدر السابق**،ج6، ص 183.

[5] أصلها من بيت كبير من بيوتات قبيلة نفزاوة الزناتية، تزوجها **أبو بكر بن عمر** ولما طلّقها تزوجت بابن عمـه **يوسف بن تاشـفين،** فكان ذلك كما يقولون " عنوان سعدة بل يزعمون أنها دلته على كنوز مال عظيمة، جمعتها من أزواجها السابقين، فانتفع يوسف بهذا المال في إقامة ملكه وأعانته بذكائها على أمره وإرساء دولته ". **أنظر** : حسين مؤنس، **المرجع السابق،**مج2، ص 21؛ السلاوي، **المصدر السابق،** ج2، ص 177.

[6] البكري،**المصدر السابق،** ص 168؛ عبد العزيز سالم، **المرجع السابق،** ص 697؛ بلغيث، **المرجع السابق،** ج1، ص 65.

[7] بن بية، **المرجع السابق،** ص ص 81-82.

[8] **نفس المرجع والصفحة.**

4- تواصل جهود عبد ا بن ياسين وظهور يوسف بن تاشفين :

عمل **عبد ا بن ياسين** قبل وفاته على تجديد البيعة **لأبي بكر بن عمر** ، ووكلّه القيام بمهام أخرى كان يقوم بها، مثل تقسيم الزكاة والأعشار [1]، فقبل شيوخ المرابطين تقديمه عليهم وأجمعوا على ذلك [2]، كما اتفقوا على تولية زعامة المـرابطين الروحيـة فقيه اسمه **سليمان بن العذراء** [3]، ولكنّه توفي هو الآخر، فلم يعينوا خلفا لـه [4] وإنّمـا توارث سلطته فقهاء المذهب المالكي الذين واصلوا عمل **عبد ا بن ياسين**، وكـانوا يوجهون الأمراء ويحركونهم. [5] وبعد ذلك عبأ **أبو بكر بن عمر** قواته واستأنف عمـل شيخه في جهاد **برغواطة** وقد تمكن الأمير أبو بكر بن عمر من القضاء على نحلـتهم وتمزيق شملهم، حتى أذعنوا له بالطاعة، واعتنقوا الإسلام دينا، ولم يبقى لنحلتهم أثر[6]، وقبل أن يتابع أبو بكر مسيرته الجهادية كان قد اتّخذ مـن **أغمـات** مركـزا لقيادتـه وعاصمة لدولته، وذلك منذ رحب أهلها بالعدل الذي أقامه المرابطون خاصة بـرفعهم المكوس والضرائب واقتصارهم على الزكاة والعشور [7]، ومنها انطلق لإكمال مهمتـه في الجهاد ففتح بلاد **فازاز** ثم **مكناسة** و **لواتة** ، ثم عاد إلى مركز قيادته، وبينما أبو بكر بن عمر مستقر بأغمات، حتى وصلته أخبار فتنة وقعـت بـين قبيلتـي **مـسوفة ولمتونة** [8]، وكان الوضع خطيرا لأن هاتين القبيلتين هما القاعدة الخلفيـة والاحتيـاط البشري للمرابطين ، فخشي افتراق كلمتهم [9] فعاد مسرعا إلى الـصحراء **552هـ /**

---

[1] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 84.

[2] **نفس المصدر والصفحة**.

[3] أحد أبناء عمومة **عبد ا بن ياسين**، ورفاقه وأحد تلاميذ شيخه، وجاج بن زولو ا، وسماه ابن خلدون، سـليمان بن عدو، ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص 184.

[4] العروي ، **المرجع السابق**، ص 116.

[5] عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، ج2، ص 698.

[6] ابن خلدون، **نفس المصدر السابق**، ج6، ص 184.

[7] العبادي، **المرجع السابق**، ص 316.

[8] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص ص 85-86؛ ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 20؛ ابـن خلـدون، **نفس المصدر السابق**،ج6، ص 184.

[9] ابن خلدون، **نفس المصدر السابق**، ج6، ص 184.

1060م حتى يعيد الأمور إلى نصابها ويزيل أسباب الفرقة [1]، وقد أحس الأمير أبو بكر أن المهمة سوف تطول لأنّه سيتولى بنفسه مهمة الجهاد بأرض السودان الغربـي [2] ، فأجبره الوضع الجديد على اختيار أحد قادته لتوكيله شؤون **المغرب الأقصى** ومواصلة جهود الإصلاح الذي بدأ زمامه مع إمامه **عبد ا بن ياسين** فوقع اختياره علـى ابـن عمه **يوسف بن تاشفين اللمتوني**[3]، الذي ظهر اسمه لأول مرة عندما جعله **أبو بكر بن عمر** على مقدمة جيشه السائر لفتح بلاد المصامدة وبلاد السوس ، أين ظهرت براعته العسكرية فيما شارك به المرابطون من فتوحات في أنحاء المغرب [4]، فرضي أشـياخ المرابطين بهذا الاختيار لما كانوا يعلمونه من دين وشجاعة وعدل وورع **يوسف بـن تاشفين** [5] حيث فوض الأمير أبو بكر بن عمر أمر المغرب إليه، واقتسم جيشه نصفين، نصف سار به إلى الصحراء، ونصف تركه مع يوسف ليواصل به الجهاد شمالا.[6]ومن هنا بدأت مواهب **يوسف بن تاشفين** في الحكم والرئاسة تظهر للوجود إذ كان له الدور الأكبر في إرساء قواعد الدولة المرابطية، ويعتبره الكثير من المؤرخين المؤسس الفعلي بها.

سار الأمير أبو بكر إلى الصحراء سنة **454هـ/ 1062م** وتمكـن مـن حـل المشاكل القائمة بين قبائل الملّثمين في الصحراء ولتعزيز حال السلم تلـك دعـا تلـك القبائل إلى الجهاد، في سبيل ا بأرض السودان الغربي [7]، وفعلا تمكن مـن إقنـاعهم بذلك، فشرع في الجهاد، وقام بجهد عظيم من أجل ذلك حيث هدن الصحراء، وجاهـد بلاد السودان الغربي حتى فتح بلادهم [8]، وكان **يوسف بن تاشفين** في تلـك الأثنـاء يسير إلى تنفيذ المهمة التي أوكلت إليه، فقسم جيشه وزعه على أربعـة مـن أعظـم

---

[1] نجيب زينب، **المرجع السابق**،ج25، ص 236؛ بونار رابح، **المرجع السابق**، ص 237.

[2] بن بية، **المرجع السابق**، ص 85.

[3] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 89؛ ابن عذاري،**المصدر السابق**،ج4، ص 21؛ ابن خلـدون، **المـصدر السابق**،ج6، ص 184.

[4] ابن أبي زرع، **نفس المصدر السابق**، ص 82.

[5] ابن عذاري، **نفس المصدر السابق**، ج4، ص 21؛ ابن خلدون، **نفس المصدر السابق**، ج6، ص 184.

[6] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 89.

[7] بن بية، **المرجع السابق**، ص 87.

[8] ابن أبي زرع، **نفس المصدر السابق**، ص 89؛ ابن خلدون، **نفس المصدر السابق**،ج6، ص 184.

قواده[1]، وهم **عمر بن سليمان المسوفي** [2]، **ومدرك التلكاني** [3]، **سير بـن أبـي بكـر اللمتوني** [4]، **ومحمد بن تميم الجدالي** [5]،و تولى قيادة جزء منه توجه به إلـى أحـواز فاس وكان ملكها لذاك الوقت **معنصر بن معز بن زيري** [6]، آخـر ملـوك مغـراوة ، فاستطاع دخولها سنة **462هـ/ 1069م** بعد أن فشل في اقتحامها مرتين، كما حـارب قبائل غمارة وفتح الكثير من حصونها وقلاعها. [7]

وفي سنة **464هـ/ 1073م**، قرر أبو بكر بن عمر العودة إلى الشمال بعـد أن وطّد الأمن، وأزال الخلاف الواقع بين قومه، وتأكد أن الجهاد أصبح شغلهم الشاغل [8]، في الوقت الذي كان فيه يوسف بن تاشفين قد توسع في فتوحاته وسيطر على منـاطق كثيرة [9]، فلّما سمع يوسف بخبر عودة أبي بكر هرع لملاقاته بجيش عظـيم، وهـدايا كثيرة قدمها له [10]، فهم منها أبو بكر أن الأمر قد استقر ليوسف ولم يكن أمامـه فعـل شيء إذ وقع بين اختيارين كلاهما أصعب من الآخر، إما مواجهة يوسف بن تاشـفين

---

[1] ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ص 234؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 88؛ عبد العزيز سالم، **المرجـع السابق**، ج2، ص 699.

[2] من قبيلة **مسوفة** إحدى قبائل البربر الملّثمين، كان هو الآخر من كبار قادة دولة المرابطين. **أنظر** : ابن أبي زرع، نفس المصدر السابق، ص 89.

[3] هو مزدلي بن تيولكان بن تلكان بن محمد الصنهاجي اللمتوني، قريب يوسف بن تاشفين، وأحد أكبر قواده، لـه مواقع حمدت سيرته فيها، منها استرجاعه لمدينة بلنسية من أيدي الروم سنة505هـ أنظر : ابن الخطيب : **الإحاطـة في أخبار غرناطة**، تحقيق عنان محمد ا ، ط2، مكتبة الخانجي للطبع والنشر، القـاهرة، 1993-1973، ج3، ص ص 274-275.

[4] ابن أخ يوسف بن تاشفين، وأحد قادته وأعاظم رجال دولته، هو الذي حارب ملوك الطوائف بالأندلس، واستنزلهم عن عروشهم، وكان واليا على إشبيلية. أنظر : العباس بن إبراهيم السملالي، **الأعلام بمن حلّ مراكش من الأعلام**، الجزء العاشر، ص 162؛ مؤلف مجهول : **مفاخر البربر**، مجموع مع كتاب **الأنساب** لابن عبـد الحلـيم، وكتـاب **شواهد الجلّة** لابن العربي، دراسة وتحقيق محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعـاون الدولي، مدريد 1996، ص 250.

[5] هو أحد قادة الدولة المرابطية، عرف بالجدالي نسبة إلى قبيلته جدالة. أنظر : ابن أبـي زرع، **نفـس المـصدر السابق**، ص ص 88-89.

[6] نفس المصدر السابق، ص 90.

[7] ابن خلدون،**المصدر السابق**،ج6، ص ص 183-184؛ عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، ج2 ،ص 700.

[8] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 23؛ مؤلف مجهول، **المصدر السابق** ، ص 25.

[9] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص ص 23-24.

[10] ابن عذاري، **نفس المصدر السابق**،ج4، ص ص 23-24؛

عسكريا أو إخضاعه، وإما التخلي له عما بيده من حكم وسلطة، ولما كان أبو بكر بـن عمر ورعا، تقيا، وثمرة تربية **عبد ا بن ياسين** فقد وهب حياته لإعلاء كلمـة ا [1]، ولشك أن وصية إمامه وشيخه، لزالت أصداؤها تتكرر على مسامعه وهو يقول: " يـا معشر المرابطين،...كونوا أعوانا على الحق، وإخوانا في ذات ا ، وإيـاكم المخالفـة والتحاسد وطلب الرياسة فإن ا يؤتي ملكه من يشاء، ويستخلف في أرضه من أحـب من عباده " [2] لذلك ترك **يوسف بن تاشفين** يتصرف في شؤون المغرب بعد أن أوصاه بالمسلمين خيرا، حيث قال له: " اتقّ ا في المسلمين، ولا تضيع شيئا مـن أمـورهم، فإنك مسؤول عنهم وا خليفتي عليك وعليهم " [3]. ثم عاد إلى الصحراء أين استـشهد في إحدى معاركه ببلاد **السودان الغربي** من سنة **480هـ/ 1087**م. [4]

إن هذا التصرف من أبي بكر بن عمر ما ينبئ إلاّ عن ورعه وتقواه، وأخلاقـه الرفيعة التي منعته من التصدي ليوسف بن تاشفين مقـدما بـذلك المـصلحة العامـة للمسلمين على مصلحته الشخصية، وهذا ما يدل إلاّ على نتائج التربية العميقة التي رباه عليها عبد ا بن ياسين فلقد وهب أبو بكر حياته لإعلاء كلمة ا سعيا لنيل الدرجات العليا بعد أن تخلى ليوسف عن أمر المغرب، أمام أشـياخ **لمتونـة** وأعيـان الدولـة، والكتاب والشهود [5]، كما أن وصيته ما دلت إلاّ على أنّه كان شخصا مسؤولا يعلـم أن تولي أمر المسلمين أمانة وحمل ثقيل وهذا هو فعلا الفهم الصحيح لمعنـى المـسؤولية منبعه تربية وتعليم علماء عاملين. [6]

وبعد وفاة أبي بكر بن عمر، صار **يوسف بن تاشفين** هو الحاكم الشرعي لدولـة المرابطين وخلال حكمه كنائب أو سلطان، قام بسلسلة من الأعمال الداخلية والخارجية لتدعيم دولته الناشئة، وتنظيم شؤونها، حيث واصل فتح بلاد المغرب الأقصى بإخضاع قبائل زناتة لحكمه، و بنا أسطولا ساعده على فتح الثغور الشمالية المطلة على مضيق **جبل طارق،** مثل **سبته وطنجة ومليلة،** كما عمل على ضم المغرب الأوسط، وتوحيده مع المغرب الأقصى، حيث وصلت جيوشه إلى كلّ من **تلمـسان، ووهـران، وتـنس**

---

[1] بن بية، **المرجع السابق،** ص 90.

[2] ابن أبي زرع، **المصدر السابق،** ص 84.

[3] **نفس المصدر السابق،** ص 87؛ حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق،** ص 50.

[4] مؤلف مجهول، **المصدر السابق** ، ص 23.

[5] مؤلف مجهول، **المصدر السابق،** ص 26.

[6] بن بية، **المرجع السابق،** ص 24.

والجزائر، حتى بلغ حدود أقربائه من بني حماد وبني زيري [1]، كما أتم بناء **مراكش** [2] واتخذها عاصمة له وأسس بها دارا للسكّة، كما عمل على إنشاء الـدواوين والإدارات المختلفة إلى غير ذلك من الأمور [3]، أما الحدث الأهم الذي تميزت به هـذه الـسنوات القليلة هو اجتماع أشياخ المرابطين، و وجهاء القبائل لإقناع يوسف في اتخـاذ لقـب سلطاني [4] حيث اتفقوا معه على أن يكون لقبه أمير المسلمين وناصر الدين [5]، ويعتبر اتخاذ يوسف لهذا اللقب إيذان بنهاية مرحلة التأسيس والقيام، وبداية مرحلـة عظمـة الدولة، وتوسعها، في إطار الجهاد بالمغرب والأندلس.

مثلما لعب العلماء دورا في قيام دولة المـرابطين، وتوحيـد أجـزاء المغـرب الأقصى، سنلحظ في المبحث الثاني أنهم بذلوا نفس الجهد من أجل توحيد هذه الأجزاء في إطار مذهب فقهي وعقائدي واحد. [6]

II - أثر العلماء في الاتجاه الفكري للدولة:

1- المذهب الفقهي للمرابطين:

كان المغرب الأقصى في القرن5ه/11م، مليئا بالمذاهب والنحل الضالة، كمذهب الشيعة والخوارج والمعتقدات الباطلة[7]، إلى جانب المذاهب السنية، كمذهب **مالك بن أنس** في بعض تلك الحواضر والرباطات العلمية كرباط **وحاج بن زلو** بالسوس، الذي حصل على العلم على يد كبار شيوخ المالكية بالقيروان[8] أهم حواضر العلم في القرن 5ه، غير أن الاضطرابات السياسية على عهد الزناتيين حالت دون ظهور علماء

---

[1] العبادي، **المرجع السابق**، ص 292.

[2] اختلفت المصادر حول المؤسس الحقيقي لمراكش، فابن خلدون، وابن أبي زرع، ينسبانها إلى يوسف ، ويحـددان تاريخ بنائها في **454هـ/1061م** أما ابن عذاري، وصاحب الحال ، فيرجعان تاريخ بنائها إلـى **462هـ ـ/1065م** والأرجح حسب ما توصلت إليه الدراسات الحديثة هو سنة **562هـ**، بدليل أن المؤرخ الجغرافي المعاصر للأحداث البكري، تعرض في كتابه **المسالك** لأحداث الدولة المرابطية حتى سنة **460هـ/ 1067م**، وهي السنة التـي أنهـى فيها كتابه، ولم يذكر شيئا عن مدينة مراكش أو عن يوسف بن تاشفين. أنظر : ابن خلدون، المصدر الـسابق، ج6، ص 184؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 89؛ مؤلف مجهول، المصدر الـسابق، ص 16؛ ابـن عـذاري، المصدر السابق،ج4، ص 19؛ بلغيث، المرجع السابق،ج1، ص 328؛ العبادي، المرجع السابق ،ص323.

[3] العبادي، نفس المرجع السابق، ص 292.

[4] ابن عذاري، نفس المصدر السابق،ج4، ص 27 وما بعدها؛ مؤلف مجهول، نفس المصدر السابق، ص 29.

[5] نفس المصدر السابق، ج4، ص 28؛ نفس المصدر والصفحة .

[6] بن بية، المرجع السابق، ص 96.

[7] حركات إبراهيم، **المرجع السابق**، ص 166.

[8] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 20؛ التادلي، **المصدر السابق**، ص 89.

كثيرين في المغرب في المذهب المالكي[1]، كما عمل على رحيل من وجد منهم من بينهم الفقيه الفاسي **أبي عمران** الذي اضطر إلى النزوح عن وطنه بسبب العنت الذي لقيه على يد عمال مغراوة الزناتيين[2]، فكان من نتاج تلك الأوضاع أن تأخر **المغرب الأقصى** في ولوج ميدان العلم بالنسبة للمناطق الأخرى من الغرب الإسلامي، لذا فعندما سارع للحاق بالركب،وجد العلم قد مر بأطوار ونضج، فما كان على أهل المغرب الأقصى إلا أخذ البضاعة جاهزة، بعدما اعتورتها أيدي العلماء من مناطق مختلفة[3]، وباعتبار مؤسسي الدولة المرابطية في المقام الأول علماء مالكين، درسوا العلم **بالقيروان والأندلس**، فلقد اختاروا مذهبهم الذي اعتقدوا به مذهبا رسميا لدولتهم، وتمسكوا به إلى درجة التعصب له وعدم قبول غيره[4]، حتى نال الفقه المالكي من نفوس أهل المغرب والأندلس مكانة عظمى، واكتسب من التقدير والمهابة ما أصبح به الضمير الشعبي عنوانا للدين نفسه، فكأن من تعبد به فلقد أقام الدين ومن أخل به قد أخل بالدين[5]، بالإضافة إلى أسباب أخرى نذكر منها:

* إعجاب المرابطين بالإمام مالك وعلمه وفضله واعتباره أقرب العلماء إلى حقيقة الشريعة من فقهاء العراق والشام، خاصة وأنه من أهل مدينة رسول ا صلى ا عليه وسلم[6]، الذي قال في شأنهم: "**يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون أعلم من عالم المدينة**"[7].

* أن رحلة أهل **المغرب** كانت في الأغلب إلى الحجاز من أجل الحج، ولم تكن العراق في طريقهم، فإذا أرادوا أن يتزودوا من علوم الدين حلوا بالمدينة، وأخذوا من فقهائها ومحدثيها.

---

1 حركات إبراهيم، **المرجع السابق**، ص 118.

2 كنون عبد ا ، **المرجع السابق**، ج1، ص 59.

3 **نفس المرجع** ،ج1، ص 52.

4 بن بية، **المرجع السابق**، ص 99.

5 النجار ، **المرجع السابق**، ص 51.

6 بن بية، **المرجع السابق**، ص 99.

7 النيسبوري، أبي عبد ا محمد بن عبد ا الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**،و كتب أخرى ، تحقيـق راجـي الرحمات أبي عبد ا وعبد السلام بن محمد بن عمر علوش،ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيـروت، 1418هـ/1998م،ج1، ص 280؛ عياض: **ترتيب المدارك**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، المملكـة المغربيـة، الرباط، د.ت، ج1، ص ص 68، 69.

* استقرار بعض أئمة المالكية **بمصر،** كان حافزا لأهل المغرب للأخذ بهذا المذهب حيث تعد مصر أقرب الحواضر إلى المغرب، وطريقهم إلى الحج وطلب العلم، ومن ثم كان اختيارها المذهبي مؤثرا في المغرب[1].

* طبيعة المذهب المالكي نفسه الذي يقوم على النص والنقل والأثر والرواية أكثر مما يقوم على الرأي والقياس[2]، فهو مذهب يكره التفريع والتفلسف وما أشبه ذلك[3]، بالإضافة إلى واقعيته القائمة على اقتصار عمل أهل المدينة باعتبارها نوعا من الإجماع[4].

فهذه الأسباب أثرها الواضح في تبني المرابطين لهذا المذهب،والمساهمة في عملية نشره من جديد،والتمكين له في سائر **المغرب والأندلس،**ولم يكتفوا بجعله مذهبا رسميا، بل عملوا على جعله اختيارا علميا، مدعوما بالحجج والأدلة يصمد أمام أي انتقادات، وذلك عن طريق تشجيع العلماء على تدارس المذهب والتأليف في محاسن إمامه وأصحابه وتبيين خلال مذهبه وحجيته.ولعل أحسن مثال على ذلك ما قام به القاضي **عياض بن موسى اليحصبي**[5] حين ألف كتابا نشر فيه فضائل المذهب المالكي، ومحاسن إمامه وأصحابه تحت عنوان ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعظم مذهب الإمام مالك فهو بهذا التأليف شهر بالإمام مالك وأصحابه، مبينا للخلق أنه أحق أن يتبع لأنه على حد تعبيره- "حق على طالب العلم، ومريد الصواب أن يعرف أولى الأئمة بالتقليد، ليعتمد على مذهبه، ويسلك في التفقه طريقه"[6]، فذكر عياض أن مالكا هو

---

[1] بن بية، **المرجع السابق،** ص 100؛ حركات إبراهيم، **المرجع السابق،** ص 119.

[2] عياض**، المصدرالسابق،** ج1، ص 47؛حركات، **نفس المرجع السابق،** ص 120.

[3] هيكل أحمد، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**،ط11، دار المعارف، القاهرة، 1994، ص 80.

[4] عياض، **نفس المصدر** ، ج1، ص 47.

[5] إمام و عالم فاضل، أخذ عن الكثير من مشايخ المغرب والأندلس، وجمع من الحديث كثيرا، استقضى ببلده **سبتة** مدة طويلة، حمدت سيرته فيها ، وكان القاضي أبو الفضل إمام وقته في علوم الحديث، عالما في التفسير وعلومه، فقيها، أصوليا، عالما النحو واللغة وكلام العرب، بصيرا بالأحكام عاقدا للشروط، من حفاظ مذهب مالك، تنم مؤلفاته في علم الحديث عن أخذه مبدأ =الاجتهاد وقد توفي رحمه ا في، مخلفا آثارا ومؤلفات كثيرة منها، كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ،ترتيب المدارك، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، وغيرها أنظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص 429 وما بعدها؛ القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف:أنباء الرواة على أبناه النحاة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1953م.ج3، ص 363، 364؛ الداوودي، **المصدر السابق**،ج2، ص 21 وما بعدها؛ بن بية، المرجع السابق، ص 192؛ الحسن بن الحسين محمد الشواط: **القاضي عياض وإمام أهل الحديث في وقته،** دا ر القلم، دمشق، 1994، ص 155.

[6] عياض، **المصدر السابق**،ج1، ص 67.

ذاك لجمعه أدوات الإمامة وتحصيله درجة المجتهد، وكونه أعلم أهل زمانه[1].

علما أن عياض بالرغم من جمعه معظم الأدلة التي تثبت وترجح لمذهب مالك فهو لا ينكر صفات ومحاسن الأئمة الآخرين، بل يثبتها لكن حسب اقتناعه يثبت أن مالكا حصل ما لم يحصله غيره، وحاز قصب السبق[2].

وبذلك تقدمت الدراسات الفقهية المالكية على غيرها من العلوم الأخرى، انتشرت بصفة واسعة جدا إلى درجة أصبحت السمة المميزة للاتجاه الفكري للدولة، الأمر الذي اتّخذه بعض المؤرخين مجالا لإطلاق العنان لألسنتهم والتنفيس عن أحقادهم اتجاه المرابطين أمثال **دوزي** الذي قال فيما نقلناه عن **الهدفي**: "إن المرابطين كانوا بدوا أجلافا لا يعرفون لرغد الحضارة قيمة، فحاربوا أهل الفكر، وأصبح كبار العلماء ألعوبة بيد الفقهاء المتعصبين والقواد الجفاة، فحلت الهمجية محل التقدم، وتلاشت كل الأصوات التي تتغنى بالشعر والأدب، وفنون العلم الأخرى أمام صليل السيوف وأصوات الفقهاء"[3].

والمؤرخ **أشباخ**، الذي ذهب إلى أن المرابطين عملوا على تحطيم العلوم والفنون والصنائع التي وصلت في ظل السيادة العربية إلى **الأندلس**، ذروة التقدم والازدهار، وكان أولئك الحكام القساة يمقتون القبائل العربية وثقافتها، ويعملون على سحق الثقافة بكل ما وسعوا، فكانوا يطاردون العلماء الذين ينحرفون عن معتقداتهم، ويحرقون كتبهم ويحملون بالأخص على تحطيم الروح الشعرية الأندلسي[4].

وقد سار على نهج هؤلاء الكثير من المؤرخين العرب أمثال **جودت الركابي**، الذي ذهب إلى "أن النهضة الفكرية والأدبية توقفت عقب سقوط الطوائف في **الأندلس** شدة تعصب المرابطين وتزمتهم، فهم قوم لا يعرفون إلا الحرب وخشونتها"،[5]، **وعبد الله عنان** الذي حذا هو الآخر حذو من سبقوه من أعداء دولة المرابطين، فوصفهم بالبدو الصحراويون و القوم الغلاظ الذين يؤثرون مهاد الجندية والخشونة،وتغلب

---

[1] عياض، **نفس المصدر و الصفحة**

[2] **نفسه**، ص 48.

[3] الهدفي سلامة محمد سليمان، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين**، دراسة سياسية وحـضارية، القاهرة، 1405هـ/1985م، ص 305

[4] أشباخ، **الأندلس في عصر المرابطين و الموحدين ، تحقيق عبد الله عنـان**،ط2، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، 1958م، ج2، ص 150.

[5] الهدفي، **المرجع السابق**، ص 306.

عليهم الأفكار الرجعية العتيقة، وأنّهم لم تأخذهم مظاهر الحضارة الأندلسية المصقولة ولم تكن تهزهم أصداء الشعر والآداب الرفيعة و العلوم الدينية كانت تدرس في إطار خاص يغلب عليه علم الفروع على الأصول، فلقد طوردت في ظلهم، فضلا عن الكتب الفلسفية والعلمية، كتب الأصول المشرقية فمكان نتاج ذلك أن ركدت في ظلهم دولة الفكر والأدب، وذوى بهاء الحضارة الأندلسية[1].

علما أن هؤلاء المؤرخين اعتمدوا لتوثيق إدعائهم على أقوال استقوها، إما من مواقف معاصرة للمرابطين اتخذها شعراء، ذاقوا سلوك الفقهاء، أو لم يجدوا عند المرابطين ما كانوا يجدونه عند أمراء الطوائف[2] **كالأعمى التيطلي**[3] **وأبي بكر بن سهل إليكي**[4]، وغيرهم ممن كانوا يمدحون تارة ويهجون تارة أخرى بالإضافة إلى مواقف كتاب حرروا رسائل في فضل **الأندلس**[5]، كرسالة **أبي الوليد الشقندي**[6]، فضلا عن مصادر موحدية، معادية للمرابطين، الذين لم يرضهم العمل الذي قاموا به في توحيد دولتهم على المذهب المالكي، وجعله المذهب الرسمي للدولة، فراحوا يضربوهم به، وكان على رأس هؤلاء المنددين **عبد الواحد المراكشي،** الذي اعتبر إقرار المذهب المالكي، جعل الطلبة يهتمون بالفروع و يهملون الكتاب والسنة[7]، "فلم يكن يقرب -على حد تعبيره- من أمير المسلمين، و يحضا عنده، إلا من علم علم الفروع، أعني فروع مذهب **مالك،** فنفقت في ذلك الزمن كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذها سواها، وكثر ذلك حتى نسيى النظر في كتاب ا وحديث رسول ا صلى ا عليه وسلم"[8] فهذا القول الذي أورده عبد الواحد المراكشي يجعلنا نتساءل فعلا، **هل كان المرابطون حقا**

---

[1] عنان محمد عبد ا ، **نهاية الأندلس، وتاريخ العرب المتنصرين**،ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1336هـ / 1922م، ص 436.

[2] عباس الجراري، **صبابة أندلسية**، دراسة مهداة ليوسف بن تاشفين، ط1، منشورات نادي الجراري، الرباط، 1992/1416، ص 22.

[3] هو احمد بن عبد ا بن هريرة القيسي أبو العباس، شاعر أندلسي، نشأ في إشبيلية، له ديوان شعر، فيه الكثير من الأشعار التي يندب فيه دولة الشعر ويستنكر بقوة هذا التحول الذي أعطى للفقهاء ما كان يعتقد أنه من حقوق الأدباء توفي525ه/1151م. الزركلي: **الأعلام**، ط12، دار العلم للملايين، بيروت، 1997، مج1، ص 158؛ ابن خاقان، **القلائد العقيان** ،ط1، مطبعة التقدم العلمية، مصر المحمية، 1320، ص 275.

[4] ابن سعيد، المصدر السابق ،ج2، ص 266 وما بعدها.

[5] المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عياس، ط1، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ج3، ص 186 وما بعدها.

[6] هو إسماعيل بن محمد الشقندي، نسبة إلى شقندة، قرية مطلة على نهر قرطبة، مجاورة لها من جهة الجنوب، وكان جامعا لفنون العلم الحديثة والقديمة، أنظر ترجمة ورسالته في فضل الأندلس يعارض بها **أبا يحي بن معلم الطنجي** في تفضيل بر العدوة، المقري، **نفس المصدر**، ج3، ص 186، 223.

[7] بن بية، المرجع السابق، ص 102.

[8] المراكشي، **المصدر السابق**، ص 122، الجراري، المرجع السابق، ص 23.

فرعويين لا يفقهون آية ولا حديثا؟.

إن المتصفح لكتب التراجم خلال عصر المرابطين، يحظ جليا أن هذه الأقوال مجرد إدعاءات وتعاملات كاذبة، فبالرغم من الأثر التي تركه العلماء المالكيون على الاتجاه الفكري للدولة، فلقد انتشر في العهد المرابطي طلب العلم بصفة عامة، والحديث والقرآن بصفة أخص، حيث برز في هذا العصر الكثير من أقطاب أهل الحديث وأئمة علوم القرآن ممن أخذ عنهم الألوف من طلبة العلم[1].

إذ كيف ينسى النظر في كتاب ا ، وهو الأساس الذي يقوم عليه أي علم من العلوم علما أنه لم لا يمكن لأحد أن يوصف في تلك الأزمان بصفة العلم ما لم يكن من أهل القرآن، فالطالب المبتدئ قبل أن يتجه إلى دراسة أي نوع من أنواع العلوم، لا بد أن يحفظ القرآن أولا، ويتعلم تجويده، ويعرف أحكامه، ثم يتجه بعد ذلك إلى فنون العلم الأخرى[2]، وقد ازدهرت علوم القرآن في العصر المرابطي، كأي عصر من العصور، ونبغ فيها علماء كثيرون، ممن صاروا أعلام عصرهم حقا، ففي علم القراءات[3] برز كل من **أحمد بن خلف المعروف بابن الباذش**[4] صاحب كتاب الإقناع والطرق المتداولة وهما كتابان مهمان في القراءات[5] **وأبو الحسن محمد بن طفيل العبدري المعروف بابن عظيمة**[6] الذي آلت إليه وإلى بنيه الرئاسة في الإقراء، وصنف كتبا مهمة في علم

---

[1] بن بية، **المرجع السابق**، 102، أنظر مدى ما وصل إليه الفكر والعلم من انتشار، في عصر المرابطين، بلغيث محمد الأمين، **الحركة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**.

[2] **نفس المرجع السابق**، ص 107.

[3] هو علم يبحث فيه عن نظم كلام ا من حيث الاختلافات المتواترة، ومبادئه، وله أيضا استمداد من العلوم العربية والفرض منه، تحصيل ملكة ضبط الاختلافات، وصون كلام ا تعالى من التحريف. بطاش كبرى زادة أحمد بن مصطفى، **مفتاح السعادة، ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، رباط، مج2، ص 6.

[4] من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، أصله من حيان، كان إماما في المقرئين من الرواة المكثرين، متقن في علم القرآن، مستبحر في العلوم، عارف بالأدب والأعراب، إبن فرحون: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق مأمون بن يحي الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992هـ، ص 106، 107؛ ابن الخطيب، **الإحاطة** ،ج1، ص 194 وما بعدها.

[5] ابن فرحون، نفسه، ص 106، وما بعدها.

[6] كان إماما مجاهدا، متبعا طريقة سلفه في التجويد والإتقان، أنظر: ابن الأبار: **التكملة كتاب الصلة** ، عني بنشره، وصححه ووقف على طبعه، عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة والإسلامية، القاهرة 1375هـ / 1916م، ج2 ص 576.

القراءات وما يتعلق بها منها جالب الإفادة في مخارج الحروف وله أرجوزة في القراءات السبع[1]. **وأبوعبد ا محمد بن سعيد المقري** المعروف بابن غلام الفرس الذي كان من أمهر مجودي القرآن ومتقنيه، فكان الناس يرحلون إليه للسماع منه والقراءة عليه لروايته و اشتهار عدالته،[2]. بالإضافة إلى **أبو الحسن علي بن عبد ا بن خلف الأنصاري المعروف بابن النعمة** الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء والفتوى في وقته حتى عد رأس المشاورين بها[3]. أما تفسير القرآن[4]، فلقد برز فيه العديد من العلماء في عصر المرابطين، نذكر منهم أشهر مفسر في العصر وهو الإمام **أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي** [5] أحد رجالات الأندلس الجامعين للفقه والحديث والتفسير والأدب، له كتاب في التفسير، جليل الفائدة وهو المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، **وأبو القاسم أحمد بن عمر المعروف بابن الورد** [4] الذي كان من جلة الفقهاء المحدثين المفسرين[7]، والقاضي **أبو بكر بن العربي** ، الذي كان له رحلة إلى المشرق، رجع بعدها بموسوعة علمية ضخمة في جميع أنواع العلوم، من بينها التفسير الذي ألف

---

[1] ابن الأبار، **المصدرالسابق** ،ج1، ص 446.

[2] **نفسه** ،ج2، ص 476.

[3] الضبي، **المصدر السابق**، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، ط1، منشورات محمد على بيضون، دار الكتـب العلمية، بيروت، 1997، ص ص 371، 372؛ اليماني عبد الباقي بن عبد المجيد، **إشارة التعيين في تراجم النحـاة واللغويين**، تحقيق عبد المجيد دياب، ط1، شركة الطباعة العربية، السعودية، 1406 – 1986.

[4] هو علم يبحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وحسب ما تقتضيه قواعد العربية، ومبادئه العلوم العربية وأصول الكلام وأصول الفقه وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة، بطاش كبرى زادة، **المرجع السابق**، الجزءج2، ص 54.

[5] كان واسع المعرفة، متقننا في مختلف أنواع العلوم فأخذ الناس عنه كثيرا، فالاضطرابات التي كانت بالأندلس، لم تحل بينه وبين الاتجاه العلمي الذي كان سائدا آنذاك، خصوصا منه ما كان يسير على المنهاج السني، الذي كان يمثل سياسة المرابطين في عقيدتهم وإنكارهمـ، أنظر ترجمته: ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج1، ص 368؛ الضبي،المصدر السابق، تحقيق الأبياري،ج2، ص 506؛ الدباغ عمر، **ابن عطية المحاربي وتفسيره المحرر الوجيز**، مجلة دعوة الحق، المغرب 1994، العددان 305، 306، ص 82 وما بعدها.

[6] استوطن المرية فكان عالمها المنظور إليه، وحبرها المجمع عليه، مع التحقيق ودقة النظر ولطف الاستنباط، وتوقد الذهن، ولي قضاء غرناطة ثم اشبيلية، وبعد ذلك رحل إلى المرية، وأقام بها يسمع ويدرس ويفتي إلى أن توفي في رمضان سنة **540هـ/1145م**.أنظر: ابن الأبار، **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، القاهرة – بيروت، 1410هـ / 1989، ص 31 وما بعدها.

[7] ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 104، ابن الخطيب،**المصدر السابق**،مج1، ص 169.

فيه تفسيرا للقرآن في ثمانين جزءا وكتابه المشهور أحكام القرآن وغير هؤلاء العلماء كثير[1].أما بالنسبة للحديث، فلقد عرف العهد المرابطي ظهور كبار أعلام المحدثين بالأندلس، فهم أكثر من أن يحصوا، نذكر نماذج ممن أصبحوا مفخرة للأندلس والمغرب في هذا المجال من بينهم الإمام القاضي، الشهيد **أبو علي الحسين بن محمد الصدفي**[2]، إمام المحدثين بالأندلس، حيث كان حافظا لمصنّفات الحديث، قائما عليها، ذاكرا وأساليبها[3] والقاضي **أبو بكر بن العربي** "خاتمة علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها" على حد تعبير ابن بشكوال[4]، والذي كان دون أدنى شك أكبر علماء الأندلس قاطبة [5] **والقاضي عياض بن موسى اليحصبي** هو الآخر: "كان لا يدرك شأوه، ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث[6]،فقد أجمع أهل العلم على تقدمه في علمي الرواية والدراية، وله آثار كثيرة تدل قطعا على تبحره في هذا العلم، وتفوقه فيه نذكر منها مشارق الأنوار في صحاح الآثار، وكتاب الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع[7]، بالإضافة إلى أعلام كثيرون في هذا المجال من بينهم، **عبد ا بن عيسى الشيباني**، الذي كان يحفظ سنن أبي داود، وصحيح البخاري، عن ظهر قلب[8]، وعبد ا بن علي

---

[1] ابن بشكوال، **المصدر السابق**،ج2، ص 558؛ الهدفي، **المرجع السابق**، ص 322.

[2] من أهل سرقسطة كان كما وصفه ابن بشكوال، "من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين، في الحديث وكتبه وروايته وضبطه، وكان حسن الخط، جيد الضبط، وكان له بصر باللغة والإعراب، ومعرفـة الغريـب والـشعر والأنساب"، وكان أبو علي بالرغم من كبر سنه من الذين خرجوا للجهاد للدفاع عن بلاد الإسلام إلى أن استشهد في **موقعة كتندة** سنة **514ه/1120**م. أنظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 141 وما بعدها، الذهبي، **تـذكرة الحفاظ**، صحح عن نسخة قديمة محفوظة في مكتبة الحرم المكي، دار إحياء التراث العربـي، بيـروت 1956،ج2، ص 1254.

[3] إبراهيم الأبياري، **مقدمة كتاب المعجم** ، ص 9.

[4] ابن بشكوال، **نفس المصدر السابق**،ج2، ص 558؛ ابن خلكان، **المصدر السابق**،ج4، ص 985.

[5] النباهي، **المصدر السابق**، ص 137 وما بعـدها، ابـن خلكـان، **نفـس المـصدر الـسابق**، ج4، ص 485؛ المقري،**المصدر السابق**،ج2، ص 28.

[6] ابن الأبار، **المصدرالسابق**، ص 302.

[7] ابن بشكوال، **نفس المصدر السابق**،ج2، ص 429 وما بعدها؛ الضبي، **المصدر السابق**، تحقيق الأبيـاري،ج2، ص 582.

[8] **نفس المصدر السابق**، ج1، ص 285؛ البشري، **المرجع السابق**، ص 252.

الرشاطي، صاحب كتاب الإعلام مما في كتاب المؤتلف والمختلف من الأوهام[1] **وعلى بن النعمة المري**[2] وحتى أفراد البيت الحاكم المرابطي، وجد منهم من اشتهر بطلب الحديث، والاعتناء به، نذكر منهم الأمير **ميمون بن ياسين الصنهاجي،** الذي سمع صحيح البخاري ومسلم أثناء رحلته الحجية، ولما رجع حدث بما رواه، فسمع منه الناس بإشبيلية وغيرها، وأخذ عنه أعلام من أهل الأندلس[3]، والأمير **منصور بن الحاج بن داوود الصنهاجي اللمتوني،** الذي نبغ في معرفة الأخبار والسنن والآثار، واجتمع له من الدواوين، والأصول الشيء الكثير[4].

فهؤلاء النماذج ممن ذكرنا في العلماء المبرزين في علوم القرآن والحديث تنفي شكل قاطع زعم عبد الواحد المراكشي في أنه نسي النظر في كتاب ا ، وحديث رسوله **صلعم،** وتثبت أن العلماء نبغوا في كل العلوم الدينية، وأصبحوا أئمة في الكثير من مجالاتها، ولم يتعصبوا للفقه المالكي على حساب العلوم الأخرى[5].

2- منهج العلماء في الحكم في عهد المرابطين:

عمل العلماء المؤسسين للدولة المرابطية على جعلها ذات منطلق وأساس ديني، حيث كان لهؤلاء العلماء رؤية خاصة لهوية الدولة التي يسعون إلى تحقيقها، من خلال مبادئ الإسلام ومعطيات الواقع[6] فأقاموا دولتهم على أساس نشر المذهب المالكي ومحاولة بعث القوى الإسلامية واستنهاضها، والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى عهد السلف الصالح، واعتمدوا التمكين لها على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعلنوا الحرب على البدع والمنكرات التي انتشرت ، فحطموا دنان الخمر، وكسروا آلات الطرب، وطالبوا الناس بالقيام بفروض دينهم، فلقيت دولتهم بهذه المبادئ

---

[1] الضبي، **المصدر السابق**،ج2، ص 452.

[2] كان خاتمة العلماء بشرق الأندلس، إذ انتهت إليه الرئاسة في الإقراء والفتوى، روى كثيرا وألف تواليف حسنة منها الإمعان في شرح مصنف النسائي، أنظر: التنبكتي أحمد بابا: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج،** المطبعة الجديدة، فـاس، د.ت،ص 185 وما بعدها.

[3] ابن الأبار، **التكملة**،ج2، ص 718.

[4] من رؤساء لمتونة وأمرائهم، كان موصوفا بالذكاء والفهم، عارفا بالسنن، والآثار، يصحب العلماء للسماع منهم، روى عن جماعة من الأشياخ، وكان واليا للمرابطين ببلنسية، ابن الأبار، **نفس المصدر** ،ج2، ص 712.

[5] بن بية، **المرجع السابق**، ص 108.

[6] **نفسه** ، ص 109.

الترحيب أينما حلت[1]، خاصة بعد إعلانها الولاء للخلافة العباسية بالمشرق، وقيام أمرائها بنفش الخليفة العباسي على سكتهم، واكتفائهم بلقب أمراء المسلمين[2]، وحصولهم على التفويض من طرف الخلفاء العباسيين[3].

لقد كان الهدف من ذلك هو وحدة ديار الإسلام تحت لواء الخلافة العباسية، وكان الواقع هو استحالة تحقيق هذه الوحدة الشاملة في الظروف الحالية، ولتجاوز ذلك أعطى هؤلاء العلماء لأنفسهم هدفا آخر يوحدون به قلوب المسلمين، ويجمعون به شملهم، والمتمثل في الجهاد بمعناه الشامل من مدافعة للعدو إلى إقامة الحق الذي يهيئ سبل تلك المدافعة[4]، حيث توسعوا في هذا المبدأ كثيرا، وأعادوا به إلى الأذهان، صورة الدولة الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين[5].هكذا أصبح العلماء المرابطون من الدعاة لوحدة الأمة الإسلامية في إطار الخلافة العباسية، من خلال اعتبارها نسقا سياسيا، فرعيا، تدور في فلكه مجموعة الأنساق الفرعية [6]، بالإضافة إلى ذلك، فلقد أراد العلماء لدولتهم أن تسعى إلى إقامة العدل الشامل في علاقة الحاكم بالمحكومين امتثالا لقوله تعالى: "**إن ا يأمركم أن تأدوا الأمانات إلى أهلها، وأن تحكموا بين الناس بالعدل**"[7] وذلك عن طريق ثلاثة نظم من الأنظمة الإسلامية ألا وهي:

أ- <u>نظام البيعة:</u>

يعد هذا النظام من صميم أنظمة الحكم في الإسلام، وأحد ركائزه، فهو نوع من البيع يبذل فيه الرعية السمع والطاعة لولي الأمر مقابل الرعاية،وتحقيق العدل بمقتضى أحكام الشرع من طرف الحاكم[8]، وباعتبار الدولة المرابطية قامت من أجل رد الأمة إلى تعاليم الإسلام الصحيحة، فلقد أضفى عليها علماؤها نوعا من الشورى في اختيار

---

[1] دندش ، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، ص 137، وما بعدها

[2] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 50؛ بن خلدون، **المصدر السابق**،ج6، ص 188.

[3] بن بية، نفس **المرجع السابق**، ص 109.

[4] نفس المرجع و الصفحة .

[5] دندش،**المرجع السابق**، ص 137 وما بعدها

[6] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص 109.

[7] **سورة النساء، الآية رقم 58.**

[8] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص 110.

ولي العهد، فكانت تقام بيعة خاصة، يبايع فيها أفراد الأسرة الحاكمة الأمير المرشح، ثم يبايعه زعماء **لمتونة،** ثم شيوخ القبائل الأخرى، فإذا اكتملت أسباب هذه البيعة، تلي عقد البيعة في المساجد وقرئ على الرعية، ثم بعد ذلك تبعث الرسائل إلى جميع المرابطين في الأمصار لإخبارهم بولي العهد الجديد، مطالبين بأخذ البيعة العامة له[1].

ب- نظام الشورى:

تحتل الشورى مكانا مرموقا، ومحلا رفعا من النظم الإسلامية ، وفي ذالك يقول ا تعالى مخاطبا نبيه صلعم"**وشاورهم في الامر**"[2] ، كما تعتبر من خصائص المجتمع المسلم لقوله تعالى :"**و الذين استجابوا لربهم و أقاموا الصلاة و أمرهم شورى بينهم ومما رزقنهم ينفقون.**"[3]

وقد جعلها **أبو بكر الطرطوشي**[4] من أهم أسس الحكم في الإسلام حين قال: "سياسة الملك ثلاثة، اللين، وترك الفضاضة، والمشاورة، وأن لا يستعمل على الولايات راغبا فيها، ولا طالبا لها ولما علم ا فيها من انتظام أمر الملة، واستقامة الأمر، نص عليها ورسوله، ... ومن أقبح ما يوصف به الرجال ، الاستبداد بالرأي، وترك المشاورة"[5].

وقد عمل العلماء القائمين على الدولة المرابطية بمبدأ الشورى، فكانوا لا يقطعون أمرا ذا بال إلا بعد استشارة أهل الحل والعقد من العلماء، فالإمام **عبد ا بن ياسين**

---

[1] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 300؛ الهدفي، **المرجع السابق،** ص ص 249، 250.

[2] سورة آل عمران، الآية 159.

[3] سورة الشورى، الآية 38.

[4] أبو بكر محمد بن بن سلمان بن أيوب الفهري، الإمام، العالم، شيخ المالكية لوقته، أخذيا لأندلس على يـد الوليـد الباجي وأبي محمد بن حزم، رحل إلى المشرق في رحلة حج، فدخل بغداد والبصرة، واخذ على كبـار علمائهمـا، واستقر أخيرا بالإسكندرية إلى أن توفي من 52هـ/1126م، مخلفا لنا تأليف قيمة، منها تظم الـسلوك فـي وعـظ السلوك في وعظ الملوك والبدع والمحادثات وغيرها، **أنظر**: عياض: **الغنية**، تحقيق ماهر زهير الجـرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص 62 وما بعدها' اليافعي عفيف الدين: **مرآة لجنان وعبـرة اليقظـان فـي معرفة ما يعتبر من حوادث الزمـان**، ط2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 197، ج3، ص 226، الـذهبي: **سير الأعلام النبلاء بهاشة أحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن خلافة العمودي، ط1، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1997، ج14، ص 1417، ما بعدها

[5] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، 320.

رغم أنه كان مرهوبا من طرف رفاقه وأصحابه إلا أنه كان كثير المشاورة لهم، ومن الأمثلة على ذلك أنه لما وردت عليه رسل فقهاء **سجلماسة ودرعة** يستغثون به لإزالة ما حل بهم من ظلم وجور، قام بجمع رؤساء المرابطين، وقرأ عليهم كتب الاستغاثة وشاورهم في الأمر[1]. وقد بلغ تأثر الأمراء المرابطين بالمنهج الذي رسمه لهم علماؤهم أن قاموا بوضع هيئة استشارية في مجالسهم تتكون من العلماء، وأولي الرأي من الأمراء ورؤساء القبائل وبعض الوزراء، يستشيرهم أمير المسلمين في كل أمورهم،[2] وقد ذكر صاحب الحلل الموشية، أن الأمير **يوسف بن تاشفين** كان يفضل الفقهاء، ويعظم العلماء، ويصرف أموره إليهم، ويأخذ في الكثير من الأحيان برأيهم[3]، وبذلك حقق المرابطون آمال **أبو بكر الطرطوشي** كاملة، وتوسعوا في مبدأ المشاورة، الأمر الذي سمح للفقهاء بلوغ مراتب النفوذ والسلطة، خاصة مع العناية الفائقة التي أولها المرابطون لمنصب القضاء[4].

ج - القضاء:

اعتنى العلماء في الفترة المرابطية، بمنصب القضاء، وأولوه من العناية ما يحتاجه، فحرصوا كل الحرص على استقلاليته وهيبته، وسعوا لتطبيق العمل وإقامة الحق عن طريقه[5]، حيث كان لا يتولى هذا المنصب إلا من ثبتت جدارته وكفاءته ونزاهته فعلا، وتمتّع بحظ وافر من العلم، إلا أن اشتراط الكفاءة ليس غريبا على التاريخ القضاء الإسلامي، فلقد تنبه الفقهاء المسلمين لخطورة هذا المنصب، فاشترطوا عدة شروط لمن يتولاّه، تتفق وشروط حاكم الأمة، ومن هذه الشروط، العدل، الذكورة،

---

[1] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 81.

[2] إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص 58، 59.

[3] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 82.

[4] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 32.

[5] بن بية، **المرجع السابق**، ص 11.

الحرية، البلوغ، العدالة، العلم، سلامة الحواس إضافة إلى الذكاء والفطنة[1] إلى غير ذلك من الأمور التي تهدف إلى اختيار أفضل الناس لهذا المنصب الذي اعتبره **النباهي** "من أعظم الخطط قدرا، وأجلها خطرا"[2]. وقد ارتفع شأن القضاء في العهد المرابطي أكثر لما تولاه أعلام كبار من أمثال **أبي علي الصدفي**[3]، الذي تولى قضاء **مرسية والقاضي أبي الوليد محمد بن رشد الجد** الذي تقلد القضاء **بقرطبة** فسار فيه بأحسن سيرة وأقوم طريقة[4]، والقاضي **أبي بكر بن العربي** الذي كانت له في الظالمين سورة مرهوبة[5]. وقد منح المرابطون للقضاة سلطات واسعة، لا حدود لها، فالجميع أمام القاضي سواء[6]، وتشددوا في تطبيق ذلك وهذا ما يبدو جليا في رسائلهم والتي تؤكد على الجميع بأن يخضع لحكم القاضي، نذكر منها الرسالة التي وجهها الأمير **علي بن يوسف بن تاشفين** إلى قاضي الجماعة بقرطبة **أبي عبد ا بن حمدين**، إذ يقول له فيها: "وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين، أن يسلموا لك في كل حق تمضيه، ولا يتعرضوا عليك في قضاء تقضيه، ونحن أولا وكلهم آخر، قد صرت قاضيا، سامعون منك، غير معترضين في حق عليك، والعمال كافة في الحق"[7].

لقد حاول المرابطون بواسطة النظم السالفة الذكر، تحقيق العدالة والأمن العام، الذي تطمئن به النفوس، كما لم يكن المرابطون يريدون لمذهبهم أن يكون مذهبا آنيا، بل عملوا على جعله قاعدة ثابتة، حتى لا يتعرض للاندثار والذوبان بعد وفاة الجيل الأول من أهل الدولة[8]، لذلك ألفوا في سياسة الحكم ليسير عليها الكبير وينشأ عليها

---

[1] الهدفي، **المرجع السابق**، ص 265 ومابعدها.

[2] النباهي، **المصدر السابق**، ص 22.

[3] ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج1، ص 143 وما بعدها.

[4] نفس **المرجع السابق**، ج2، ص 54، الضبي، **المصدر السابق**، تحقيق الأبياري، ج1، ص 74.

[5] إبن بشكوال، نفس **المصدر السابق**، ج2، ص 558.

[6] بن بية، **المرجع السابق**، ص 112.

[7] ابن بسام الشتريني: **الذخيرة في مجالس أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية،بيروت، ج1، ص 112.

[8] بن بية، **المرجع السابق**، ص 112.

الصغير[1]، من بينهم الإمام **أبو بكر محمد بن الحسن الخضرمي**[2]، الذي ألف كتابا سماه **الإشارة في تدبير الإمارة** حاول فيه أن يضع تصورا للسلوك السياسي السليم في مختلف المواقف والظروف، واتجاه مختلف الفئات[3]، ويهتم أكثر بضرورة إصلاح الحاكم لنفسه والعدل في حكمه فالعدل في نظره "أنصر من الرجال، وصاحبه له فضائل أربع، الأجر والثناء، والنصرة والبقاء" ويقول من أمثال ذلك "أنه إذا نطق اللسان العدل في دار الإمارة، فليبشر ساكنها بالعز والعمارة"[4]. فلقد كانت المسألة بالنسبة **لأبي بكر المرادي** لا أن يوضح ضرورة السلطة، وعلاقتها بالشريعة، فلقد كانت السلطة موجودة، وعلاقتها بالشريعة واضحة، إذ أنها كانت نتاج دعوة إلى الالتزام بالشريعة، إنما كانت المسألة هي: كيف يمكن للمرابطين الاحتفاظ بالملك رغم عدم عراقتهم فيه؟ فقد رأى **المرادي** أن ذلك ممكن إن مشوا أو جرو على سلوك سياسي حكيم، يؤسس تدريجيا تقاليد السلطان، وقد حاول في تلك الرسالة أن يضع تصورا للسلوك السياسي السليم، في مختلف المواقف والظروف، واتجاه مختلف الفئات، وأن يلقّنه ناشئة الأمراء وصغارهم ليستقر في عقولهم،و يعتادونه في سلوكا تهم، ولعل ذلك كان بطلب من **أبي بكر بن عمر،** الذي اصطحبه معه إلى الصحراء ليعلم الناس الشريعة[5]، **لكن يا ترى هل عمل المرابطون بهذا الكتاب، وساروا على نهجه ؟!**

لم يتوصل الباحثون إلى الجزم بأن الحكام المرابطين اعتمدوا كليا على ما جاء في هذا الكتاب،غير أنه من المؤكد أنهم اتبعوا سياسات قريبة جدا من تلك التي حثّ بها الإمام المرادي،وحث عليها[6]، فنجد مثلا أن ا**لمرادي** عقد بابا تحدث فيه عن مخالطة

---

[1] المرادي أبو بكر محمد بن حسن الخضرمي القيرواني، **الإشارة على أدب الإمارة**، تحقيق رضوان السيدة، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 17.

[2] أصله من القيروان، قربة أبو بكر بن عمر إليه بعد وفاة عبد ا بن ياسين، فلقد كان فقيها عالما بأصول الدين، وله في ذلك تواليف مفيدة، أنظر: ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج2، ص 572، الزركلي، **المرجع السابق**، ج4، ص 12.

[3] المرادي، **نفس المصدر**، ص 22.

[4] **نفس المصدر السابق**، ص 145، 146

[5] **نفس المصدر**، ص22.

[6] بن بية، **المرجع السابق**، ص 113.

الأصحاب، ونهى فيه الحكام عن مخالطة الأسافل ممن أفسدتهم الحضارة الزائفة[1]، فهذا النهي ينطبق مع ما وصف به صاحب الحلل الموشية الحكام المرابطين بأنهم "كانوا قوما، ربتهم الصحراء، نيتهم صالحة لم تفسدها الحضارة،ولا مخالطة الأسافل"[2]، كما أن دعوة المرادي إلى ابتعاد الأمير عن المدح والترف والجواري هي من سمات الأمراء المرابطين إلى أن سقطت دولتهم إلى غير ذلك من الأمور[3]. فالعلماء في العهد المرابطي، أرادوا أن تترسم دولتهم، وتتبع خطئ الجيل الأول من السلف الصالح في حكمهم، وإدارتهم لشؤون المسلمين، فلقد دعوا إلى الزهد،والصبر على الحق، و تحسيسهم بالمسؤولية، ودعوتهم إلى الحرص على أدائها كما ينبغي، ووصية **أبي بكر بن عمر ليوسف بن تاشفين**، عندما ولاه على **المغرب**،ما تدل إلا على عمق الإحساس بالمسؤولية لدى الحكام المرابطين.كما أراد العلماء في الدولة المرابطية أن يكرسوا هذا المفهوم ، ويطبقوه ويجسدوه على أرض الواقع ابتداء من **عبد ا بن ياسين**،و **المرادي** إلى القاضي **عياض، وأبي بكر بن العربي، والإمام الطرطوشي**، الذي قام بإرسال رسالة إلى **يوسف بن تاشفين**، يبين له فيها سبل النجاح والنجاة، وضرب له أمثلة كثيرة على الذين اتبعوا سبيل المصلحين، من ذلك ما وصف به **سلمان الفارسي** رضي اللّه عنه الحاكم المسلم إذ يقول:" هو الذي يقضي بكتاب ا ، ويشفق على الرعية، شفقة الرجل على أهله، قال تعالى:(**الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر)**[4]، ومن مكنه ا في الأرض، وآتاه سلطانا، ولم يفعل ما أمر ا به في هذه الآية، فلا يكون من أهلها..."[5]. **ولكن هل نجح العلماء في تحقيق مسعاهم**؟ يمكن القول أن العلماء قد نجحوا فعلا في ما سعوا من أجله، وحققوا جزء من هدفهم الذي رسموه لهذه الدولة، والدليل على ذلك ما لوحظ على حكام الدولة المرابطية، وحتّى ببداية أفول نجمها، من تمسكهم بالمبادئ

---

[1] المرادي، **نفس المصدر السابق**، ص 96، وما بعدها.

[2] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 82.

[3] بلغيث، **النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والاندلس**، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1982م، ص 59.

[4] سورة الحج، الآية رقم 41.

[5] بن بية، **المرجع السابق**، ص ص 114، 115.

الإسلامية[1]، **فعلى بن يوسف بن تاشفين** لم يعرف عنه جور ولا ظلم، وكان متوسعا في الشورى[2]، **وابنه تاشفين**[3]، كان مثالا الأمير المجاهد الخير، فلقد كان "سالكا ناموس الشريعة، مائلا إلى طريقة المستقيمين، لم شرب قط مسكرا، ولا استمع إلى قينة، ولا اشتغل بلادة ما يلهو به الملوك"[4].

3- مذهب العلماء العقادي وموقفهم من التصوف:

أ- مذهبهم العقائدي:

تميز القرن5ه/11م بتزايد حدة الصراع بين أهل الفكر وكان من أبرز ميادين هذا الصراع في هذه الآونة علم الكلام[5]، الذي ظهر له في القرن 5ه بالمشرق أعلام كبار أمثال **أبي بكر الباقلاني**[6] **وأبي إسحاق الأسفريني**[7]**، والإمام الغزالي**[8] إلا أن ما ميزه في هذه الفترة بالذات هو نفوذ الفلسفة إلى جميع مدارسه وفروعه في الوقت الذي ظهرت مدرسة فلسفية بحتة لها مسارها الخاص، عبرت عن ثقافة اليونان وفلسفته

---

[1] بن بية، المرجع السابق، ص ص 114-115.

[2] المراكشي، **المصدر السابق**، ص 121.

[3] تولي الأمير تاشفين إمارة المسلمين بعد وفاة أبيه، وكانت له وقائع عظيمة على الأندلس، إلى أن توفي وهو يدافع عن ملكه ضد المؤيدين، أنظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج1، ص 448: ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص80.

[4] ابن الخطيب، **نفس المرجع والصفحة**.

[5] هو علم أصول العقائد، أي البحث في أمور العقيدة الإسلامية مثل توحيد ا تعالى والكلام فـي ذاتـه وصـفاته وأفعاله، حاجي خليفة: **كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الكتب العلمية، بيـروت 1992، مـج، ص 1503.ابن خلدون، **المقدمة** ،ط5،دار الرائد العربين بيروت ،1982م ،ص458.

[6] هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، البصري، المتكلم المشهور على مذهب أهل الحديث وطريقـة الأشعرية، أنظر: ابن خلكان، **المصدر السابق**، ج4، ص 269، النباهي، **تاريخ قـضاة الأنـدلس تحقيـق مـريم الطويل**،ط1،دار الكب العلمية ،بيروت، 1995من ص 56، وما بعدها.

[7] هو إبراهيم بن مهران الأسفيراني، الملقب بركن الدين، الفقيه الشافعي، كان متكلما أصوليا وأحد من بلـغ رتبـة الاجتهاد من العلماء لتبحره في العلم واستجماعه شروط الإمامة. أنظر: ابن خلكان، **نفس المـصدر الـسابق**، ج4، ص 28.

[8] أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد، الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي، متكلم، فقيـه، أصـولي، صـوفي، مشارك في مختلف أنواع العلوم، وله فيها تأليف عديدة من بينها، الفقه المستصفى، إحياء علوم الدين، وغيرها توفي 505هـ/1111م، أنظر: ابن خلكان، **نفس المصدر السابق**، ج4، ص 116، محمد رضا كحالة، **معجم المـؤلفين**، دار إحياء التراث العربي للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ج12، ص 266.

أكثير مما عبرت عن ثقافة الإسلام وفكره، وأهم أعلام هذا الاتجاه **ابن سينا**[1]، **وأبو الريحان البيروني**[2]، **وإخوان الصفا وخلان الوفا**[3].

و قد انتقلت هذه الأفكار والطرقات العقلية الفلسفية من **المشرق** إلى سائر أقطار العالم الإسلامي بما فيه **المغرب والأندلس**، غير أنها لم تصل بنفس الدفع الذي ظهرت به، لذلك تعامل معها العلماء بروية وهدوء، ولما كان العلماء بالدولة المرابطية على **مذهب مالك** فلقد تعاملوا معها من منظور مالكي بحت[4]، مقتفين أثر السلف الصالح، متبعين في ذلك رأي إمامهم مالك في مستجدات الأمور، وفي كل ما يخالف المعقول فالإمام مالك، كان يسير في فهمه للعقائد عن طريق السنة والسلف الصالح، ولا يسير مسارات الذين يريدون إفساد العقيدة الإسلامية على أهلها[5]، ولما كان يسأل عن القضايا المثارة من طرف الفرق الكلامية، فإنه كان يجيب بالمأثور، وهذا ما نلمسه في إجابته لسائل عن قوله تعالى: "**الرحمن على العرش استوى**". فأجاب الإمام مالك بقوله:" الاستواء معلوم، والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، وأنني لأضنك أيها السائل ضالا"[6]. فلقد كان مذهب مالك يعتمد على اتباع السلف الصالح في معالجة النصوص القرآنية والسنية، لا الابتداع متمسكا بظواهر النصوص، غير متأول لها، حيث كان يقف على ظاهرها، ولا يثير حولها أي إشكالات لا يهتدي النقل إليها نبذا للفرقة بين

---

[1] أبو علي شرف الملك الحسين بن علي بن عبد ا ، **(ت428/137م)**، الفيلسوف، صاحب التصانيف المشهورة في الطب والمنطق والرياضيات أنظر: الزركلي، **المرجع السابق**، ج1، ص ص 214، 121.

[2] هو محمد بن أحمد لخوارزمي، فيلسوف، رياضي ومؤرخ، له تصانيف متعددة منها، الآثار الباطنية في القروض الخالية، الجماهير في معرفة الجواهر، أنظر الزركلي، **نفس المرجع السابق**، مج، ص 314.

[3] فرقة كلامية، ضمت علماء وفلاسفة كانت لديها أهداف سرية فاجتمعت في تضيف مقالات فـي أنـوع الحكمـة الأولى، عددها إحدى وخمسون رسالة أو مقالة، هدفت من خلالها التي تجديد السياسة والأخلاق من خـلال المـرح بين الشرائع الإسلامية والتشيع والصوف، والأخلاق المسيحية والفكر اليوناني، أنظر القفطي، جمـال الـدين أبـي الحسن على بن القاضي، **أخبار العلماء بأخبار الحكماء** تحقيق الكتبي، ط1، مطبعة السعادة، 1326هـ، ص 58.

[4] بن بية، المرجع السابق، ص 118.

[5] أبو زهرة محمد: **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ص 411، 412.

[6] عياض، **المصدر السابق**، تحقيق علي تاويت، ج1، ص 198.

المسلمين، وعدم تعقيد لهم في فهم حقائق الإسلام[1]، ومن هذا الفهم كان نبذهم للفلسفة[2]، أما في أصول العقائد، فلقد تشبثوا بمنهج الإمام مالك، القائم على التسليم بما جاء في كتاب ا وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، والبعد عن كل ما من شأنه إفساد العقيدة الإسلامية على أهلها[3]، وبناءا على ذلك" قرر العلماء والفقهاء في عصر المرابطين، تقبيح علم الكلام، لكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد"[4]. كما حرص الأمراء المرابطون على الكتابة إلى عمالهم في مختلف أنحاء البلاد من أجل أمرهم بالتشدد في نبذ الخوض في شيء من علم الكلام[5]، وكان قصدهم أو هدفهم من ذلك حفظ عقائد الأمة من جمهور المسلمين[6]، وهذا الموقف الذي اتخذه العلماء المرابطون يتفق مع ما ذهب إليه **حجة الإسلام الإمام الغزالي** وأبو **الوليد بن رشد الفيلسوف**، فكيلاهما حذّرا من حشر العوام في قضايا علم الكلام لأن ذلك يفضي في نظرهما إلى الانقسام والفتنة[7]، كما برر الفقيه **أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي**[8] عدم ضرورة تعلم علم الكلام ببلاد المغرب في القرن 5هـ من أجل الحفاظ على سلامة البلاد من البدع في ذلك الوقت[9]، أما الخاصة من الأمة، أي العلماء الذين لديهم رسوخ في العلم، وتميز في الفهم، فلهم الحق على الاطلاع على هذا العلم، ومباحثه إذا احتج إليه كأداة للدفاع عن حرمات الإسلام،

---

[1] أبو زهرة، **المرجع السابق**، ص ص 411، 412، النجار،**المرجع السابق**، ص 55.

[2] بن بية،**المرجع السابق**، ص 119.

[3] أبو زهرة، **نفس المرجع السابق**، ص 112.

[4] المراكشي، **المرجع السابق**، ص 112.

[5] **نفس المصدر والصفحة**

[6] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص 112.

[7] أمليل علي: **السلطة الثقافية والسلطة السياسية**، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 19.

[8] المعروف بابن الخراط، كان فقيها عالما بالحديث،عارفا بالرجال، مشاركا في الأدب وقول الشعر، لـه تـصانيف كثيرة منها، الجمع بين الصحيحين، كتب في الجمع بين مصنفات السنة وغيرها، أنظر بالينثيا، أنخل،**تـاريخ الفكـر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص 428.

[9] الونشريسي أحمد بن يحي، **المعيار**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ج11، ص 230.

كما ذهب **أبو بكر بن العربي**[1]، واشتهار العديد من العلماء المرابطين بمعرفة علم الكلام كدليل قاطع على أن المنع خص العامة فقط دون العلماء، نذكر من بينهم **محمد بن الحسن المرادي**، الذي اعتبره القاضي **عياض**، أول من أدخل علوم الاعتقاد إلى المغرب الأقصى[2]، وتلميذه أبو **الحجاج بن موسى الكلبي**[3]، الذي كان من أهل التبحر في علم التوحيد والاعتقادات[4]، وهو آخر أئمة المغرب فيه[5]. بالإضافة إلى التقدير الكبير لأئمة علم الكلام من طرف الأمراء المرابطين[6]، ويتجلى هذا التقدير بوضوح في الجواب الذي كتبه **شيخ المالكية أبو الوليد بن رشد الجد**، في رده على استفسار أمير المسلمين **علي بن يوسف بن تاشفين**، ونص السؤال يقول: ما يقول الفقيه، قاضي الجماعة، الأجل الأوحد، أبو الوليد، وصل ا ترشيده، توفيقه، ونهج إلى كل صالحة طريقه في الشيخ أبي الحسن الأشعري، وأبي إسحاق الأسفريني، وأبي بكر الباقلاني، وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي، وأبي الوليد الباجي[7]، ونظرائهم فيمن ينتحل علم الكلام، ويتكلم في أصول الديانات،ويصنف في الرد على أهل الأهواء، أهم أئمة رشاد وهداية، أم قادة حيرة و عماية، وما تقول في قوم يسبونهم، و ينتقصونهم ويسبون كل

---

[1] بن بية، **المرجع السابق**، ص 120.

[2] التادلي، **المصدر السابق**، ص 105، حسن على حسن، **المرجع السابق**، ص 486.

[3] أصله من سر قسطة، كان من أهل العلم والتبحر في علم التوحيد والاعتقادات، انتقل إلى المغرب وسكن حـضرة السلطان، إلى أن توفي فجأة 52هـ/1126م، أنظر: ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج2، ص 446، بالتادلي، **نفـس المصدر السابق**، ص 105، وما بعدها

[4] ابن بشكوال، **نفس المصدر والصفحة**.

[5] التادلي، **نفس المصدر السابق**، ص ص 105، 106.

[6] بن بية، **المرجع السابق**، ص 120.

[7] هو سليمان بن خلاف (**ت 474هـ /1081م**) من أعظم من فعل بهم تاريخ من حفل بهم تاريخ الأنـدلس الفكـري، درس في المشرق 13 عاما، وعاد ليجد بلاده فريسة الاضطراب والفوضى فرشح نفسه بالإصـلاح بـين الأمـراء، وكانت له مناظرات مع ابن حزم بالأندلس، أنظر: عياض، **المصدر السابق**، ج2، ص 347، ومابعـدها، النبـاهي، **المصدر السابق**، ص 125.

من ينتمي إلى مذهب الأشعرية[1]، ويكفّرونهم، ويتبرؤون منهم وينحرفون بالولاية عنهم، ويعتقدون أنهم على ضلالة، وخائضين في جهالة، فماذا يقال لهم،ويصنع بهم، ويعتقد فيهم؟ هل تجوز الصلاة وراءهم أم لا؟ بين لنا مقدار الأئمة المذكورين، ومحلهم من الغير،وأفصح لنا عن حال المنتقص منهم، المنحرف عنهم، وحال المتولّي لهم، ...فأجاب: "تصفحت عصمنا ا وإياك سؤالك هذا، ووقفت عليه،وهؤلاء الذين سميت من العلماء أئمة خير وهدى، وممن يجب الإقتداء بهم، لأنهم نصروا الشريعة، وأبطلوا شبه أهل الزيغ و الضلالة، وأوضحوا المشكلات ويتبنوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات، فهم بمعرفتهم أصول الديانات العلماء على الحقيقة لعلمهم با عز وجل، وما يجب له وما لا يجوز، وما ينبغي عنه، إذ لا نعلم الفروع إلا بعد معرفة الأصول، فمن الواجب أن يعرف بفضائلهم، ويقر لهم سوابقهم، فهم الذين عنى صلعم ، وا يقول:" **يحمل هذا العلم من كل صنف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين،**" فلا يعتقد أنهم على ضلالة إلا غبي جاهل أو مبتدع زائغ عن الحق مائل ولا يسبهم وينسب لهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق. قال ا عز وجل: "**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا**" فيجب أن يبصر الجاهل منهم ويؤدب الفاسق، ويستتاب المبتدع الزائغ عن الحق، إذا كان مستسهلا ببدعة، فإن تاب وإلا ضرب أدبا حتى يتوب..."[2].

أما بالنسبة للفلسفة، فلم تلقى القبول من العلماء في العهد المرابطي[3]، وهذا ما نستشفه من قول **المقري** عن الفترة المرابطية "وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا

---

[1] فرقة كلامية تنسب إلى أبو الحسن الأشعري، الذي تتلمذ على يد شيوخ المعتزلة ثم خرج عنهم وخالفهم في الكثير من مبادئهم البعيدة عن النصوص الثابتة آخذا مأخذا أهل السنة في التوحيد، وفي الأخذ بظواهر النصوص القرآنيـة والأحاديث النبوية، واصفا ا بما وصف به نفسه ووصفه نبيه، صبحي صالح: **النظم الإسلامية نشأتها وتطورهـا،** ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1928م، ص 172، ومابعدها.

[2] إبن رشد الجد القرطبي، المالكي، **الفتاوي**، تحقيق مختار بن الطاهر التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ج2، ص 802، وما بعدها.

[3] بن بية، **المرجع السابق**، ص 12.

الفلسفة والتنجيم"[1]، وبالرغم من ذلك فإن هناك من تعاطاها سرا، وأمثال ذلك الفيلسوف **مالك بن وهيب**[2]، الذي لم يستطيع بث معارفه الفلسفية لقربه من أمير المسلمين **علي بن يوسف**، بل أضرب عن النظر فيها وعن التكلم عنها، لما لحقه من مطالبات بسببها[3].

يظهر مما سبق أن علماء المذهب المالكي قد أثّروا فعلا على الفكر في الفترة المرابطية وأن سلطتهم وصلت لدرجة اختيار للأمة ما يصلح تدارسه فيدرس، وما لا يصلح فيمنع في إطار الشرع الإسلامي وحفظا لعقائد الأمة أن تدخلها الشبهات[4].

ب- **موقف العلماء من التصوف في عهد المرابطين:**

ظهر في العهد المرابطي نوعين من التصوف، أحدهما سني يتقيد أصحابه فيه بالكتاب والسنة، ويربطون أحواله ومقاماته بها[5]، مقتفين بذلك أثر السلف الصالح في الامتثال بأوامر الشرع، واجتناب نواهيه، والآخر شبه فلسفي، نشأ نتيجة التأثر بالتراث اليوناني كفلسفة **أفلاطون وأرسطو** التي ترجمت في المشرق ثم نقلت إلى الأندلس[6]، فضلا عن تأثرها بمؤلفات بعض المسلمين، **كأبي نصر الفارابي وابن سينا**، ورسائل **إخوان الصفاء وخلان الوفا** ومصنفات كبار المتكلمين **كالمعتزلة**. وقد قسم الدارسون المتصوفة ومناهجهم في عهد المرابطين إلى فئات مختلفة، منها ما مثلت التصوف الذي يميل إلى الزهد والمجاهدة وقراءة الرقائق، من بينهم **عبد الرحمن بن صقر الأنصاري**، الذي اشتغل بقراءة كتب الرقائق والزهد، وغيره كثير، واتجاه مثّله فريق من الزهاد آثروا اقتفاء السلف الصالح، ورفضوا مبدأ المجاهدة النفسية، وتبنوا بدلها مبدأ المجاهدة

---

[1] المقري، **المصدر السابق**، ص 221.

[2] إشلييي من أكابر العلماء والأرجاء، كان متمكنا من علوم الدين والفلسفة، استدعاه على بن يوسف المراكشي وجعل منه جليسه وأنيسه، وهو الذي قام بمناظرة داعي الموحدين المهدي بن تومرت، أنظر: المقـري، نفـس المـصدر السابق، ج3، ص 449، محمد إبراهيم الفيومي، **تاريخ الفلسفة الإسلامية بالمغرب والأنـدلس**، ط1، دار الجيـل، بيروت، 1997م.

[3] بن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 515.

[4] بن بية، المرجع السابق، ص 120.

[5] أحمد السحمراني، **التصوف منشئوه ومصطلحاته**، ط1، دار النفائس، بيروت، ص 407.

[6] بن بية، **المرجع السابق**، ص 122، 123

العلمية، ومن بين من تبنى هذا الاتجاه الفقيه **وجاج بن زولو،** الذي كانت له مدرسة **بنفيس** بعلم الناس فيها العلم، ويحثّهم على الخير، ويضرب لهم المثل الحسن لسلوكهم[1]، وهو شيخ الإمام **عبد اللّه بن ياسين** الذي كان زاهدا في زخرف الدنيا متقلّلا من حلالها، صابرا على الحق[2]، والإمام الفقيه الزاهد **أبو علي الصدفي،** الذي قضى حياته بالعلم والتعليم والجهاد، غير متشوف لغرض، صابرا على ذلك إلى أن استشهد **بموقعه كتندة**[3]. ولأثر هذا السلوك في الكثير من طلبة العلم، و الأمراء منهم، فأمير المسلمين **يوسف بن يوسف** كان شيخا زاهدا في متاع الدنيا متورعا، عادلا، صالحا، لباسه الصوف، لم يلبس قط غيره[4]، وكذلك **ابنه علي** كان كما وصف المراكشي "يعد من الزهاد والمتبتّلين أقرب منه أن يعد من الملوك والمتغلّبين"[5] كما كان **الأمير تاشفين بن علي** يحب مجالس المريدين وكتبهم[6]. بالإضافة إلى ذلك برزت فئة أخرى مثلت التيار الصوفي الفلسفي، وكان من أشهر أعلامها **ابن العريف أحمد بن يونس بن عطاء ا الصنهاجي**[7] و**أبو الحكم عبد السلام بن برجان اللخمي الإشبيلي**[8] و**أبو القاسم أحمد بن قسي**[9] زعيم الجناح المتطرف لحركة التصوف الأندلسي، أو الجناح المتطرف عن

---

[1] بلغيث، **المرجع السابق**، ج1، ص 445.

[2] التادلي، **المصدر السابق**، ص 89

[3] عياض، **الغنية**، ص 131.

[4] ابن أبي زرع، **المصدر السابق،** ص 87.

[5] المراكشي، **المصدر السابق**، ص121.

[6] بلغيث، **المرجع السابق**، ص 443.

[7] كان من أهل الزهد والورع، والإيثار مع الأقلال، فأصبح علما من أعلام المتصوفة بالمرية، التي تصدر الإقـراء بها كما ولي المسبة بالنسبة ولما كثر أتباعه حسده الفقهاء على ما كان يتمتع به من نفوذ روحي لدى العامة، فسعوا به إلى أمير المسلمين، إلى أن توي 534ه،/1142م، أنظر ابن بشكوال، **المـصدر الـسابق**، ج1، ص 81،جمعـة شيخة، **التصوف الأندلسي بين الذين والسياسة خلال النصف الأول من القرن 6هـ /12م**، مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والتوزيع والإشهار، 1419ه،/1999م، العدد 21، ص 21.

[8] الشيخ المتصوفة بإشبيلية، وكان ابن العريف يخاطبه بإمامي وكبيري، التزم بدراسة الحديث والرقاق إلى أن توفي (**536ه، /1142م**) مخلفا لنا تصانيف متعددة منها شرح أسماء ا الحسنى، **تفسير القرآن، كتاب الإرشاد**، أنظـر: ابن خلكان، **المصدر السابق**، ج4، ص 237، بلغيث، **المرجع السابق**، ج1، ص 453.

[9] أحد المتسترين بالتصوف، وأول الثائرين على المرابطين 539هـ/1144م، وهي نفس الـسنة التـي قـام فيهـا المنتزون بقرطبة على يد بن حمدين، وغرناطة على يداين الأضحى وبلنسية على يدين بن عبد العزيز، أنظر: ابـن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص 248.

جوهر التصوف وروحه[1]، وقائد حركة المريدين الصوفية[2]، لقد قابلت السلطة المرابطية وجهازها الفقهي الفئة الأخيرة من المتصوفة والفقراء والمريدين بموقف سلبي وعدائي[3]، حيث اعتبر الفقهاء المالكيين هذه الفئة خارجة عن الشرع، وأنكروا على هؤلاء عدة أمور منها قولهم بالإتحاد والحلول والعشق وما إليها من ألفاظ أخرى[4]، وفي ذلك يقول الفقيه الحافظ **أبو بكر بن العربي** "وللصوفية في إطلاق العشق على ا تعالى تجاوز عظيم واعتداء كبير، ولولا إطلاقه ا تعالى المحبة ما أطلقناها، فكيف نتعداها إلى ما سواها من ألفاظ المجان، وليس لهذا أصل في الشريعة"[5]، ووصل هذا الإنكار من طرف الفقهاء على الصوفية إلى درجة ألبوا الأمراء المرابطين عليهم، فقام **أمير المسلمين علي** بالكتابة إلى عامل **المرية** يأمره بإحضار **ابن العريف** إلى **مراكش** لاختبار أحواله[6]، كما قام بسجن بعض الصوفيين **كابن برجان**[7] **وأبو بكر بن الحسين الميورقي**[8]، واستمر التنافس بين رجال الفقه، ورجال التصوف إلى درجة أصبح الصراع بينهما شديدا، ولعل من أبرز محطات هذا الصراع تلك الحادثة التي عرفها العصر المرابطي بالذات والتي بينت مدى ما وصلت إليه السلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين ونقصد بها حادثة **إحراق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد**

---

[1] جمعة شيخة، **المرجع السابق**، ص 74.

[2] هي أول ثورة على الحكم المرابطي 539ه،/1144م، كانت سرية في بدايتها، تعارض سياسة المرابطين بالأندلس، خاصة السياسة المالية الجبائية 'اصطدمت مع السلطة المرابطية بداية من إحراق كتاب إحياء للغزالي، واستمرت في نمائها إلى أن أعلنت الثورة على المرابطين سنة 539هـ بقيادة ابن قسي، أنظر مـصطفى بنـشباع: **ابـن الحـاج التجيني وسائل بيوعه في معيار الونشريس،** الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات الهامش رقم 535، ص 292، بلغيث، **نفس المرجع السابق**، ج1، ص 456 .

[3] بلغيث، **الرجع السابق**، ج1، ص 443.

[4] بن بية، **المرجع السابق**، ص 124.

[5] ابن العربي، **العواصم من القواصم** في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلعم ، تحقيق محب الدين ابن الخطيب، دار الصادر بيروت ،ص 16.

[6] التادلي، **المصدر السابق**، ص 120، ومابعدها.

[7] جمعة شيخة، **المرجع السابق**، ص 71.

[8] زعيم المتصوفة بغرناطة، كان محدثا واسع الرواية، مشهورا بالإتقان والضبط، وكان ظاهري المذهب يغلب عليه الزهد والصلاح،أنظر: ابن الإبار، **المعجم**، ذ 147، جمعة شيخة، **نفس المرجع السابق**، ص 72.

الغزالي[1] حيث أنكر بعض الفقهاء المرابطين على كتاب الإحياء، وأفتوا بمنعه من التداول، ولم يقف الأمر عند هذا الحد وحسب، بل أمروا بإتلافه وحرقه، بعد إصدار فتوى من **أمير المسلمين علي بن يوسف** وذكر **ابن القطان** أن هذا الحادث وقع في أول عام503ه[2] ومعنى ذلك أنه وقع قبيل عبور علي بن يوسف إلى الأندلس بأسابيع قلائل ، علما أن سائر المصادر التاريخية تورد أن والده **يوسف** كان على صلة طيبة بالإمام الغزالي، حيث كان يستفتيه باعتباره عميد فقهاء المشرق في عظائم الأمور وكان الغزالي من جانبه يقدر ليوسف بن تاشفين نصرته للإسلام حتى قبل أنه قرر الرحيل إلى المغرب لرأياه لكنه عندما وصل إلى **الإسكندرية** علم بوفاته سنة (5) فعدل عن سفره، لكن الأمور تغيرت على عهد ولده علي الذي كان يتسم بنوع من الورع والزهد ويميل إلى إيثار الفقهاء ومشاورتهم، فاشتد نفوذهم على عهده، وبلغت سلطتهم أقصاها، ولما وصل كتاب الإحياء إلى **المغرب والأندلس**[3] وقرأه الفقهاء، سخطوا عليه وأنكروا كثيرا من المسائل التي وردت فيه، وزعموا أنها مخالفة للدين،وكان **أبي عبد ا محمد بن حمدين**[4] من أشد الفقهاء مبالغة في ذلك حتى أنه قال بتكفير من قرأ كتاب الإحياء،[5] ورفع مع فقهاء **قرطبة** الأمر إلى أمير المسلمين وأجمعوا على وجوب وإحراق كتاب الإحياء، فأخذ برأيهم واحتفل الفقهاء في مدينة قرطبة بحرق نسخ الإحياء بعد أن شبعت بالزيت[6]. لكن السؤال الذي يشغل أي باحث يتطرق إلى هذه القضية هو: **ما هي الأسباب التي دفعت الفقهاء إلى هذا الإنكار الشديد على كتاب الإحياء؟**.

---

[1] عمر بن حمادي، **من مشاكل كتاب المعيار للونشريس**، نسبة الفتاوي إلى أصحابها والظروف التي حفت بإنجازه وظهوره، مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية، تونس، 2007، العدد 25، ق1، ص 77.

[2] ابن القطان، **نظم الجمان في ذكر ما انتهى إلينا من أخبار القرن 6هـ،** تحقق محمود علي مكي، طبعة مهدية، تيطوان، المغرب، ص 14.

[3] الفيومي، **المرجع السابق**، ص ص 185، 186.

[4] من كبار رجال الأندلس وزعمائها في وقته، تولى للمرابطين الشورى، ثم قضاء الجماعة بقرطبة، توفي في أواخر محرم من سنة 508هـ /144م. عبد الحق بن عطية، **الفهرس**، تحقيق محمد أبو الأجفان، محمد إبراهيم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 198، ص ص 111، 112.

[5] الفيومي، **نفس المرجع السابق**، ص 186.

[6] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 59، مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 75.

بالعودة إلى المصادر نجد أن البعض يذكر هذه الحادثة دون أن يفسر سببها[1]، أما البعض الآخر فلمح لوجود عوامل في ذلك دون ذكرها، **كصاحب الحلل الموشية** الذي قال: "إن الفقهاء تكلموا في كتاب الإحياء وأنكروا فيه أشياء"[2]، لكنه لم يحدد طبيعة هذه الأشياء[3]، **والتادلي** الذي قال: "ذكرت فضائل الإحياء، وما طعن عليه علماء الدين، الذين أظهر عوارهم[4]". في الوقت الذي قدمت فيه مصادر أخرى تفاسير مختلفة دون أن تتّفق على سبب بعينه، **فصاحب كتاب بيوتات فاس الكبرى،** يقول: "إن العلماء تكلموا في الإحياء لما وجدوا فيه من أحاديث موضوعة"[5] بينما **المراكشي** فيربط قضية الإحراق بمحاربة العلماء المرابطين لعلم الكلام[6]، وباختلاف آراء المصادر في هذا العمل، اختلفت أيضا آراء المؤرخين المحدثين، فأرجع حسن إبراهيم حسن[7] الحرق لسببين: الأول منها أن الاتجاه الفقهي لهذا الكتاب يسير على المذهب الشافعي والثاني أن الكتاب صوفي بروحه، يسير على الفلسفة الكلامية، التي منعها المالكية ، وحسن أحمد محمود[8]، رأى أن الإحراق تم لأن الفقهاء اعتبروا **الغزالي** من أهل الرأي، أما عبد ا عنان[9]، فجعل أهم عوامل الإحراق إلى ما حواه هذا الكتاب من حملة لاذعة على فقهاء الفروع، والتنويه بجهلهم، وسخف مجادلتهم السطحية، ووصف الغزالي لهم بأنهم مجانين، وكونه يجهلون علم الأصول الذي ينوه به الغزالي بأهميته، وعظم قدره.

من خلال ما أوردناه من اختلافات في الآراء من المرجح أن أهم أسباب إحراق كتاب الإحياء تعود إلى ما يلي:

---

[1] ابن القطان، **المصدر السابق** ، ص 70؛ ابن عذاري، **المصدر السابق**، ص 59.

[2] مؤلف مجهول، **المرجع السابق**، ص 404.

[3] بن بية، **المرجع السابق**، ص 125.

[4] التادلي، **المصدر السابق**، ص 36.

[5] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص 125.

[6] المراكشي، **نفس المرجع السابق**، ص 122.

[7] **المرجع السابق**، ج4، ص 432.

[8] **المرجع السابق**، ص 446.

[9] **عصر المرابطين والموحدين**، ص ص 78، 80.

1- أن الكتاب يتضمن تعريضا وتشنيعا بالفقهاء الذين أقبلوا على الدنيا[1]، معتبرا إياهم لم يتّصفوا بمقتضى مسماهم لأنهم جعلوا الفقه مقصورا على العلم بالحلال والحرام[2] في حين أن **الغزالي** يجعل للفقه معنى أسمى من ذلك، وهو العلم الدال عن طريق الآخرة بتصفية النفوس[3] وأن هذا المعنى هو الذي كان معروفا لدى السلف الأول من الصحابة والتابعين، كما أورد في كتابه الكثير من الآثار التي لم تعجب الفقهاء، فرأوا فيها تحريضا للعامة عليهم خاصة وأن الفقهاء حضوا بمكانة خاصة، وتمتعوا بسلطة واسعة في هذه الفترة، فحازوا على المال والسلطة، مما لم يعجب الكثير من العلماء والأدباء الذين لم يتخذوا وسعا، ولم يتركوا أي مناسبة ليشهروا بهم[4].

2- اشتماله على الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة[5]، الأمر الذي أثاره عليه الكثير من العلماء أمثال **الطرطوشي** الذي قال عن الغزالي أنه لما كتب كتابه المسمى إحياء علوم الدين عمد يتكلم في علوم الأحوال ومراقي الصوفية، وكان غير دري بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، فلا في علماء المسلمين قر، ولا في أحوال الزاهدين استقر، فشحن كتابه بالكذب على رسول ا صلى ا عليه وسلم[6]، فلا أعلم كتابا على بسيط الأرض في مبلغ علمي أكثر كذبا على رسول ا منه..."[7].

3- اشتداد الصراع بين المتصوفة والفقهاء، فكتاب الإحياء، قد جمع بين أحكام الورع وآداب المتصوفة، فشكل بذلك خطرا على الفقهاء لأنه رجح كفّة المتصوفة،

---

[1] أفراد أبو حامد الغزالي، الباب السادس من كتابه الإحياء علوم الدين لعلماء السوء وهو القائل، ...ونعنـي بعلمـاء الدنيا، علماء السوء الذين قصدهم من العمل التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه المنزلة عند أهلهـا، أنظـر الغزالـي، **إحياء علوم الدين** وذيله المعنى عن جمل الإسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار لعلامة زين الدين أبي الفضل، تحقيق محمد دالي بسيطة، ط3، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1998، ج1، ص 69.

[2] الهدفي، **المرجع السابق**، ص 326، بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص 126.

[3] الغزالي، **المصدر السابق**،ج1، ص 32.

[4] الهدفي، **نفس المرجع السابق**، ص ص 326، 327.

[5] ابن تيمية، **مجموع الفتاوي**، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم ساحة وابنه محمد، مكتبة المعارف، الرباط، مج10، ص ص 555، 552.

[6] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج12، ص 186.

[7] **نفس المصدر والصفحة**.

لذلك أصدر الفقهاء فتوى بإحراقه[1]، إن الأسباب السالفة الذكر هي التي دفعت العلماء والفقهاء إلى إصدار فتوى الإحراق[2]، وبالرغم من أن هذا القرار صدر بإجماع من السلاطين السياسية والعلمية، فإن هناك من العلماء من عارض، وندد به تنديدا شديدا[3]، نذكرمنهم **أبو الحسن البرجي**[4] الذي أفتى بتأديب من يحرق الإحياء، وتضمينه قيمته لأنه مال مسلم[5]، وكان البرجي مشاورا في الأحكام بمدينة المرية، فلما علم أبو **عبد ا بن حمدين** بفتواه عزله[6]، كما انتصر **أبو الفضل النحوي**[7]، لأبي حامد الغزالي، وأعلن رأيه ببطلان فتوى إحراق كتاب الإحياء[8]، وكتب بذلك لأمير المسلمين علي مفتيا بأن الإيمان التي فرضت في عملية التفتيش أيمان لا تلزم[9] وقال: وددت أني لم أنظر في عمري سوى كتاب الإحياء. وكان قد استنسخ كتاب الإحياء، ثلاثين جزء[10]، فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزء، بالإضافة إلى أبو **القاسم بن ورد**[11]، **والقاضي عياض** الذي رأى أن الإحراق لم يكن الحل الأنسب وإنما قال "لو اختصر هذا الكتاب، واقتصر على ما فيه من خالص العلم، لكان كتابا مفيدا"[12]، فلقد لقي كتاب الإحياء رغم المآخذ التي توجد به القبول من الأمة، وأشاد به علماؤها[13]، ويكفي في هذا المقال أن

---

[1] الهدفي ، **المرجع السابق**، ص 327.

[2] بن بية،**المرجع السابق**، ص 127.

[3] حسن على حسن، **المرجع السابق**، ص 453.

[4] هو على بن محمد بن عبد الحق الجذامي، أبو الحسن المقرئ، المتوفي 509ه،/ 1115م، أنظر: ابن الأبار، **المصدر السابق**، ص 278 ومابعدها.

[5] **نفس المصدر والصفحة**.

[6] ابن الأبار، **المصدر السابق**، ص 278.

[7] يوسف بن محمد بن يوسف، من قلعة بني حماد، سافر إلى سجلماسة وفاس، ثم عاد إلى القلعة إلى أن توفي 513هـ/ 1119م، كان من أهل العلم والفضل ومن المتبعين طريق السلف الصالح، أنظر: ابن الزيات، **المصدر السابق**، ص 96 ومابعدها.

[8] حسن على حسن، **المرجع السابق**، ص 453.

[9] إبن الزيات، **نفس المرجع السابق**، ص 96.

[10] **نفس المصدر والصفحة**.

[11] عباس الجراري، **المرجع السابق**، ص 127.

[12] بن بية، **المرجع السابق**، ص 127.

[13] **نفس المرجع والصفحة**.

نورد ما قاله فيه شيخ الإسلام **ابن تيمية** "والإحياء فيه فوائد كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية، العارفين المستقيمين في أعمال القلوب ومن غير ذلك من العبادات و الآداب ما هو موافق للكتاب والسنة، أكثر مما يرد منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه"[1].

إلا أنه بالرغم من تلك الاحتجاجات والتنديدات من طرف بعض العلماء فلقد استمرت مطاردة كتاب الإحياء حتى بعد وفاة **علي بن يوسف 537 هـ/ 1142** م، وهذا ما أكدته إحدى الرسائل الصادرة عن ابنه **تاشفين** والمؤرخة في جمادى الأولى من سنة **538 هـ / 1143م** [2].

توصلنا من خلال عرض أحداث هذا المبحث وتحليلها أن فقهاء المذهب المالكي في عصر المرابطين، قد فرضوا رؤية خاصة على جميع الأمور، سواء على مستوى الأحكام أو العقائد أو السلطة حيث تصرف العلماء في هذه الفترة على أساس أن الحق واحد، وأنه من جهتهم فقط، لذلك حاربوا ورفضوا كل من يعارض مبادئهم، أو يحاول الخروج عن مذهبهم "المذهب المالكي"خاصة وأنهم وجدوا دولة وجهازا حاكما يساند توجهاتهم، ويسير حسب تعليماتهم[3].

---

[1] ابن تيمية، **المصدر السابق**، مج10، ص ص 551، 552.

[2] الهدفي، **المرجع السابق**، ص 328.

[3] بن بية،**المرجع السابق**، ص 128.

الفصل الثاني

ابن رشد الجد ومكانته العلمية

I- نشأته

II- مكانته العلمية

I- نشأته:

أ- اسمه، مولده، نسبه:

هو **أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد،** قاضي الجماعة **بقرطبة،** وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها، ومن أبرز الفقهاء المالكية بالأندلس في عصر المرابطين[1]، اشتهر **بالجد**[2] تمييزا له عن **ابن رشد** الحفيد[3]، **وبالأكبر**[4]، تميزا له عن الأصغر[5] **وبالفقيه** تمييزا له عن الفيلسوف، ويطلق عليه الفقهاء في المذهب المالكي ابن رشد فقط، فإذا نقلوا عنه أو قاموا بترجيح قوله أو ذكر رأيه، فهم يعنونه، ولا يقصدون غيره.

أما إسمه الكامل فهو **محمد بن محمد بن أحمد بن عبد ا بن رشد المالكي،** هذا ما أثبته **إبن شكوال**[6]**،** تلميذه وابن بلده، أما **المقري** فأورد له النسب التالي،**أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد ا بن ابن رشد** حيث جعل له أبا جديدا في شجرته النسبية، وهو الأب الثالث ، وهذه الزيادة انفرد بها، ولم نجدها في المصادر التي ترجمت لابن رشد، وأفراد أسرته[7]، **كابن الأبار**[8]، **وابن عبد الملك**[9]، **والنباهي.**[10]أما مولده فكان **بقرطبة** من **شهر شوال سنة (450هـ/1058م)** وهي السنة التي أثبتها تلميذه **الفقيه أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن يحي الوزان**[11] التي صرح

---

[1] كمال السيد أبو مصطفى: **دراسات في التاريخ والحضارة،** مركز الإسكندرية للكتاب، 1997، ص4.

[2] الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان،** الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 203، المجلّد الحادي عشر، ص322.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، نفس المرجع، ص4.

[4] ابن سعيد، **المصدر السابق،** ج1، ص162.

[5] التليلي المختار بن الطاهر: **ابن رشد وكتابه المقدمات،** الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988، ص 145.

[6] **المصدر السابق،**ج2، ص 546.

[7] **أزهار الرياض في أخبار عياض،** صندوق إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية المتحدة، د.ت، الجزء الأول، ص 51

[8] **التكملة،** ص113.

[9] **الذيل والتكملة بكتابي الموصول والصلة،** تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 21، 22.

[10] **المصدر السابق،** ص 13.

[11] صاحب الصلاة بجامع قرطبة، وجامع مسائل **ابن رشد الجد،** روى عن أبي عبد ا بن فرج المعروف بإبن الطلاّع، وغيره، وكتب إليه أبو علي الصدفي، وكان يتميز بحسن خطّه، وطول صلاته، وكثير ذكره تعالى، **أنظر ترجمته:** ابن الأبار، **المعجم،** ص 162.

قائلا "سمعت ابن رشد يقول: ولدت سنة خمسين وأربعمائة"[1] وهي السنة التي أكدها **ابن شكوال**[2]، تلميذه وابن بلده وأعرف المؤرخين به وأضبطهم.

ب- أسرته:

نشأ **أبو الوليد بن رشد** في مدينة **قرطبة،** عاصمة الحكم الأموي، وقلعة المالكية **بالأندلس**[3]، في بيت حسيب من بيوتات الأندلس المرموقة، التي توارثت العلم جيلا عن جيل، فأثرت بمكانتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، إلى جانب الأسر الأندلسية الكبرى[4]، كأسرة **بني مغيث بقرطبة[5]،** وأسرة **بني الباجي بأشبيلية**[6] Sevillaوأسرة **بني حمدين**[7]، وأسرة **بني زهر**[8]، وغيرها من الأسر الأندلسية العريقة، ولقد كان أصل أسرة **بني رشد** من **سرقسطة** Zaragoza، ثم رحلوا إلى مدينة **قرطبة** واستوطنوها، مفّضلين أياها على غيرها من المدن الأندلسية ربما لما كانت تتمتع به من منزلة علمية[9]

---

[1] ابن رشد: **المصدر السابق،**س2، ص 1526.

[2] **المصدر السابق،**ج2، ص 546.

[3] ابن رشد الجد**، المسائل،** تحقيق محمد الحبيب التجكتاني، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، لبنان – المغرب، 1414هـ/1993م، الجزء الأول، ص21.

[4] التليلي، **المرجع السابق،** ص83.

[5] من نجباء الأندلس وسادتها وعظمائها، ينسبون إلى **مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني،** جدهم **مغيث** من الأوائل الذين دخلوا الأندلس، وهو من قام بفتح **قرطبة،** وقد اشتهر منهم **يونس بن عبد ا بن مغيث.** أنظر: المقري**، نفح الطيب،** ج3، ص 12 وما بعدها.

[6] ينسبون إلى مدينة **باجة** من أقدم مدائن الأندلس، وهم من أسر الأندلسية المرموقة، التي ينسب إليها العالم الجليل أبو **الوليد سليمان بن خلف الباجي، أكبر علماء الأندلس في القرن الخامس الهجري، أنظر:** ابن سعيد**، المصدر السابق، ج1،** ص 403 وما بعدها.

[7] تعد من أكبر الأسر في الأندلس خلال عصر المرابطين، عرفت بعلمها ودينها،، وكانت من الأسر الطموحة إلى ترجمة مكانتها العلمية والإجتماعية إلى نفوذ سياسي مباشر، ومن مظاهر ذلك قيام القاضي **أبي جعفر بن حمدين،** بقيادة ثورة أهل **قرطبة** الذين خلدوا بيعة المرابطين، وأقاموا حكما جماعيا، جعلوا على رأسه **ابن حمدين،** الذي رحب بالأمر، وتسمى بأمير المسلمين وناصر الدين**، أنظر:** ابن سعيد، **المصدر السابق،** ج1، ص 162، الجابري محمد عابد: **ابن رشد سيرة وفكر،** الطبعة الأولى، بيروت، 1998، ص ص 26، 27.

[8] من الأسر المشهورة بالأندلس، سكنت **إشبيلية** في عهد دولة **بني عباد** من أمراء الطوائف، **أوائل القرن 5 هـ/11م،** وتمتعت بنفوذ كبير بها، علاوة على النبوغ العلمي خصوصا في مجال الطب، والجاه. كمال السيد أبو مصطفى، **المرجع السابق،** ص ص 9، 10.

[9] التليلي**،نفس المرجع السابق،** ص 79.

وأسرة **بني رشد** من الأسر المتعربة، فالمصادر التي بين أيدينا لا تمدنا بأي معلومات، تدل على أنّها عربية الأصل، في وقت كان يفتخر ويتباهى فيه بالنسب العربي[1]، بل هناك من يتّهمها بالنسب اليهودي، وحدث ذلك أول مرة عندما نفي ابن رشد الحفيد **اليسانة(Lucena)**، وهي بلد صغير كان آهلا باليهود[2]، وقويت هذه التهمة عليه، خاصة لما حضي عندهم من مكانة، فهم الذين ترجموا مؤلفاته إلى العبرية، ثم إلى اللاتينية[3]. غير أنّه لا يمكن لهذه التهمة أن تثبت على **ابن رشد** وآله، لأنّها وردت من طرف أشخاص حاسدين منافسين **لابن رشد** على مكانته، والذين أشاعوا أن الخليفة **المنصور**[4]قد أرجع الفيلسوف إلى أصله، وحكم عليه بالإبعاد إلى بلده، لذلك لم تنقص هذه التهمة من مكانة بيت **بني رشد** الذي جمع بين الوجاهة والشهرة والحسب والجلالة[5]، فجميع أفراد أسرة بني رشد من العلماء، بداية من **الوالد أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد ا بن رشد** الذي عرف عنه العلم والجلالة والعدالة[6]، ثم إبنه **أبي القاسم أحمد**[7] الذي تربى في كنفه، فنشأ فاضلا، متواضعا، محبا للسلامة بين الناس، وترعرع في أسرة محبة للعلم فشب على حبه[8]، وسعى لتحصيله من شيوخ **قرطبة** حتى ألم بالثقافة من

---

[1] إن المتبع لكتب الطبقات المعرفة برجال **الأندلس**، يلحظ جليا حرص الأندلسيين في المحافظة على النسب العربي، ويجده سمة مميزة لهم عن سواهم ومقرونا دوما بأسمائهم، **فالقاضي أبو بكر محمد بن منظور الإشبيلي (464هـ/1071) قيسي** (**أنظر**:؛ عياض، ترتيب المدارك، تحقيق محمد سالم هشام، المجلّد الأول، ص 363)، **والقاضي أبو الأصبع عيسى بن سهل (486هـ/1093م)، أسدي، أنظر:** الذهبي، **سير أعلام النبلاء،ج14، ص 124، والمحدث أبو علي الحسين بن محمد المعروف بالجياني (498هـ/1105م)، غساني، أنظر**: ابن بشكول، **المصدر السابق،ج1، ص141**، وغيرهم كثير ممن حرصوا على نسبهم العربي ، واعتنوا به.

[2] ابن عبد الملك، **المصدر السابق**، ص ص 25، 26.

[3] العكاوي رحاب: **ابن رشد فيلسوف قرطبة**، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 1979م، ص7.

[4] هو **أبو يعقوب يوسف بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي**، أحد خفاء الموحدين،الذين استقامت أحوال البلاد على في عهدهم، وكثرت الفتوحات، **أنظر**: ابن خلكان، **المصدر السابق** ،ج7، ص3وما بعدها.

[5] التليلي، **المرجع السابق**، ص82 وما بعدها.

[6] ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 111.

[7] ابن فرحون، **نفس المصدر السابق**، ص 122.

[8] التليلي،**نفس المرجع السابق**، ص 87.

مختاف النواحي، حيث برز في الفقه والحديث والتفسير والعربية[1]، ما مكّنه أن يكون عالما بحق، كيف لا يكون وقد نشأ في كنف فقيه الأندلس لوقته **ابن رشد،** فضلا عن كبار العلماء **بقرطبة،** فكان ثمرة حصيلته العلمية ما ألفّه من كتب دالة على سعة إطّلاعه منها تفسيرا جمعه في أسفار، شرح نسب النسائي وبرنامجا حافلا جمع فيه مروياته.[2]

وقد تولى **أبو القاسم أحمد** قضاء **قرطبة** للمرابطين كوالده سنّة **535هـ/1138م**[3]، فقام به أحسن قيام، وبقي فيه مدة حمدت سيرته فيها، ثم استعف عنه فأعفي[4]، وقد أرجع بعض المؤرخين سبب استعفائه إلى ضعفه، وموالاته للمرابطين، وخضوعه في الكثير من الأحيان لمشيئتهم غير أن **أحمد ابن رشد** لم يعر تلك الثورة اهتماما ولم يقف موقفا حازما منها، ولم يسعى إلى تهدئة العامة الوضع الذي استغله **أبي جعفر حمدين بن محمد بن حمدين**[5] الذي قام بالتصدي لأهل **قرطبة،** وتسكين ثائرتهم، فاستعف **أحمد ابن رشد** بسبب تلك الفتنة عن القضاء، فاستجيب له في طلبه، وبقيت **قرطبة** ما يزيد عن العام دون قاض يفصل في أحكامها، تأديبا لهم، وسخطا من الأمير على أهلها، ثم أذن لهم بإختيار قاض، فأجمعوا على إختيار **ابن حمدين سنة 536هـ/1141م.**[6] فضلا عن **الوالد والإبن** أنجبت أسرة **بني رشد** أشهر علماء الإسلام، وأكبر فلاسفة العرب، وأعظم حكماء القرون الوسطى[7] **أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الحفيد**[8]، الذي سمي بنفس إسم

---

[1] التليلي عبد الرحمن: **ابن رشد الفيلسوف العام،** المنظمة العربية للحربية والثقافة والتوزيع والعلوم، تونس، 1998، ص 13.

[2] مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن القاسم: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،** دار الفكر للطباعة و النشر **و** التوزيع ،د ـ ت ص146.

[3] النباهي، **المصدر السابق،** ص 135.

[4] ابن فرحون، **المصدر السابق،** ص 122.

[5] ولي القضاء ببلده، بعد مقتل **أي عبد ا بن بالحاج الشهيد،** ثم صرف عن القضاء **بأبي القاسم بن رشد،** ثم أعيد ثانية، وهوالذي تزعم **أهل قرطبة** عند إختلال أمر المرابطين، وودعي له بالإمارة **سنة534ه/1137م،** وما لبث أن استبد بالأمر وتسمى بأمير المسلمين وناصر الدين، **أنظر ترجمته:** النباهي ، **المصدر السابق،** ص 135.

[6] ابن الخطيب،**أعمال الأعلام،** ص ص 252، 253، حسن حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق،** ص ص 136، 137.

[7] العكاوي رحاب، **المرجع السابق،** ص 5.

[8] ابن الأبار، **المصدر السابق،**ج2، ص ص 553، 554، ابن القاضي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس،** دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط 1973، ق1، ص 379.

جده، وكني بنفس كنيته[1]، حيث ولد قبل وفاة جده بأشهر **سنة 520 هـ/1126م**، وقد اشتهر في كتب الطبقات **بالقاضي الفيلسوف**[2]، **وبالأصغر**[3]، **الغرناطي**[4]، ولقّب **بالحفيد تمييزا له عن الجد**[5] ويطلق عليه الغربيون اسم **Averroès** [6]، وقد كان **ابن رشد الحفيد** شغوفا بالفلسفة، ونابغة في الطب، ومتميزا في الفقه إلى درجة "كان يفزع إليه بالفتوى في الطب كالفقه"[7]، حيث حصل جميع علوم عصره، من فقه وحديث، وتفسير وطب ورياضيات وعلم الكلام[8]، وقد كان **ابن رشد الحفيد** شديد التأثر بإنتاج جده[9]، معجبا بعقلانيته واجتهاده[10]، ولي قضاء **إشبيلية،** ثم **قرطبة،** ووصل في هذه الوظيفة إلى أرفع المناصب "منصب قاضي القضاة"، شأنّه في ذلك شأن والده وجده[11]، فحمدت سيرته فيها إلى أن توفي فعن عمر يناهز الخامسة والسبعين سنة، مخلفا لنا مكتبة زاخرة بمختلف أنواع العلوم والفنون، نذكر منها، كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الكليات في الطب،

---

[1] التليلي عبد الرحمن، **المرجع السابق**، ص 13.

[2] ابن سعيد، **المصدر السابق**،ج1، ص 104.

[3] **نفس المصدر السابق**، ص 105.

[4] مخلوف، **المصدر السابق**، ص 146.

[5] التليلي**، المرجع السابق**، ص.

[6]. Arnaldez (R) **: Ibn Rushd ,E.I; n ed** ; T, III, P 934. رويشد عطا ا : **تاريخ الآداب العربية**، الطبعة الأولى، تحقيق علي نجيب عطوي، مؤسسة عز الدين للطباعة، والنشر، 1985، ص 184.

[7] ابن القاضي، **نفس المصدر**، ق1، ص 379.

[8] أبو عمران الشيخ: **ابن رشد وبعض المفكرين المعاصرين له،** ملتقى دولي تحت عنوان **الحضارة السلامية بالأندلس في القرن 6 هـ/ 12م** منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2007، ص 7.

[9] وجد بكتاب **الفتاوى، لابن رشد الجد،** أصلا لكتاب ابن رشد الحفيد، "**فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال**" وفي ذلك يقول **رينان:** إن المكتبة الأهلية بباريس، تضم مجلّدا ضخما يحتوي على تلك المسائل الفقهية التي كان يستشار فيها "**ابن رشد الجد**" وقد حوى هذا بالكتب فيما حوى فكرة جليلة، ستراها مفصلة فيما بعد أجمل تفصيل لدى حفيده، في محاولة التوفيق بين الدين والعقل فكأن الحفيد أخذ على نفسه أن يتوسع في آراء جده، وأن يخرجها إلى حيز الوجود في أروع صورة وأكملها . ابن رشد**، المسائل**،ج1، ص ص 103، 104.

[10] مزيان عبد المجيد: **العقلانية الرشدية في علم الشريعة**، مؤتمر ابن رشد، الذكرى المؤية الثامنة لوفاته من 3 إلى 8 ذو الحجة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجزائر 1393 هـ/ 1978م، الجزء الثاني، ص 320.

[11] العرافي عاطف: **النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد**، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، 1993، ص 44.

مختصر المستصفى في الأصول، الضروري في العربية، وغيرها من المؤلفات التي تزيد عن الستين مؤلفا[1].

نلمس من خلال ما أوردناه عن **أسرة بني رشد**، أنّها كانت أميل للعلم منها إلى مصالح ذاتية، وهذا ما يبدو جليا في بعدها عن مظاهر الطموح السياسي، ووقوفها عند حدود الوجاهة العلمية والإجتماعية[2]، فلقد شعرت هذه الأسرة، بمكانتها في الأندلس، وعرفت منزلتها من العامة، فحافظت عليها، وسعت إلى كسب ثقة الناس بمحافظتها على مبادئها العلمية، مساهمة بعلمائها في إثراء روافد الثقافة الإسلامية عاملة على بقاء حسن سمعتها، ونماء شهرتها.[3]

ج- تكوينه العلمي:

تهيأت لابن **رشد الجد** أسباب التحصيل العلمي، بالرغم من الظروف السياسية المتدهورة التي عرفتها **الأندلس** في القرن الخامس الهجري، على إثر تشتت الوحدة الأندلسية[4]، وانقسام **الأندلس** إلى دويلات متناحرة، حيث نشأ في جو تعليمي اهتم أفراده بمختلف أنواع العلوم، سواء كان ذلك من حيث الأسرة التي توارثت العلم [5] ، أو من حيث جو، **قرطبة** أم المدائن الأندلسية، ومركز العلم والعلماء[6].والتي استقطبت إليها الطلاّب الأندلسيين وغير الأندلسيين، واجتنبت إليها توابع وفحول الشعراء فاكتفى بها **ابن رشد** وبعلمائها الذين أخذ من مشاربهم حتى تشبع علما غزيرا، فلم يثبت عنه أنّه خرج في طفولته أو شيبته من **الأندلس** لطلب العلم، كما كان يفعل طلاّب العلم قبله وبعده، ولا انتقل من **قرطبة** إلى غيرها من المدن الأندلسية لأجل الرواية عن العلماء والأخذ عنهم.[7]

---

[1] ابن الأبار، **المصدر السابق،ج2**، ص 554.

[2] الجابري، **المرجع السابق**، ص 26.

[3] التليلي ، **المرجع السابق**، ص 83.

[4] المقري، **نفح الطيب**، مج1، ص 438.

[5] التليلي،**نفس المرجع السابق**، ص.

[6] المقري، **نفس المصدر**، مج3، ص 214.

[7] التليلي ،**نفس المرجع السابق**، ص 149.

بدأ ابن رشد الجد تكوينه العلمي على يد والده **أحمد بن أحمد بن محمد** الذي كان من أهل العلم[1] فعنه أخذ أوليات الثقافة وفق المنهج الأندلسي، الذي يبدأ بحفظ القرآن وبجانبه رواية الشعر والترسل وتعلّم قواعد اللغة العربية وتجويد الخط[2]، وبعد ذلك انتقل إلى الفقه من كتاب إلى كتاب، فدرس أصوله، وأخذ التاريخ والأخبار، وإطّلع على مسائل الخلاف وأسباب الاختلاف، وعرف معاقد الإجماع ومواطن الإتّفاق وقرأ التفسير والحديث، وتعلّم علم الفرائض وجميع العلوم الإسلامية وأتقن فروعها، وما تم له ذلك إلاّ بعد أن تلقى العلم، على أيدي المهرة من شيوخها[3] نذكر منهم **أبا جعفر أحمد بن رزق الأموي**[4]، الذي أخذ عن كبار الشيوخ، سواء **بقرطبة** أو خارجها **كأبي عمر أحمد بن محمد بن القطّان**[5]، **وأبي عبد ا محمد بن عتاب** أبي **عمر يوسف بن عبد البر النمري**، وأبو **محمد عبد الحقّ بن محمد الصقلّي** [6]، ولقد كان **لأبي جعفر بن رزق**، تقدم في الفقه والرأي، كما كان ذاكرا للمسائل، بصيرا بالنوازل، عارفا بالفتوى، وكان مدار طلبة الفقه **بقرطبة** عليه في المناظرة والمدارسة، حيث كان مشهودا له الجمع بين العلم والفضل والتواضع والعفة والاستقامة[7]، وقد أخذ عنه **ابن رشد** الكثير فبه تفقه[8]، وعليه اعتمد[9]، ولم يكن تأثره به في الفقه وحسب وإنّما في التأليف أيضا، فهو الذي أوحى له بطريقة تدريس

---

[1] ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 111.

[2] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 23.

[3] التليلي، **المرجع السابق**، ص 150.

[4] الفقيه، العالم، شيخ الفتوى المشاور المتوفي **477 هـ/1084 -1085م** ،**أنظر**:ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج1، ص 68؛ مخلوف، **المصدر السابق** ، ص 179؛ الضبي،**المصدر السابق**، ص 106.

[5] قرطبي الأصل، دارت بينه وبين **محمد بن عتاب**، الفتيا بقرطبة، وكان متقدما في السنّة، ومتميزا بقوة حفظه، وجودة إستنباطه، وكان قائما بالشروط، وبصيرا بها، **توفي460هـ /1086م**. أنظر: عياض، **ترتيب المدارك**، تحقيق محمد سالم هشام، ج1، ص 355.

[6] تفقه بشيوخ **القيروان كأبي عمران الفاسي** وغيره، حج مرتين إلتقى خلالهما بكبار العلماء، وقد عرف بفضله وحسن تآليفه،حيث ألّف **كتاب النكت والفروق لمسائل المدونة** كما ألّف **تهذيب الغالب** وغيرها،توفي **466هـ/1073-1074م** من المؤلّفات.أنظر : ابن فرحون ،**المصدر السابق،**ص275.

[7] مخلوف،**نفس المصدر السابق**، ص121؛ ابن شكوال، **المصدر السابق**، ج1، ص 68.

[8] ابن شكوال، **نفس المصدر السابق**، ج2، ص ص 141، 142.

[9] عياض، **الغنية**، ص 55.

المدونة[1]، خاصة فيما يتعلّق بالتقديم لأبوابها.[2]وأبو **العباس أحمد بن عمر بن دلهاث العذري الدلائي**[3] الفقيه،المحدث،الرواية، العالم، الشهير الذكر الذي كانت له الرحلة إلى المشرق، أين إلتقى بجلّة العلماء الوافدين على **مكة والعراق، والحجاز وخرسان**، كأبو **عبد ا بن أحمد الهروي** الذي سمع منه صحيح البخاري عدة مرات[4]، أما **بالأندلس** فلقد أخذ عن الكثيرين من علمائها منهم **أبو بالوليد يونس بن عبد ا بن مغيث** وقد كانت **لأبي** العباس عناية بالحديث وحفظه[5] وتخصص في نقله وروايته و تميز في ضبطه فأخذ عنه **ابن رشد** الكثير كما أخذ على غيره من الشيوخ،و طلب منه مرويا ته، فأجازها له جميعها[6]، **وأبو عبد ا محمد بن خيرة الأموي ،المعروف بابن أبي العافية الجوهري**[7]، أصله من المرية (Almeria)وسكن **قرطبة**، وأخذ بها عن كبار العلماء من بينهم **أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي**[8]، كانت له رحلة إلى **شاطبة(**Jativa)صحب خلاله

---

[1] هي عمدة الفقهاء في القضاء والإفتاء على **المذهب المالكي** المرجح روايتها على غيرها، وهي الأصل الثاني للفقه المالكي بعد **الموطأ،** أعجب بها الناس فحفظوها استظهارا على كبر حجمها وأكثروا من شروحها والتعليق عليها، وأصل المدونة، **الأسدية**، وهي عبارة عن أسئلة على **مذهب أبي حنيفة** أخذها بالعراق **أسد بن الفرات**، وتحول بها إلى المذهب المالكي، وبعد مراجعة **سحنون** لها سميت **مدونة سحنون**، لأنّه هو الذي عمل على ترتيب أبوابها ،أما **المختلطة** فهي على نسخة **ابن القاسم** من **المدونة** مما لم يتناوله **سحنون** بتهذيبه: أنظر: عياض، **نفس المصدر**، تحقيق =على تاويت ج3، ص 291، عمر الجيدي، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987، ص 177.

[2] ابن رشد، المقدمات **الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات، لأمهات مسائلها المشكلات**، تحقيق محمود حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988،ج1، ص 2.

[3] توفي **478هـ /1086م** انظر ترجمته :مخلوف،**المصدر السابق**، حقيق عبد المجيد الخيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2003،ج2، ص 179.

[4] **نفس المصدر و الصفحة**.

[5] ابن عماد، **المصدر السابق**، مج2، ص 357.

[6] ابن بشكوال**، المصدر السابق**،ج1، ص ص 69، 70.

[7]المتوفي **478هـ/1085-1086م** ،ابن بشكوال، **نفس المصدر السابق**، ج2، ص 525.

[8] المحدث، الفقيه، العالم ، مسند الأندلس، أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب، ما بينهم القاضي، مطرف بن فطيس وأبو عمر الطلمنكي وغيرهم،و قد **توفي496هـ/1076-1077م**، أنظر: مخلوف، **المصدرالسابق**، ص 120.

طاهر بن مفوز[1]، وسمع بها **أبي عمر بن عبد ا البر** وأشتهر ابن أبي العافية بالحفظ والعلم والذكاء والفهم، واعتبر من كبار الفقهاء وجلّة العلماء، وكان ذا عناية بالحديث وإسماعه بالرغم من تركيز اهتمامه على الفقه واختصاصه به[2]، وقد تتلمذ له **ابن رشد**[3]، وأخذ عنه الفرائض التي اشتهر بالنفوذ فيها[4]، واستفاد من حفظه، ومن حضور المناظرة عنده، ومن حسن شرحه، وتقريبه المسائل للطلبة، ومن فتواه لقصاده من العامة والخاصة، كما انتفع من دروسه في مختلف المسائل في الفروع الإسلامية، وقد سمح اتصال **ابن رشد بابن أبي العافية**، بالمقارنة بينه وبين شيخه **ابن رزق**، وبما يتميز كل منهما عن الآخر في حفظه وفهمه، وفي روايته وطريقته، وفي فتواه وتخريجاته، وفي ضبطه وتدقيقاته، وهي أمور تشعل عقل الطالب، وتنمي معرفته، وتبرز شخصيته، وتعمل على تربيته على الأخلاق العلمية، وتدريبه على الإستنتاجات العلمية والتطبيقات الفقهية.[5]

وأبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد ا بن محمد بن سراج الأموي[6]، الذي كان عالما بمعاني القرآن والحديث وبظروب الآداب[7]، وكانت إليه الرحلة من مختلف مدن الأندلس وغيرها ،فأخذ عنه **ابن رشد** ونظراؤه [8]، **كأبي عبد ا محمد بن أحمد المعروف**

---

[1] فقيه، محدث، أديب، حافظ من أهل بيت جلالة، صحب الحافظ أبا عمر بن عبد البر، وروى عنه، كما روى عن أبي العباس العذري وجماعة و قد توفي **484هـ/1091م**، أنظر: الضبي، **المصدر السابق**، تحقيق إبراهيم الأبياري،ج2، ص 322.

[2] ابن الأبار، **التكملة**،ج1، ص 340.

[3] عياض، **الغنية**، ص 55.

[4] ابن رشد، **المسائل**، مج1، ص 24.

[5] التليلي، **المرجع السابق**، ص 158.

[6] المحدث اللغوي إمام الاندس لوقته المتوفي**489هـ/1096م،أنظر ترجمته:** الذهبي**، المصدر السابق**،ج14، ص 190.

[7] مخلوف **، المصدرالسابق**، تحقيق عبد المجيد الخيالي،مج1، ص 181.

[8] عياض ، **المصدر السابق**، ص 54.

بابن الحاج[1]، اللّغة العربية، ومعاني التفسير والحديث والغريب، وسمع منه الآداب والأشعار والأنساب والأخبار والأيام والآثار.[2]

وأبو **عبد ا بن فرج مولى محمد بن يحي البكري المعروف بابن الطلاّع، (ت 497هـ/1104م)**[3]، من أهل قرطبة، روى عن كبار الشيوخ بالأندلس **كأبي عبد ا يونس بن عبد ا بن مغيث، وأبي محمد مكي بن أبي طالب، وأبي عمر بن القطّان، وأبي القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي** وأقرأنّهم، وكان أبو **عبد ا بن فرج**، فقيها بارزا، حافظا لفقه مالك وأصحابه، تاليا للقرآن، ومجودا له، حاذقا للفتوى، ومقدما في الشورى، ذاكرا لأخبار الشيوخ ببلده وفتواهم، مساهما في العربية والأدب[4]،كما كان من أهل فضل وعفاف ودين، قوالا للحقّ، وغير هيوب للأمراء[5]، أسند إليه منصب الشورى، فنفذ قوله، إلى أن دخل المرابطون **قرطبة،** فأبعد عن الفتيا بموالاته وتعصبه لبني عباد[6] [7] وقد تفقه به **ابن رشد،** وسمع منه مرويات، وتعلّم به الفتوى، وعرف منه عقد الشروط، وأخبار علماء **قرطبة،** حيث أخذ عنه علما غزيرا مما يلقيه في دروسه ويرويه في حلقاته في المسجد الجامع.[8]

---

[1] أحد الفقهاء الفضلاء، تفقّه بشيوخ قرطبة **كأبي جعفر بن رزق** و غيره، وكان حسن الضبط، جيد الكتب، كثير الرواية، له حظ في الأدب، ولي قضاء الجماعة في **قرطبة** مرتين حمدت سيرته فيهما، وبقي على خطّة القضاء إلى قتل وهو ساجد في صلاة الجمعة من سنّة**529/1134هـ،** عياض، **نفس المصدر السابق،** ص 47؛ مخلوف،**نفس المصدر السابق،** تحقيق عبد المجيد الخيالي،مج1، ص ص 193، 194.

[2] عياض،**نفس المصدر السابق،** ص 201.

[3] ابن شكوال، **المصدر السابق،**ج2، ص 534.

[4] المقري، **أزهار الرياض،** ج3، ص 226.

[5] اليافعي،**المصدر السابق،**ج3، ص 106.

[6] النّباهي، **المصدر السابق،** ص 33.

[7] من أعظم البيوتات العربية بالأندلس، دخل جدهم الأول **قطاف بن نعيم مع بلج القشيري** وهم من عرب حمص من أرض الشام، وحكموا إشبيلية وغرب الأندلس ما بين **414 هـ -1633م/484 هـ -1091م.**أول حكامهم أبو القاسم بن عباد، ولما توفي قام بالأمر من بعده ولده **محمد الملقب بالمعتمد** على ا الذي إنقرضت على يده دولة بني عباد بالأندلس، عبد العزيز عتيق: **الأدب العربي في الأندلس،** الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1976، ص 97؛محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،** تحقيق على الزواري، محمود محفوظ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1988، ص 427.

Boswort Clifford Edmund : **Les dynasties musulmanes**, Sindbad ,Paris, p.23.

[8] التليلي، **المرجع السابق،** ص ص 165، 166.

والحسين بن محمد بن أحمد الغساني (498هـ/1105م)، يكنى أبا علي ويعرف بالجيلاني، سمع **أبا عمر بن عبد البر، وأبا العباس الدلائي، وأبا القاسم الطرابلسي**، كما أخذ عن القاضي **أبي عبد ا بن عتاب، وأبي الوليد الباجي**، وغيرهم وكان أبو علي، رئيس المحدثين بقرطبة، وأحد أركان الحديث فيها، "**ومن جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين**" [1]، كما كان أضبط الناس للرأي، حيث كان يجلس بجامع قرطبة، فيستمع إليه الناس[2]، وأعلام **قرطبة**، وفقهاءها وجلتها[3] من بينهم **ابن رشد الجد**[4].وقد ألّف **الحسين بن محمد**، كتابا كثير الفائدة على الصحيحين، سماه "**تقييد المهمل وتمييز المشكل**" أفاد منه كثيرا **الإمام المازري**[5] في كتابه "**المعلم بفوائد كتاب مسلم**".[6] وله تآليف كثيرة أخرى منها تأليفا في قوله **صلعم "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق"** وتأليف في تسمية شيوخ أبي داود**،** وتأليف في شيوخ النسائي**،** وكتاب في ضبط رجال الصحيح.[7]

إن ذلك التكوين الذي تلقّاه ابن رشد على يد أكابر علماء عصره، في مختلف المجالات، جعل منه شخصا مميزا، مشهودا له بغزير علمه وتنوعه، فعلاوة على نبوغه في الفقه، وتخصصه به، بالرغم من أن العصر لم يعرف الإختصاص بالمعنى الدقيق، فلقد كان ذا دراية بعلوم اللّغة والحديث وعلم الكلام.

---

[1] ابن شكوال، **المصدر السابق**،ج1، ص ص 141، 142.

[2] عياض،**المصدر السابق**، ص 138، بلغيث،**المرجع السابق**، ص 236.

[3] ابن شكوال، **نفس المصدر السابق**،ج1، ص 142.

[4] **نفس المصدر السابق**،ج2، ص 540.

[5] هو **محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري، المالكي**، يعرف بالإمام أبو عبد ا ، محدث، حافظ، فقيه، أصولي، متكلّم، أديب، ولد **بمدينة المهدية** في إفريقيا، وبها **بتوفي536ه/1143م**، من تصانيفه، **إيضاح المحصول في برهان الأصول لأبي المعالي الجويني، نظم الفوائد في علم العقائد، التعليق على المدونة، الكشف والأنباء على المترجم بالإحياء. انظر ترجمته**: ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص ص 279، 281.

[6] هو مصنّف في شرح **صحيح مسلم**، يعتبر من أوائل شروحات هذا الكتاب، أكمله العلامة **القاضي عياض** وسماه "**إكمال المعلم**"، ثم أضاف إليه **العلامة النووي** شروحا أخرى. أنظر: ابن خير الاشبيلي،**المصدر السابق**،ج1، ص 237: البشري، **المرجع السابق**، ص ص 253، 254.

[7] مخلوف، **المصدر السابق**،مج2، ص 182.

II- مكانته العلمية:

1- ابن رشد الفقيه:

* مكانة ابن رشد الفقيه بين معاصريه:

غلب على **ابن رشد الجد** الفقه، وتميز فيه عن معاصريه، وكان فيه شديد التأثّر بأساتذته من الفقهاء الكبار **كأبي جعفر بن رزق، وأبي عبد ا بن خيرة، وأبي عبد ا بن فرج،** هؤلاء الذين عول عليهم ، وأخذ علومهم، وتدرب على طريقتهم في التعليم، وتميز **ابن رشد** في هذا المجال أصولا وفروعا وفرائض، مع تخصص في المسائل الفقهية، وعلم بالنوازل حيث عد بين معاصريه واسع الإطلاع في مذهب مالك وأصحابه، له بصر بمواطن الإتفاق، ومواضع الإختلاف، مما جعل الرئاسة في الفقه المالكي تؤول إليه دون غيره، بالمغرب والأندلس في عصره[1]، فلقد كان **ابن رشد** "عارفا باختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وتسمية مذاهبهم"[2]. أو اختلاف الأئمة الأربعة، وإتفاقاتهم، وهذا الإطلاع الشامل على سائر المذاهب، وتدارس آرائهم، لم يكن الغرض منه المباحثة بين أيدي الملوك والمناظرة للإنتصار على المنافسين والتباهي بينهم، وإنّما للمحافظة على سعة العلم المتوارثة فيهم[3]، وهذا ما عمل على تحقيقه في دروسه ومناظراته الفقهية، وفي خطبته ومناقشته، وفي تصانيفه المتنوعة في مختلف العلوم، المتجهة كلها بالعناية بالفقه، بيانا وتحصيلا، وتوجيها وتعليلا، وتقييدا وتمهيدا، وما عمل على تحقيقه أيضا في أعماله الجليلة، حيث كان رغم كبر سنّه، نشيطا، حركيا، ساعيا إلى التأليف بين المسلمين ولم شملهم[4] وتوفرت **لابن رشد** الأدوات،فأخذ مآخذ العلماء المجتهدين في تعليل المسائل الفقهية، وتوجيه النوازل القضائية، بمدارك أصولها الشرعية، مصرحا بأنّه من أهل الإفتاء إن لم يجد النص الصريح، ولم ينكر عليه أحد في ذلك حيث كان من الميالين إلى النظر، وفهم النصوص، والتعمق في إستخراج مدلولاتها[5]، وهذا ما

---

[1] التليلي، **المرجع السابق**، ص 399.

[2] ابن سعيد، **المصدر السابق**،ج1، ص 162.

[3] المقري، **نفخ الطيب**، ج4، ص 111.

[4] التليلي، **نفس المرجع السابق،** ص 400.

[5] **نفس المرجع السابق،** ص 401.

يدل إلاّ على حسن فهمه للمذهب المالكي، وتطبيقه في إجاباته وقضاياه[1]، لذلك أقبل الجميع يستفتونه في مختلف المدارس والمراكز العلمية بالأندلس والمغرب[2].

وقد أثبتت له سائر المصادر التي ترجمت له ولأعماله، عظم منزلته العلمية وإمامته ومشيخته العلمية التي لم يشاركه فيها أحد ممن عاصره وسبقوه إلى التدريس، وهذا ما نلحظه جليا إذا وازنا بينه وبين مجموعة من نظرائه، الذين برعوا في مجالات مختلفة بما فيها الفقه، لكنّهم لم يبلغوا ما وصل إليه **ابن رشد** من الزعامة العلمية في الفقه المالكي.[3]

فأبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد ا بن حزمون القرطبي[4]، كان معاصرا لابن رشد، ومتفقها بشيوخه، بالرغم من أنّه كان متقدما في مشاوري بلده، متصفا بالحفظ، متوليا الصلاة بجامع قرطبة وتفقه الناس عنده وانتفعوا به. إلا أنّه لم يبلغ ما بلغه **ابن رشد** من مكانة علمية، ومنزلة فقهية.[5]

وأبو الوليد هشام بن أحمد القرطبي المعروف بإبن العواد[6] كان أيضا من أقران **ابن رشد،** وممن حضر معه حلقات الدروس **بقرطبة،** وكان من المتّقدمين في الفقه والإفتاء في وقته في الخبر والعلم والحفظ للحديث والفقه والإتقان والانضباط، تفقه **بأبي جعفر بن رزق، وابن الإطلاّع** وغيرهما من القرطبيين، فكان من جلّة الفقهاء، وكبارهم وعلمائهم وخيارهم.لكنه اتجه إلى التأليف في الحديث ومال إليه أكثر من الفقه، **وأبو القاسم خلف بن سعيد القرطبي**[7]، زعيم المقرئين **بقرطبة** ومتقلّد الخطبة بها، **وأبو جعفر**

---

[1] التليلي، **المرجع السابق**، ص 64.

[2] **نفس المرجع السابق**، ص 401.

[3] **نفس المرجع السابق**، ص 408.

[4] الفقيه ،المشاور **المتوفى508هـ/1115م،أنظر :** عياض ،**المصدر السابق**، ص 173 ؛ابن بشكوال، **المصدر السابق**،ج1، ص 354.

[5] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 401.

[6] الفقيه المحدث المتوفي **509هـ/1115 م ، أنظر:**عياض، **المصدر السابق**، ص 217 ؛ ابن بشكوال، **المصدر السابق**،ج2، ص 618ومابعدها.

[7]المقرئ المتوفي **511هـ/1117م،أنظر:** عياض، **نفس المصدر**، ص ص 147 وما بعدها.

أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجى القرطبي[1]، كان من أقران **ابن رشد،** المنفردين بعلو السنّد، المعدودين من الشيوخ المقرئين،وإذا قارنا ما وصف به **ابن رشد،** نجد أن سمعة **أبي جعفر** كانت منتشرة جهويا في حين أن سمعة **ابن رشد** شملت الأندلس والمغرب.

وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب[2]، الذي كان من الشيوخ الجلّة الأكابر **بالأندلس** في علو الإسناد، وسعة الرواية، حيث كان حافظا للقرآن، كثير التلاوة ، له عارفا برواياته وطرقه، واقفا على كثير من تفسيره وغريب معانيه، مع حظّ كثير في اللّغة العربية وكان صدرا فيمن يستفتى لسنّه وتقدمه غير أنّه لم يبلغ مكانة ابن رشد بين معاصريه. **وأبو محمد عبد ا بن محمد بن عبد ا الخشني**[3]كان حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه، مقدما فيه على جميع أهل عصره، بصيرا بالفتوى، مقدما في الشورى، عارفا بالتفسير، **وأبو عبد ا محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي المعروف بابن الحاج** [4]، كان هو الآخر من أقران **ابن رشد،** ونظرائه ومشاركيه في الفقه والإفتاء، وفي الشورى وتولي القضاء، إلاّ أنّه برز في الحديث والأدب أكثر من الفقه، فذكرت إحدى المصادر أنّه كان "حسن الضبط، جيد الكتب، كثير الرواية، له حظ من الآداب"[5] ووصفته أخرى أنّه "كان معدودا في المحدثين والأدباء، بصيرا بالفتيا رأسا في الشورى"[6] وصرف إليه أمير المسلمين أمور الأندلس الكبار أيام قضائه وإعتمد على فتواه

---

[1] **ت511هـ/1117م** ،أنظر ترجمته: ابن بشكوال، **المصدر السابق**،ج1، ص 77؛ شمس الدين محمد بن محمد الجزري: **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق نرجسترابسر،ط3، دار الكتب العلمية، بيروت 1402 هـ/1992م،ج1، ص 32.

[2] ت **520هـ/1126م، أنظر ترجمته:** ابن بشكوال، **نفس المرجع السابق**،ج1، ص 332.

[3] **ت 426هـ/1131م** ، أنظر : عياض، **المصدر السابق،** ص 153 وما بعدها؛ ابن بشكوال، **نفس المصدر السابق**،ج1، ص 284.

[4] ابن شكوال، **نفس المصدر السابق**،ج2، ص 550، مخلوف، **المصدر السابق**، تحقيق **الخيالي**، ج2، ص ص 193، 194 ؛النباهي، **المصدر السابق**، ص 130.

[5] عياض، **المصدر السابق**، ص 47.

[6] **نفس المصدر و الصفحة.**

بعد وفاة **ابن رشد**[1]، وهذا ما يجلي تماما أن منزلة **ابن رشد** الفقهية كانت سابقة على غيره، بدليل أن فتوى **ابن الحاج** لم تجد الرواج الكثير إلاّ بعد وفاة **ابن رشد**.[2]

وغير هؤلاء العلماء كثير ممن تميزوا وبرزوا في علوم مختلفة، إلاّ أنّهم لم يبلغوا مكانة ابن رشد في الفقه، وما أعلى من منزلة ابن رشد و زاد في مكانته ما وصف به من نعوت، ودلت على كفاءته وعظم منزلته، فوصفه **تلميذه عياض** "بزعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب مقدمهم، المعترف له بصحة النظر والجودة في التأليف، ودقة الفقه، وكان إليه المفزع في المشكلات، بصيرا بالأصول والفروع والفرائض، والتفنّن في العلوم"[3]، وذكر تلميذه **ابن شكوال** أنّه: كان فقيها، عالما حافظا للفقه، مقدما فيه على جميع علوم عصره، عارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بصيرا بأقوالهم، وإتفاقاتهم وإختلافاتهم، نافذا في علم الفرائض والأصول، من أهل الرياسة العلم والبراعة في الفهم"[4] ووصفه **مخلوف** "بالإمام، العالم، المحقق المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف، زعيم الفقهاء إليه المرجع في حلّ المشكلات، متفنّنا في العلوم، بصيرا بالأصول، والفروع، فاضلا، دينا، إليه كانت الرحلة"[5] وأورد **اليافعي** أنّه "كان من أوعية العلم"[6].

إن هذه الأوصاف وغيرها مما ذكرها المؤرخون ما تنوه إلاّ بمكانة ابن رشد العلمية عامة، وبمنزلته الفقهية بصفة أخص، والتي توصل إليها دون علماء عصره، فإليه آلت مشيخة العلماء بالمغرب والأندلس[7]. **فما هي إذن أسباب تبوأ ابن رشد مشيخة الفقهاء و تصدره رئاسة الفتوى في الفقه المالكيّ؟**

لم يصل **ابن رشد** على تلك المنزلة العالية، ولم يتبوأ زعامة العلماء في الفقه المالكي، إلاّ بعد أن توفّرت فيه مجموعة من العوامل، ساهمت إسهاما فعالا في بلوغه هذه

---

[1] عياض ، **المصدر السابق** ص 54.

[2] التليلي، **المرجع السابق**، ص 406.

[3] عياض، **نفس المصدر السابق**، ص 54.

[4] ابن شكوال، **المصدر السابق**، ص 546.

[5] مخلوف، **المصدر السابق**، تحقيق الخيالي،ج1، ص 190.

[6] اليافعي، **المصدر السابق**،ج3، ص 225.

[7] التليلي، **المرجع السابق**، ص 409.

المرتبة ، فهو الذي كان يتّميز بحافظة قوية، مكّنته من حفظ كتب المذهب والأصول[1]، وتحصيل مذهب مالك كاملا، حيث اعترف له نظرائه، وتلاميذه بسعة حفظه، وقوة ذاكرته وكان فعلا من "**أوعية العلم**"[2]، واعتبر عند المالكية "حافظ المذهب"، فتقدم إليه التلاميذ والأصحاب يعرضون عليه **المدونة** ويختبرون حفظهم عنده[3]، **كأبي بكر محمد بم الجد الفهري**[4]، **ويحي بن علي بن محمد بن عمر الجذلي**[5]، كما إمتاز **ابن رشد** بعقله النير، وذكائه الوقاد، وفهمه الجيد، الأمور التي ساعدته كثيرا على إستخراج الأحكام، والتوفيق بين الآراء، وكان معتدا برأيه إن تأكّد أنّه صائب، ويخالف في ذلك حتى شيخه أو أستاذه[6]، وهذا ما نستشفه في باب من أبواب كتابه **المقدمات** في الفصل الذي عنوانه **فصل في جواز إخراج الزكاة من المال قبل حاول الحول عليه**[7]، فبعد أن أتم كلامه قال:" هذا الذي أعتقده في هذه المسألة، وهي في الكتاب مشكلة، حضرت المناظرة فيها، عند شيخنا **الفقيه أبي جعفر بن رزق رحمه ا** فتنازعنا فيها تنازعا شديدا، واختلفنا في تأويل وجوهها اختلافا بعيدا فطال الكلام، وكثر الأمراء، ولا أوافق على اعتقاد الشيخ رحمة ا ، وعليه رضوانه في جميع فروع المسألة، وهذا الذي كتبته هو اعتقادي في هذا الباب"[8].

كما تتلمذ **ابن رشد الجد** بكبار العلماء والأعيان الأساتذة والشيوخ بالأندلس، ممن سبق التحدث عنهم ، ودرجة علمهم، **كأبي جعفر بن رزق** ، **وابن أبي العافية** ، **وابن**

---

[1] التليلي، **المرجع السابق**، ص 409.

[2] ابن عماد،**المصدر السابق**، مج2، ص 62؛ الذهبي، **العبد في خير من غبر**، تحقيق أبو هاجر السعيد بن بسيوني زغلول، دار العلمية، بيروت،ج2، ص 414.

[3] التليلي، **المرجع السابق**، ص 410.

[4] الفقيه، المشاور، الحافظ الذي انتهت إليه رئاسة الفتوى، وأقام بها نحوا من ستين سنة ، روى عن جماعة من العلماء من بينهم **ابن رشد**، الذي شهد له بالحفظ، وناوله كتابه **البيان والتحصيل، والمقدمات ولأوائل الكتاب المدونة**. **أنظر**: ابن الأبار،المصدر السابق،ج2، ص 542؛ مخلوف، الشجرة، ص 159.

[5] كان من أهل المعروفة، والحفظ للمسائل والتفنّن فيها، عرض **المدونة على القاضي أبي الوليد بن رشد** وعلى الفقيه **أصبغ بن محمد**، وبلغ مبلغا عظيما في المعرفة بالوثائق، **أنظر:** ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 435.

[6] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 411.

[7] ابن رشد ، **المصدر السابق**، ج1، ص 310.

[8] **نفسه**، ص 313.

الطلاّع، ونظرائهم، هؤلاء الذين أخذ عنهم **ابن رشد** الكثير، فطمح إلى تقليدهم، والإمتثال بهم في دراسة العلوم الإسلامية، والتعمق بها، والإحاطة بفروعها.[1]

كما كان **ابن رشد،** بإجماع من ترجموا له، ناسكا، عفيفا، متدينا[2]، حلاّه تلميذه **ابن شكوال،** بجميل الصفاة فقال "... وكان من أهل الرياسة في العلم والبراعة في الفهم مع الدين والفضل والوقار والسمت الحسن والهدي الصالح".[3].وقد مدحه **أبو الحسن محمد بن جبير الكناني البلنسي**[4] معترفا له بتدينه المتين وعقيدته العميقة، في بيتي هجي فيهما حفيده ابن رشد الفيلسوف قائلا:

لم تلتـزم الرشد يا ابن رشد ــ لما علـم في الزمان جدك

وكنـت في الديـن ذا رياء ــ ما هكـذا كان فيــه جدك[5]

فضلا عن ذلك فلقد كان **ابن رشد** قيما على **المدونّة والمستخرجة**[6]،مطلعا عليهما إطلاعا كاملا، مستوعبا المسائل الموجودة بهما، وقد ساعده على ذلك صفاء ذهنه، وقوة فهمه، واستفادته من أساتذته، وكتاباته عليهما، كتاب المقدمات وكتاب البيان والتحصيل تعتبر من أفضل ما كتب في الفقه المالكي، أمتعه ومن ثم كان رضي الناس عليها، فتقبلوها بقبول حسن، وسارعوا لدراستها وروايتها وحفظها[7] [8]وقد أشاد ونوه بهما

---

[1] التليلي، **المرجع السابق**، ص 412.

[2] دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص 390.

[3] ابن شكوال، **المصدر السابق**، ص 546.

[4] الرواية العالم، شاعر و أديب، سمع أباه وأبي محمد بن عيسى التميمي، وأبي عبد ا الأصيلي وغيرهم، رحل إلى المشرق مع رفيقه أبو جعفر أحمد بن الحسين البلنسي، وتوفي **بالإسكندرية614هـ/1217م**. ومن آثاره، **رحلة ابن جبير، ديوان شعر في مجلد** وغيرها. **أنظر:** مخلوف، **المصدر السابق**، ص ص 174، 175؛ كحالة،**المرجع السابق،**ج8، ص 245.

[5] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 430.

[6] هي مجموعة **أسمعة عبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن عبد العزيز، وعبد ا بن نافع من مالك** و أسمعة **عيسى بن دينار ويحي ابن يحي اللّيثي، وعبد السلام بن سحنون** وغيرهم عن مالك، جمعها أبي عبد ا محمد العتبي بن أحمد بن عبد العزيز بن عينة القرطبي، الفقيه في الأندلس، من مصادر متعددة، أنظر: ابن رشد، **المسائل** ،ج1، الهامش رقم 3، ص 45.

[7] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 418.

[8] كان أبو عبد ا محمد بن سليمان النفري الذي يعرف بإبن أبي البركة، يحفظ كتاب المقدمات لابن رشد، **أنظر**: ابن الأبار، **المصدر السابق**،ج2، ص 487.

المؤرخون، فقيل عن كتابه البيان والتحصيل "أنّه كتاب كبير ظهر فيه علمه"[1]، وأخرى وصفت شرح المستخرجة بأنّه تأليف "لم يسبق واحد من العلماء إلى مثله، ينيف عن مائة جزء"[2]،كما أوردت في شأن **المقدمات،**أن **ابن رشد** فسر فيها مذهب مالك بأبلغ حجة وأوضح معنى".[3]

كما كان ابن رشد كثير التوفيق في طريقته التعليمية، من السباقين إلى التحقيق والبيان، والمتقنين في تقريب الغوامض إلى الأذهان، الفاتحين لباب الإجتهاد في الفروع، كما كان موفقا في تصانيفه إلى حد كبير، فانتشرت انتشارا واسعا، وأقبل الطلبة والعلماء عليها في عصره، فهو الشيخ الأستاذ، الذي إستطاع أن يقدم علومه إلى تلاميذه بأسلوب علمي ذي إتجاهين، متكاملين، ففي البداية توجه إلى عيون كتب الفقه في المذهب المالكي، وأصولها، ثم أثار انتباه الناس وعقولهم إليه وإليها، وشوقهم لها، وزاد من اهتمامهم بها[4] وكان في ذلك "أوحد زمانه في طريقة الفقه"[5] وإختص بطريقة تكوين الراسخين في العلم، المعدودين فيمن يشار إليهم من أهل الفقه، لأن تلك الكتب كانت معتمد الشيوخ المتقدمين، **فابن رشد** حكم الصلّة بينها وبين طريقته التعليمية ممثلة في تأليفه كتاب المقدمات وكتاب البيان، والتحصيل، مبينا أن الطالب إذا جمع بين الكتابين، حصل الضروري من أصول الدين، وأصول الفقه، وعرف العلم من منبعه واستطاع رد الفرع إلى أصله[6] "وحصل - على حد تعبير ابن رشد – درجة من يجب تقليده في النوازل والمعضلات، ودخل في زمرة العلماء، الذين أثنى ا عليهم في غيرها آية من كتابه، ووعدهم برفيع بالدرجات"[7]

وقبل أن يدون **ابن رشد** كتاباته، أشاعها مشافهة في حلقات دروسه ونشرها مباشرة بين تلاميذه، وهي وسيلة لتنشيط الدروس، وتحريك الطلبة، وإحياء العلم، والتشويق

---

[1] الضبي، **المصدر السابق**، تحقيقي إبراهيم الأبياري ، ج1، ص 74.

[2] ابن عذاري**، المصدر السابق**،ج4، ص 74.

[3] **نفس المصدر و الصفحة** .

[4] التليلي، **المرجع السابق**، ص 420 وما بعدها.

[5] الضبي، **نفس المصدر السابق** ، ج1، ص 74.

[6] التليلي**، المرجع السابق**، ص 421.

[7] ابن رشد، **البيان والتحصيل**،ج1، ص 32.

لتدارس الفقه المالكي، متخطيا بذلك ما اعتاده الناس، من الاقتصار والإكتفاء بأقوال علماء مدنهم، وحفظ آراءهم، والتقيد بمذاهبهم وعمل على تخريج طلبة، مجتهدين في المسائل على الأقل، قادرين على ربط الفروع بالأصول، مؤهلين للفتوى والقضاء بكفاءة عالية[1].

وقد اعتمد **ابن رشد** في طريقته التعليمية تلك على أسلوب علمي تربوي، وهو مقابلة النسخ المتعددة[2]، **فابن رشد الجد**، كان يقرأ عليه تلميذه **أبو مروان عبد الملك بن مسرة** [3] كتاب البيان والتحصيل**،** وهو ممسك بالمسودة التي نقل منها ذلك الأصل، وقوبل بين يديه في مجلس حافل بالفقهاء، وواصل هذا المجلس انعقاده بانتظام طوال عشرين شهرا، قرؤوا خلالها ثمانية وتسعين جزء، بتفصيل وتجزئة ابن رشد، إلى طوي بساطه بالحادثة العظمة التي وقعت بالأندلس بسبب خروج الطاغية **ألفونسو المحارب،** [4]، ويكون **ابن رشد** بذلك قد اتبع أسلوب علميا، وتربويا فريدا من نوعه في الأندلس والعالم الإسلامي، وهو مقابلة النسخة الأم بالنسخة المنسوخة أو مقابلتها بنسخة حافظ أو شيخ وهو ما وصلت إليه في زماننا الطرق العلمية في تحقيق النصوص والمخطوطات.[5]

فضلا عما سلف، فإن أهم عامل جعل **أبو الوليد بن رشد الجد**، يتبوأ زعامة الفقهاء، ويتصدر رئاسة الفتوى، **هو بلوغه رتبة الإجتهاد المذهبي**[6]، إذ يعتبر ابن رشد من تلك الفئة التي يصح لها الفتوى بالإجتهاد، والقياس على الأصول، أي الفئة التي

---

[1] التليلي، **المرجع السابق**، ص 421.

[2] بلغيث، **المرجع السابق،** ج1، ص 163.

[3] من أهل **قرطبة،** وأصله من **شنتمرية من شرق الأندلس،** وكان من مفاخرها وأعلامها، أخذ عن جماعة من الشيوخ، إلاّ أنّه اختص **بابن رشد توفي 525هـ/1157م،** وتفقه به**، أنظر:** ابن بشكوال، **المصدر السابق**،ج1، ص 348.

[4] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 16 وما بعدها.

[5] بلغيث،**المرجع السابق،** ج1، ص ص 143، 164.

[6] عرف الأصوليون **الاجتهاد،** بأنّه استفراغ النظر من قبل الفقيه أو بذل وسعه لتحصيل حكم شرعي ضنّي أو تحصيل ضنّي بحكم شرعي من أدلته المؤدية إليه، وعرفه بعض العلماء بأنّه بذل الجهد للتوصل إلى حكم في حادثة أو واقعة لا نص فيها. وذلك عن طريق التفكير واستخدم الطرائق أو الوسائل التي أقرها الشرع والتي لا يمكن بواسطتها الاستنباط في كلّ ما ليس فيه نص. **أما الاجتهاد المذهبي،** وهو الذي يتمكّن فيه المستنبط من معرفة الأحكام في الوقائع التي لم يرد فيها نص عن إمام المذهب بطريق التخريج للنصوص أو القواعد المنقولة عن إمام المذهب، وهو في رتبة المجتهد **المقيد** الذي يكون مقيدا في مذهب إمامه، مستقلا يتوخى أصوله. **أنظر:** مهدي فضل ا : **الاجتهاد والمنطق الفقهي في الإسلام،** دار الطليعة؛ ط1، بيروت، 1987، ص ص 12، 13؛ أحمد فراج حسين، رمضان السيد الشرنباطي، **أصول الفقه الإسلامي**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية 24، ص ص 490، 491.

اكتملت لديها أدوت الإجتهاد[1]، ومن ثم يصح لها قياس الفروع على الأصول **ولابن رشد** فتوى في هذا الشأن قسم فيها العلماء إلى ثلاثة طوائف،فسعى على تجنّب الطائفة الأولى المقلدة، وتجاوز الطائفة الثانية التي لم تبلغ درجة التحقيق لمعرفة قياس الفروع على الأصول[2]، و كان من أصحاب درجة الطائفة الثالثة لكونه أحد كبار العلماء العارفين بأحكام القرآن والناسخ والمنسوخ، والمفصل والمجمل، والخاص والعام، وله دراية بأقوال الصحابة، والتابعين من بعده من فقهاء والأمصار، وما اتفقوا عليه، واختلفوا فيه، عالما باللسان العربي، كما له معرفة بالأدلة الشرعية، ولم يكن من "المقلّدة المغربية كما نعت أبو بكر بن العربي علماء العصر".[3]

فهذه مجموعة من العوامل التي تفاعلت فيما بينها، وجعلت **أبو الوليد بن رشد،** مقدما في الفقه، وأكبر سلطة إفتائية، وشيخا للعصر دون منازع إليه الملجأ في الصعوبات والمشكلات[4]، ولعلّو منزلته الفقهية، عده **ابن فرحون،** شيخا من شيوخ المذهب المتأخرين **كأبي عمر بن عبد البر، وأبي الوليد الباجي، والقاضي عياض، والقاضي أبي محمد بن عطية.**[5]

بالإضافة إلى تميز **ابن رشد** في الفقه، كانت له دراية، بعلوم اللّغة والحديث وعلم الكلام.

ب- ففي **المجال اللّغوي،** استفاد كثيرا من شيوخه، وتمكنّهم فيه **فأبو جعفر بن رزق** ، الذي تفقه به، كان بصيرا باللّغة العربية وآدابها **وابن أبي العافية الجوهري،** كان

---

[1] **للاجتهاد** شروط منها، العلم بالعربية، العلم بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، العلم بالسنّة، معرفة مواضع الإجتماع، ومواضع الخلاف، معرفة القياس، معرفة مقاصد الأحكام، فهم مقاصد الشريعة، التمكّن من الاستنباط، صحة الفهم وحسن التقدير، صحة النية وسلامة الاعتقاد، أحمد فراح حسين، رمضان السيد الشرنباصي ، **نفس المرجع** ، ص 451 وما بعدها.

[2] التليلي، **المرجع بالسابق،** ص 433 وما بعدها.

[3] أبو القاسم بن سلمون بن الكناني: **العقد المنتظم للحكّام فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام،** مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة، تحت رقم 1366، الورقة، 236، بلغيث، **المرجع السابق**،ج1، ص 225.

[4] حسين مؤنس، **شيوخ العصر،** ص 97.

[5] ابن فرحون المالكي: **تبصرة الحكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، بهامشه كتاب المنتظم للحكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، فيما يجري بين أيديهم من** العقود والأحكام للشيخ ابن سلمون الكنّاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – المطبعة العامرية الشرقية، بيروت – مصر المحمية، 1301 هـ، ص 46.

من المشاركين في اللّغة فهو الذي كان يظهر الوجوه الإعرابية لطلاّبه، ويضبط المعاني المقصودة، حيث كان عالما بها، عارفا باللّغويين المجيدين، وناقدا لآرائهم، ومثبتا تحقيقات يختارها، **وأبو مروان بن سراج**، الأديب، البارع واللّغوي الماهر يعد من أكبر شيوخ العربية وآدابها **وأبو علي الجياني** أمام المحدثين بقرطبة، كان قوي العربية، مقدما في الآداب،والشعر والنسب.فهؤلاء الشيوخ الكبار هم أصحاب الفصل الأكبر في تكوين **ابن رشد** اللّغوي وفي تخريجه، فلقد ظهر بصره بالأداب، بالرغم من أنّه لم يبرز فيه، وتقدمه في النحو والإعراب ومعرفته بالعربية في تحقيقاتها اللّغوية وفي تدقيقاته الإعرابية، وإتساع معلوماته البيانية وفي سهولة تعابيره، وفي قدرته على تبليغ المعاني بأساليب واضحة، خالية من التعقيدات[1] مما لفت أنظار الطلبة إليه، فالتفوا حوله في حلقات دروسه، واقترحوا عليه أن يدون تحقيقاته، والتفسيرات والتدقيقات التي تقوم بها،فإستجاب لهم برحابة صدر، وألّف كتاب المقدمات، الممهدات[2]،ثم كتاب البيان والتحصيل.[3]

ومن مظاهر عنايته باللّغة، ما نستشفه في كتابه المقدمات، الذي وضع في كل باب من أبوابه، فصلا لمعرفة إشتقاقه، وإثبات معناه، ومثال ذلك ما ورد في كتاب الصيام[4]، حيث أورد معناه اللّغوي قائلا الصيام في اللّغة هو الإمساك والكفّ والترك، فمن أمسك عن شيء تركه، وكفّ عنه فهو صائم، وذكر له الأدلة في القرآن، منها **قوله تعالى:"فقولي إني نذرت للرحمن صوما"**[5] وفسرها بالإمساك عن الكلام، والكفّ عنه.

وقد اتّجه الطلبة إلى **ابن رشد** بأسئلتهم المختلفة، ليزيل الغموض عنهم، ويعطيهم الجواب الفصل في قضاياهم، مطمئنين إلى أجوبته، مرتاحين برأيه، لمعرفتهم قدر علمه ومنزلته[6]، ومثال ذلك، نذكر، سؤال يتعلّق بإعرابه **قوله تعالى "إنا كلّ شيء خلقناه بقدر"**[7] قيل له فما وجه إعراب **أبي محمد مكي بن طالب وأبي عبد ا بن أبي العافية، وأبي**

---

[1] التليلي، **المرجع السابق،** ص **179**

[2] ابن رشد، **المقدمات،** ج1، ص ص 9، 10.

[3] ابن رشد، **البيان والتحصيل،** ج 1 ، ص 18.

[4] ابن رشد، **المقدمات،** ج 1، ص 237.

[5] **سورة مريم، الآية رقم 25.**

[6] التليلي، **المرجع السابق،** ص 182.

[7] **سورة القمر، الآية رقم 49.**

العباس الكناني[1] إن كان صحيحا أم لا، فكتب **ابن رشد،** لهم ذلك، وفصل في جوابه، وبني على الأعراب المعاني التي تزيل اللّبس من الذهن، وأظهر أنّه لا تعلّق لأهل الإعتزال في هذه الآية، على أي وجه من وجوه الأعراب.[2]

وبلغت دراية **ابن رشد** باللّغة أنّه كان يرد اختيارات شيخه **ابن أبي العافية** الأعرابية[3]، ومن ذلك قوله بعد أن عرض عليه رأي شيخه إعرابا وتأويلا:"وقفت وفّقنا ا وإياك على جواب الفقيه الأستاذ أبي عبد ا بن أبي العافية رحمه ا وما حمل عليه قول أبي على رحمة ا ... والذي أقوله في ذلك وا الموفّق للصواب برحمته: أن قول أبي علي رحمه ا صحيح، وأن الذي تأول عليه الفقيه الأستاذ بعيد"[4]، وأورد بعد ذلك وجه الصحة، وتوسع فيه كتابه تدل على إتساع علمه، وإنصافه للعلماء مع الثبات على رأي أهل السنة وتأيده، وذلك ما يدل إلاّ على سعة إطلاع **ابن رشد** على النحو والإعراب، الأمر الذي سهل عليه بالفعل التمكّن في العلوم الشرعية، والتوقفّ في المسائل الفقهية، كما أن علمه ودرايته باللّغة العربية، ما زادته إلاّ احتراما وتقديرا بين الأندلسيين[5] "لأن كلّ عالم في أي علم – على حد تعبير المقري – لا يكون متمكّنا في علم النحو، بحيث لا يخفى عليه الدقائق، فليس عند الأندلسيين بمستحق للتّمييز ولا سالم من الإزدراء"[6]

ج- **أما بالنسبة للحديث،** فلقد أفاده كثيرا اتصاله بكبار المحدثين بقرطبة، والأندلس، مما سبق لنا ذكرهم سابقا في قائمة أساتذته، **كأبي علي الحسين بن محمد الغساني،** زعيم المحدثين بقرطبة[7]، **وأبي العباس أحمد بن عمر العذري**،جامع رواية المشارقة، ورواية أهل الأندلس، فهو الذي عول عليه **ابن رشد،** وطلب منه مروياته،

---

[1] هو **أبو عبد ا أحمد بن عبد ا بن أحمد بن عيسى الكنّاني(ت495هـ/1101_1102**م) من أهل **قرطبة**، وبرع في اللّغة والنحو والآداب والأخبار والأشعار مع نفاذ القراءات، ومشاركة في الحديث والفقه والأصول، ابن شكوال، **المصدر السابق**، ج1، ص 74.

[2] ابن رشد، **الفتاوى**، س3، ص 1531.

[3] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 184.

[4] ابن رشد ، **نفس المصدر**، س2، ص 693.

[5] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 185.

[6] المقري، **المصدر السابق**، ج2، ص 109.

[7] ابن شكوال، **المصدر السابق**، ج1،ص 141.

فأجازها له جميعها[1]، كما أن تتلمذه لكبار العلماء بالأندلس، جعله ذا معرفة واسعة بعلم الحديث **رواية**[2] **ودراية**[3]، حيث عرف الرواة المسندين وأحوالهم،واطّلع على كتب السنّة وأسانيدها ودرسها، وحفظ منها الكثير، حتى اجتمعت لديه الشروط، ليصبح واحدا من رواة الحديث **بقرطبة**، يقصده الطلاّب ويسندون عنه، ويعدونه أهلا للتحمل والأداة، موصوفا بالثقة والعدالة والضبط والإتقان، حتى وإن لم يصل ما وصل إليه شيخه **أبي العباس العذري**، ولا ما وصل إليه **تلميذه عياض** في رواية الحديث[4] فلقد أثبت **ابن الحطّاب** أن" الدراية كانت أغلب عليه من الرواية"[5]، كما أن **تلميذه عياض** أثبته في سلسلة إسناده في جملة أحاديث ذكرها في **كتابه الغنية** .[6]

ومن شواهد سعة إطلاّعه على الحديث ومعرفة صحيحه، ما أجاب به سائلا، عما يضاف إلى **النّبي صلعم** "**الجمعة حج المساكين، والحج جهاد كلّ ضعيف**" قال:أي **ابن رشد** أنّهما حديثان لا أذكرهما في شيء من الصحيح، وإنّما ذكرهما صاحب **الشهاب**[7]، ولا أذكرهما في غيره"[8]، ثم قام بشرح معناها. وما أجاب به سائلا أيضا عما ينسب إلى النّبي صلعم "**الحديث مضلة إلاّ للفقهاء**" ، قال مجيبا: أما إضافتك هذا الكلام

---

[1] ابن بشكوال ، نفس **المصدر السابق** ، ج1،ص ص 69، 70.

[2] هو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث **بالرسول صلعم** من حيث الاحوال رواية و ضبطا وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا، فموضوعه ألفاظ الرسول صلعم، من حيث صحة صدورها عنه وضعفها. بطاش كبرى زادة، **المرجع السابق**، مج2، ص 52.

[3] هو علم يبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث وعن المعنى المراد منها، مبنيا على قواعد اللّغة العربية، وضوابط الشريعة، مطابقا لأحوال الرسول صلعم، **فموضوعه** هو أحاديث الرسول صلى ا عليه وسلّم، من حيث دلالتها على المعنى المفهوم والمراد، بطاش ، **نفس المرجع السابق**، مج2، ص113.

[4] التليلي، **المرجع السابق**، ص 189.

[5] الحطّاب: **مواهب الجليل، لشرح مختصر خليل**، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، طبعة خاصة، عالم الكتب، الرياض، 1423-2003،ج1، ص 49.

[6] عياض، **المصدر السابق**، ص 55.

[7] يقصد به **كتاب الشهاب والأمثال لأبي عبد ا محمد بن سلامة القضائي (ت454 هـ/1062م)**، الفقيه الشافعي الذي تولى القضاء بمصر، وكان متفنّنا في عدة علوم. أنظر: جمال الدين عبد الرحمن البسوطي: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، 1967م، 1387هـ، ج1، ص ص 403، 404.

[8] ابن رشد، **المصدر السابق**، س2، ص ص 759، 760.

إلى النبي صلعم وقولك فيه أنّه حديث، فليس بصحيح، إذ ليس ذلك من قول النبي صلعم، وإنّما هو قول **ابن عينة**[1] أو غيره من الفقهاء[2].

فهذه الشواهد تثبت فعلا أن إبن رشد كانت تغلب عليه الدراية أكثر من الرواية، وهذا ما أيدته سائر أجوبته وفتاويه، وأيدته تآليفه في الحديث، حيث **لخص مشكل الآثار**[3] **للطحاوي**[4]،تلخيصا مفيدا وتآليفه الفقهية التي أورد فيها الأحاديث، شارحا معانيها، مستنتجا الأحكام منها كما جاء في المقدمات[5].

د- **المتكلم:** زيادة على اللغة والحديث درس **إبن رشد** أصول الدين وتعلم مذهب أهل الجماعة، وعرف **عقيدة الأشاعرة** حيث اطّلع على مسائل علم الكلام الخلافية، وتبين أصول الفرق من المتكلمين ومبادئهم في مجالس وحلقات الدروس التي كانت تقام **بقرطبة،** على أيدي أساتذته الذين كانوا يوردون تلك المسائل، ويذكرون شبه الفرق،ليفنّدوها بالحق وليثبتوا بالأدلة الواضحة، حجة مذهب أهل السنة، وسلامة عقيدة الأشاعرة فبعد أن درس وتشبت علما، راح يشرح أصول اللاشعرية التي إتخذها عقيدة، موضحا مبادئها، ناشرا عقيدتها بين الطلبة، والسائلين حولها[6] والأسئلة الموجهة إليه كثيرة في مختلف المسائل العقدية نذكر منها ما أورده في كتابه المقدمات[7]، في فصل قال فيه "**فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**"[8]، فقد بين ابن رشد أن هذا قول أهل السنّة،" أما **القدرية** مجوس هذه الأمة على حد تعبيره فذهبت أنّه من قتل، فلم يستوف أجله الذي كتب له، وأنّه

---

[1] هو **محمد بن سفيان ين عينة بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي (198ه/812م)** الإمام الزاهد الورع، المجمع على صحة حديثه . **أنظر ترجمته:** أبو نعيم أحمد بن عبد ا الأصفهاني الشافعي: **حلية الأولياء طبقات الأصفياء،** تحقيق محمد عبد القادر عطان ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ/1997م، مج7، ص 320.

[2] إبن رشد، **نفس المصدر** ،س2، ص 751، 752.

[3] عياض، **المصدر السابق،** ص 54.

[4] هو **أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي (ت321هـ 933م)**،الذي برع في الفقه والحديث، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في مصر، له تصانيف متنوعة في العقيدة والحديث والفقه والأحكام والفرائض وفي مناقب أبي حنيفة وفي التاريخ وغيرها، **أنظر:** السيوطي، **المصدر السابق،** ج1، ص 449: الزركلي، **المرجع السابق، مج5،** ص 317.

[5] التليلي، **المرجع السابق،** ص 193.

[6] التليلي، **المرجع السابق،** ص 197، 198.

[7] ابن رشد، **المقدمات،** ج1، ص 127.

[8] **سورة النحل، الآية 61.**

مات قبل بلوغه، وهو كفر صريح ينوه عن أصلهم الفاسد أن العباد خالقون لأفعالهم، فجعلوا موت المقتول من فعل القاتل، وقد أعلم ا تعالى عباده المؤمنين أن قائل هذا ومعتقده كافر لقوله تعالى:**"ألم ترى على الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه ا الملك، إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحيي وأميت، قال إبراهيم، فإن ا يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر".**[1]

كما ورد في فتاويه، إستفسار من الأمير المسلمين، **على بن يوسف بن تاشفين** حول **الأشعرية و**من إنتحل طريقهم[2]، مما سبق لنا توضيحه في الفصل الأول، وكتب إليه أيضا **الأمير أبو إسحاق بن أمير المسلمين**[3] من مدينة **أشبيلية،** سائلا عن أئمة الأشعريين، هل هم مالكيون أم لا؟ وهل **أبي زيد** ونظراؤه من فقهاء **المغرب** أشعريون أم لا؟ وهل أبو **بكر الباقلاني** مالكي أم لا؟ فأجاب على ذلك بما هذا نصه، لا تختلف مذاهب أهل السنّة في أصول الديانات، ومما يجب أن يعتقد من الصفات، ويتأول عليه ما جاء في القرآن والسنّة والآثار من المشكلات، فلا يخرج أئمة الأشعرية، بتكلّمهم في الأصول، وإختصاصهم بالمعرفة بها عن مذاهب الفقهاء في الأحكام الشرعيات التي يجب معرفتها فيما يعتد به عبادة من العبادات، وإن اختلفوا في كثير منها، فتباينت في هذا مذاهبهم، لأنّها كلّها على اختلافها مبنية على أصول الديانات التي يختص بمعرفتها أئمة الأشعرية، وممن عني بها من بعدهم، فلا يعتقد في أبي زيد وغير ه ونظرائه ، أنّه جاهل بها، وكفى من الدليل على معرفته بما ذكره في صدر رسالته مما يجب اعتقاده في الدين، وأما **أبو بكر الباقلاني،** فهو عارف بأصول الديانات، وأصول الفقه على مذهب مالك رحمه ا ، وسائر المذاهب، ولا أقف هل ترجح عنده مذهب مالك رحمه ا على سائر المذاهب، أم لا؟ لأن المالكي هو من ترجح عنده مذهب مالك على سائر المذاهب، بمعرفته بأصول الترجيح، ولا اعتقد أنّه أصح المذاهب من غير علم، فمال إليه، والعالم على الحقيقة، والعالم

---

[1] **سورة البقرة، الآية 257.**

[2] ابن رشد، **الفتاوى،س2**، ص 802 ما بعدها.

[3] الأمير اللّمتوني الذي قاد المرابطين في معركة **كتندة ضد الإفرنج (514 هـ/1120م)** وهو أحد الأدباء المرابطين، ألّف بإسمه **الفتح بن خاقان، كتابه قلائد العقيان، أنظر:** ابن الأبار، **المعجم،**ج1، ص ص 55، 56.

بالأصول والفروع، لا من غني بحفظ الفروع، ولم يتحقق بمعرفته الأصول، وبا التوفيق".[1]

إن هذه الأسئلة الكثيرة الموجهة **ابن رشد،** ما تنوه إلاّ بمكانته عند العامة والخاصة، الذين اعترفوا له بسعة الإطلاّع ومقدرته على التصحيح، كما اعتبره مرجعا لأهل السنّة، المدافع عن آرائهم ومبادئهم، حاميا للمسلمين من أهل الزيغ، رادا لشبههم، ولقد كان **ابن رشد،** على قدر المسؤولية إتجاه المسلمين، بالأندلس والمغرب، فبادلهم ثقة بثقة، وأعطاهم من وقته، ومن مجهوده وعصارة إنتاجه ما تم به الانسجام بين الجميع، الذين التفّوا به، واجتمعوا حوله معتمدين بسداد رأيه.[2]

2- إنتاجه العلمي:

أثرى ابن رشد الجد المكتبة الإسلامية، بما أنتجه من مؤلفات و تصانيف متعددة، دالة على تنوع علومه، وغزارة معارفه، ويرجع الفضل في ذلك إلى أصحابه وتلاميذه الذين عرفوا رسوفه العلمي وتفوقه ونبوغه، فأقبلوه عليه، وإجتمعوا حوله، سائلية أن يدون شروحه، ويسجل أفكاره وآراءه كتابه حتى يستفيد منها هم والذين يأتون من بعدهم، مستفتينه في الأمور التي تشغلهم، فأفتاهم كتابه[3]، وألّف لهم كتبا مفيدة، زادته شهرة ورفعة بين معاصريه وأقرأنّه[4]، وقد عمل ابن رشد على نشرها بين الطلبة برغبة منه، واستجابة لرغبة تلاميذه في الأخذ عنها وروايتها[5]،فخصص لها مجالس لإسماعها والتعريف بها، فتلقّاها تلاميذه بقبول حسن، ورووها عنه مباشرة أو بالإجازة العامة، وشهدوا لها بفائدتها، فأثنوا عليها ثناء جميلا، واعتمدوها، وعولوا في أخذها من صاحبها[6].

---

[1] ابن رشد، **المصدر السابق،** س2، ص ص1060، 1061.

[2] التليلي، **المرجع السابق،** ص 206.

[3] ابن رشد، **البيان والتحصيل،**ج1، ص 28.

[4] التليلي، **المرجع السابق،** ص 307.

[5] ابن رشد، **نفس المصدر،** ج1، ص 17وما بعدها.

[6] التليلي، **نفس المرجع السابق،** ص 38.

وقد كان **ابن رشد** من المكثرين في ميدان التأليف، فتعددت تصانيفه وتنوعت[1]، فكان منها **في الحديث،** ومنها **في علم الكلام،** إلاّ أن أغلبها كان **في الفقه المالكي،** وما تفرع عنه، وقد أشادت المصادر وأثنت عليه في هذا الميدان بعبارات كثيرة، "كالمعترف له بصحة النظر وجودة التأليف"[2]، "كثير التصانيف مطبوعة"[3]، "كان مطبوعا في هذا الباب، حسن القلم والرواية"[4]، "صاحب التصانيف الجليلة في القه والأصول والفروع والخلافيات"[5]، وهذه أهم مؤلفاته:

1- كتاب المقدمات لما اقتضته رسوم المدونّة من الأحكام الشرعيات، والتحصيلات المحكمات، لأمهات مسائلها المشكلات:

لقد ألف **ابن رشد** هذا الكتاب بطلب من بعض أصحابه، هذا ما صرح به شخصيا في **كتابه البيان والتحصيل، قائلا:** وقد كان بعض الأصحاب، سألني أن أمهد في أول كتاب منه أي البيان والتحصيل، مقدمة تنبني عليها مسائله من الكتاب والسنّة، ويرد إليه القياس عليها مع الربط والتقسيم، والتحصيل بمعانيها، فرأيت أن أختصر ذلك لأنني جمعت جملا وافرة مما كنت أورده في أول كتاب منها على الأصحاب المجتمعين إلي للمذاكرة فيها والمناظرة، وأقدمه وأمهده من معنى إسمه، وإشتقاق لفظه، وتبيين أصله من الكتاب والسنّة، وما اتفق عليه أهل العلم من ذلك واختلفوا فيه، ووجد بناء مسائله عليه وردها إليه بالتقسيم والتحصيل بمعانيها، جريا على سنن شيخنا **أبي جعفر بن رزق** رحمه ا وطريقته في ذلك، واقتفاء للأثر فيه، وإن كنت أكثر احتفالا منه في ذلك ... إلى أن قال: ووصلت ما جمعته من ذلك بعض ما استفرد القول فيه من أعيان المسائل، وقعت في المدونة ناقصة، مفرقة، فذكرتها مجموعة ملخّصة، مشروحة بعللها، فإجتمع من ذلك

---

[1] عياض، **المصدر السابق**، 54.

[2] ابن شكوال، **المصدر السابق**، الجزء.

[3] عياض، **نفس المصدر**، ص 54.

[4] **نفس المصدر و الصفحة** .

[5] ابن سعيد، **المصدر السابق**،ج1، ص 162.

تأليف، مفيد، ينتهي أزيد من 25 جزء سميته بكتاب المقدمات لما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات، والتحصيلات المحكمات، لأمهات مسائلها للمشكلات".[1]

والغرض من تأليف هذا الكتاب، يبدو واضحا من خلال كلام **ابن رشد**، ممثلا فيما يلي:

1- تأصيل كتب المدونة، لغويا، أي الحديث عن الأصل اللّغوي، والمعنى الإشتقاقي للمصطلحات الرئيسية للأبواب، وتشريعات بيان أصل بالموضوع وأحكامه الرئيسية من الكتاب والسنّة.[2]

2- عرض مواطن الاتفاق، والإختلاف بين أئمة المذاهب في بعض أمهات المسائل وأحيانا الخلاف خارج المذهب، خاصة بين المالكية من جهة، والشافعية والحنفية من جهة ثانية، وهذا الاتفاق والاختلاف هنا لا يصل إلى مستوى ذكر أسباب الاختلاف، وإن ذكرت فهي غالبا في نطاق فقه المسائل، ونادرا ما تكون في نطاق الأمور التشريعية "الكتاب والسنة" وأدوات أصول الفقه.[3]

3- تكميل مسائل المدونة، بذكر ما أغفل، موزعا بين الأبواب، وهو يتعلّق بموضوع واحد.[4]

وباعتبار **المدونة**، أصل المذهب المالكي، المرجح روايتها على غيرها عند المغاربة، فإياها اختصر مختصروهم، وشرح شارحوهم، وبها مذاكرتهم ومناظراتهم[5]، فإن **المقدمات** كتتّمة لها، نالت عناية خاصة، واسعة لدى المغاربة والأندلسيين، منذ صدورها، وتتجلى تلك العناية في رغبة الكثيرين تدارسها[6]، وقد أثنى عليها مؤلفها **ابن**

---

[1] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 31.

[2] ابن رشد**، المسائل**، ج1، ص 59.

[3] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 59.

[4] ابن رشد، **نفس المصدر السابق**، ج1، ص 60.

[5] عياض، **ترتيب المدارك**، تحقيق محمد بن تاويت ،ج3، ص 299.

[5] ابن رشد، **نفس المصدر السابق**، ج1، ص 60.

[6] من بينهم **أبو بكر محمد بن عبد ا بن الجد الفهري** الذي أخذها مناولة من **ابن رشد**، ومحمد بن صاف الأنصاري الأريولي، أخذها بالإجازة مع المدونة من **ابن رشد**، وأجاز بها **أبو القاسم أحمد بن رشد**، إلى الفقيه، **أبا القاسم عبد الرحمن الفاسي** وقام باختصارها **محمد بن إبراهيم الحريني المرسي وأبو عبد ا محمد بن سعيد الفاسي السراج**، وشرحها كثيرون منهم محمد بن إبراهيم التتاني. أنظر: ابن رشد، المصدر السابق،ج1، ص 60.

رشد قائلا:"واجتمع من ذلك تأليف مفيد لم يسبقني أحد ممن تقدم إلى مثله..."[1] "إلاّ أنّه كتاب لم يتخلّص بعد ، فإذا تخلّص بعون ا تعالى، ونقل من مسودته إن شاء ا وجمعه الطالب إلى هذا الكتاب أي البيان و التحصيل حصل على معرفة ما لم يسعه جهله من أصول الديانات، وأصول الفقه، وعرف العلم من طريقه وأخذه من بابه وسبيله، وأحكم رد الفرع إلى أصله، واستغنى بمعرفة ذلك كلّه، عن الشيوخ في المشكلات، وحصل على درجة ما يجب تقليده في النوازل المعضلات، ودخل في زمرة العلماء الذين أثنى ا عليهم في غير ما آية من كتابه، ووعدهم برفيع الدرجات".[2]

2- البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل:

هو كتاب من أمهات الفقه المالكي، إسمه يطابق مسماه، بيانا وتحصيلا وشرحا وتوجيها وتعليلا. لمسائل **كتاب** المستخرجة، **لأبي عبد ا محمد العتبي بن أحمد بن عبد العزيز بن عينة القرطبي الفقيه**[3]، من أسمعة تلاميذ الإمام مالك، كسماع **ابن القاسم**[4]، **وأشهب**[5] **وابن نافع**[6]، وغيرهم ... عن مالك، وقد استغرق **ابن رشد** في تأليف هذا الكتاب مدة طويلة، بلغت اثنتي عشر سنّة[7]، لأنّه شغل عنه بتوليه منصب قاضي الجماعة[8]، وذلك

---

[1] ابن رشد، **المقدمات**،ج1، ص 10.

[2] ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج1، ص 32.

[3](ت**255هـ867م**) **فقيه** أندلسي ينسب إلى عينة بن أبي سفيان، روى عن **يحي بن يحي اللّيثي**، له رحلة سمع بها جماعة بالمشرق، وحدث وألّف في الفقه كتبا كثيرة **سميت بالعتبية، وهي المستخرجة** من أسمعة مالك **بن أنس رواها عنه محمد بن عمر بن لبنانةو. أنظر: الحميدي، المصدر السابق، ص 36؛** كحالة، **المرجع السابق،** ص 276؛ مخلوف، **المصدر السابق، ص** 75.

[4] هو **أبو عبد ا عبد الرحمن بن القاسم العتقي،** المصري، الشيخ الحافظ، الفقيه، أثبت الناس عن مالك، وأعلمهم بأقواله صحبه عشرون سنّة، تفقه به وبنظرائه، **أنظر** : مخلوف، **المصدر السابق،** ص 58.

[5] هو **أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري أبو عمرو** أحد أكبر أصحاب مالك المصريين، كان فقيها، حسن النظر، ثقة في ما روى عن مالك، وإليه انتهت رئاسة العلم بمصر بعد موت ابن القاسم، **أنظر**: عياض ، **المصدر السابق**، ص 262 وما بعدها.

[6] **هو عبد ا بن نافع،** كنيته أبو محمد، كان ممن تفقهوا بمالك ونظرائه، كما روى عنه، قيل عنه أنّه كان صاحب رأي مالك، ومفتي أهل المدينة جرأة، وهو الذي سمع عنه سحنون وكبار أصحاب مالك، والذي سماعه مقرون بسماع أشهب في **العتبية.** أنظر: عياض، **المصدر السابق** ج3، ص ص 128، 129.

[7] ابن رشد، **المصدر السابق،** ج1، ص 15.

[8] **نفسه** ص 31.

بعد أن أودع فيه جميع تحصيلاته الفقهية التي اكتسبها من دراسته **للمدونة،** وما كتب عليها في نحو سبعة أجيال، من شروح واختصارات وتعليقات، ومن اجتهاداته وتجاربه الشخصية، في التدريس والإفتاء، والقضاء، فكان هذا الكتاب عبارة عن خلاصة وافية، محيطة بالفقه المالكي، عباداته ومعاملاته[1].

أما بالنسبة إلى عنوان الكتاب، فلم يضبطه **ابن رشد** بنفسه، كما فعل في **المقدمات الممهدات،** وإنّما استخاص التلاميذ وكتاب التراجم عناوين تتناسب والمضمون، وتتقارب في الشكل[2]، فسماه ابن شكوال ومن سياره مثل **الحطّاب** ،بالبيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل[3] وأطلق عليه **عياض،** البيان والتحصيل في شرح كتاب العتبي المستخرج من الأسمعة[4]، وأطلق عليه **الضبي،** البيان والتحصيل والتوجيه والتعليل بمسائل العتبية[5]، أما **ابن عذاري،** فسماه شرح المستخرجة[6]، وقد جاءت هذه التسميات إما كاملة أو مختصرة بناء على ما أورده ابن رشد في مقدمة الكتاب قائلا:"فشرعت فيه، وبدأت بكتاب الضوء، من أول الديوان، مسألة، على الولاء... أذكر المسالة على نصها، ثم أشرح من ألفاظها ما يفتقر إلى شرحه، وأبين من معانيها بالبسط ما يحتاج بيانه وبسطه، وأحصل من أقاويل العلماء ما يحتاج إلى تحصيله، إذ قد يتشعب كثيرا من المسائل، وتفترق شعبها في كثير من المواضع، وتختلف الأجوبة في بعضها لافتراق معانيها، وفي بعضها لاختلاف القول فيها، فأبين موضع الخلاف، وأذكر المعاني الموجبة للاختلاف وأوجه منها ما يحتاج إلى توجيهه، بالنظر الصحيح والرد إلى الأصول والقياس عليها"[7]ولكتاب **البيان والتحصيل،** قيمة ومكانة بين أمهات كتب المذهب، فلقد استوعب مسائل مستخرجة الأندلسيين، ومدونة القرويين، اللّتين كان فقهاء الغرب الإسلامي في العصور الوسطى، يحفظونهما عن ظهر قلب، ويقطعون أعمارهم في تدارس ما كتب

---

[1] ابن رشد، **المصدر السابق،** ص 5.

[2] التليلي، **المرجع السابق،** ص 310.

[3] ابن شكوال، **المصدر السابق،** ج1، ص 546، الحطّاب ،**المصدر السابق** ،ج1، ص 49.

[4] عياض،**المصدر السابق،** ص 54.

[5] الضبي،**المصدر السابق،** ص 43.

[6] ابن عذاري، **المصدر السابق،**ج4، ص 74.

[7] ابن رشد، **المصدر السابق،** ج1، ص29.

حولها أو حول المدونة بالخصوص من شروح وتعليقات وتنبيهات وزيادات واختصارات. وقد تمكن **ابن رشد** بما أوتي من ملكة نادرة، وقوة الحفظ من الاطّلاع على ما كتب قبله، فانتقده نقد الفقيه المجتهد في نطاق المذهب المالكي، وحرره بأسلوب واضح، يستوي في إدراكه المبتدئ والمتمكّن[1]، ثم أضاف إلى ذلك المقدمات الممهدات**،** مما سبق لنا ذكره، وأكّد أن الطالب إذا جمع بين هاذين الكتابين" حصل على معرفة ما يسمع جهله من أصول الديانات وأصول الفقه وعرف العلم من طريقه، وأخذه من بابه وسبيله..."[2]. وقد اعتنى العلماء بكتاب **البيان والتحصيل**، واهتموا به، فقاموا بالتأليف عليه واختصاره، نذكر منهم، **أبو عبد ا محمد بن أبي القاسم البجائي،**[3] الذي اختصره تحت عنوان **مختصر البيان لابن رشد،** وألّف **أبو عمر وعثمان على** بن **دعمون الغرناطي**[4] برنامجا على كتاب البيان والتحصيل، عظيم النفع، كثير الفائدة"[5] **وأبو الحجاج يوسف بن أبي سليمان بن فتح الجذامي**[6]، ألّف كتابا سماه تجريد رؤوس البيان والتحصيل**.**[7]

3- اختصار الكتب المبسوطة:

الكتب المبسوطة أو المبسوط في اختلاف أصحاب مالك وأقواله[8] هي من تأليف **أبي إسماعيل يحي بن أبي إسحاق بن يحي اللّيثي**[9] ، وهذا الكتاب يتناول اختلاف الرواية

---

[1] ابن رشد، **المصدر السابق**،ج1، ص 10.

[2] **نفس المصدر السابق**، ص 32.

[3] عالم بجاية وفقيهها وخطيبها ومفتيها**(ت866هـ/1462م)،** له فتاوي نقلت في المعيار، والمازونية، ألّف تكملة حاشية أبي المهدي، الوانوغي على المدونة ، **واختصر البيان لابن رشد، ورتبه على مسائل ابن الحاجب وشرحه في أربعة أسفار غاية في التحقيق**. **أنظر :** مخلوف، **المصدر السابق**، ص 263.

[4] فقيه جليل(**ت709هـ/1309م**)، كان ذاكرا للفقه مستحضرا لمسائل الأحكام، معتمدا عليه في الشورى، عرض عليه القضاء مرة فلم يقبله، **أنظر:** ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 291.

[5] **نفس المصدر والصفحة.**

[6] من أهل العلم والمشاركة في الأدب، ذاكرا للأخبار، حسن الشعر، تقلّد القضاء ببلده، ابن فرحون، **نفس المصدر**، ص 442.

[7] **نفس المصدر و الصفحة**

[8] مخلوف، **نفس المصدر السابق**، ص 77.

[9] الفقيه،المشاور (**ت363هـ/915-916م**)، كان له سماع من أبيه وعلماء كثيرون من مختلف الأماكن، ألّف **كتاب المبسوط في إختلاف أصحاب مالك وأقواله** ، أنظر ترجمته: ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم

عن مالك، واختلاف الإجتهاد بين أصحاب مالك، فهي من المصنّفات التي تعالج الخلاف داخل المذهب في نطاق الرواية الفقهية[1]، وأثبتت سائر المصادر اختصار ابن رشد، لهذا الكتاب فعياض عدة ثالث تأليف لشيخه **ابن رشد**، وأثبت أنّه سمع منه في قوله:"وجالسته كثيرا وسألته، واستفدت منه، وسمعت بعض كتابه في اختصار المبسوطة من تأليفه يقرأ عليه، وناولني بعضها وأجازني الكتاب المذكور وسائر رواياته"[2]، **وابن شكوال**، اعتبره أيضا ثالث تآليفه، ذاكرا إياه على ما سبقه منها[3] وساقه **ابن خير الإشبيلي**، بعد ذكر المقدمات الممهدات والبيان والتحصيل، تحت عنوان، كتاب اختصار المبسوط ليحي بن إسحاق[4].وغيرها من المصادر الكثيرة التي ترجمت له وأوردت تآليفه. **وابن رشد الجد** لم يختصر كتب **يحي بن إسحاق** مباشرة[5]، وإنّما اختصرها قبله الأخوان **أبو عبد ا محمد، وأبو محمد عبد ا** [6]،، ابنا **إبان بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار**[7]، هذا ما أكده **ابن فرحون** في ترجمة **أبي إسماعيل يحي بن إسحاق بن يحي** في قوله:"ألّف الكتب المبسوطة في اختلاف أصحاب مالك وأقواله، وهي التي إختصرها محمد وعبد ا ابنا إبان بن عيسى، ثم إختصر ذلك المختصار أبو الوليد بن رشد"[8]

=الأبياري،ج2، ص 51 وما بعدها؛ الضبي، **المصدر السابق**، تحقيق إبراهيم الأبياري،ج2، ص 670؛ مخلوف، **نفس المصدر السابق**، ص 77.

[1] ابن رشد، **المسائل**،ج1 ، ص65.

[2] عياض، **المصدر السابق**، ص 55.

[3] ابن شكوال، **المصدر السابق**،ج1، ث 546؛ الحطّاب، **المصدر السابق**، ج1، ص 49؛ كحالة،**المرجع السابق**، ج7+8، ص 228.

[4] ابن خير، **المصدر السابق**،ج1 ، ص 299.

[5] ابن رشد، **المصدر السابق**،ج 1، ص 66.

[6] من جملة فقهاء قرطبة، سمع هو **أخوه أبو محمد عبد ا** (ت395هـ/1005م)، من أبيهما، وأحمد بن مطرف، ندبهما **الحكم** إلى اختصار الكتب المبسوطة **ليحي بن إسحاق بن يحي**، فاختصراها وقرباها، **أنظر:** ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 385، ابن شكوال، **المصدر السابق**،ج1، ص 24.

[7] يكنى **أبا القاسم**، يعد من الفقهاء الصالحين، روى عن أبيه، عرض عليه القضاء فلم يقبله وفرض عليه فرضا، فحكم بين الناس يوما واحدا ثم هرب. فسمع الأمير بذلك فقال: هذا رجل صالح، **أنظر ترجمته**: الخشني، **تاريخ قضاة قرطبة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989، ص 34 وما بعدها؛ عياض، **المدارك**،ج4، ص 259 وما بعدها.

[8] ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 358.

ب- الفتاوي:

اضطلع بجمع فتاوى **ابن رشد** وترتيبها تلميذه **الفقيه أبو الحسن بن الوزان**[1]، ويؤكّد هذا القول ما أورده **إبن خير الاشبيلي** فيما يلي:"ذكرت فيما تقدم عند ذكر تواليف **القاضي محمد بن لأحمد بن أحمد بن رشد،** أني أرويها عنه بالإجازة العامة، وتفسير ذلك أني نقلت، من خط صاحبها الفقيه، المشاور **أبي القاسم محمد بن عبد ا بن أحمد القنطري الشلبي**، وحدثني بعه بعد نقلي إياه قراءة عليه قال:" نقلت من خطّ الشيخ الإمام الفقيه **أبي الحسن محمد بن أبي الحسن المعروف بإبن الوزان**، وحدثني به بعد نقلي إياه من خطّة قراءة عليه، قال: لما استخار ا شيخنا الفقيه القاضي أبي الوليد بن رشد في النهوض إلى المغرب... سنة 520 هـ، سألته غداة يوم الإثنين لليلتين خلتا منه "ربيع الآخر" أن يجيزني جميع ما يحمله من الكتب المؤلفة في ضروب العلم..."[2]،ويؤكد ذلك أيضا ما جاء في آخر **كتاب الفتاوى** من التصريح بإسم جامعها، فيما يلي:"قال الفقيه أبو **الحسن محمد بن أبي الحسن**: إلى ههنا انتهى ما جمعته من المسائل التي سئل عنها وأجاب عليها الفقيه الإمام، **القاضي أبو الوليد بن رشد** شيخنا رضي ا عنه فيما عنيت بجمعه، وقراءته عليه على مرور الأيام، وتعاقب الأعوام مسألة مسألة إلى أن وقع المرض الذي قضى عليه رحمه ا "[3]. وكتاب **الفتاوى**، كتاب فقه بالدرجة الأولى، لكنّه إلى جانب ذلك يمثّل أهميات أخرى، تتصف بصفة المسائل الواقعية، التي تعرض صورا من مجتمع ملوك الطوائف والمرابطين من بعدهم، **بالمغرب والأندلس**[4]، فهو ليس مجرد إجابات فقهية وإنّما هو بالأحرى مدونة تعكس قضايا جديدة، كان الغرب الإسلامي يعرفها، ومن هنا حظيت لدى فقهاء المذهب المالكي إلى جانب كتبه الأخرى، بإهتمام خاص، جعلها **سلطة إفتائية قوية،**[5] حيث يجمع هذا كتاب بين دفتيه عددا هاما من الفتاوى تصل إلى **559 فتوى، لابن رشد،** ما عدا ثلاثا فقط، واحدة منها منسوبة إلى **أبي عبد ا بن حمدين،** والآخريان **للفقيه أبي عبد ا بن الحاج**[6]، وتثير هذه الفتاوى، قضايا الحياة

---

[1] إحسان عباس، **بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 418.

[2] ابن خير، **المصدر السابق**،ج1، ص 589.

[3] ابن رشد، **الفتاوى**،س3، ص 1517.

[4] ابن رشد، **المسائل**،ج1، ص 102.

[5] محمد المنصور، محمد المغراوي، **التاريخ وأدب النوازل**، ط1، منشورات كلية الآداب، المملكة المغربية، الرباط، 1970، ص 61.

[6] التليلي، **المرجع السابق**، ص.

المختلفة، فإلى جانب قضايا العقيدة، ومسائل العبادات، تقف على مسائل الأحوال الشخصية بما تعرفه من علاقات، وتطرحه من مشاكل الزواج والطلاق، والنسب والإرث والخصومات، كما تقف على قضايا المعاملات التجارية والمالية والفلاحية، ما كانت تعرفه من أنظمة وعقود ومشاكل إضافة إلى بعض المشاكل التي تمس الجهاد وماله من علاقة بخصوصيات المجتمع،[1] ولهذه الأهمية لقي كتاب الفتاوى عناية خاصة من طرف العلماء، حيث رتبه **أبو القاسم بن أحمد القيسي**[2]، وقام باختصاره كلّ من **أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن بن الرفيع التونسي**[3] ، **وأبو عبد ا محمد بن هارون الكناني**[4]، **ومحمد سعيد بن محمد بن عثمان الرعيني الأندلسي**[5].

فضلا عن هذه المؤلفات**، لابن رشد** آثار كثيرة منها ما يلي:

اختصار مشكل الآثار للطحاوي[6] في الحديث، **تلخيص الحسن والقبح للحكيمي**[7] في الكلام، وكتاب **التقييد والتقسيم**[8] كتاب في **الحجب والمواريث**[9]، **ومختصر الحجب**[10]، **وفهرست ابن رشد**[11]، وغيرها.

---

[1] محمد المغراوي، **مسائل العملة والصرف والأسعار في العهد المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد**، ص 61.

[2] عبد الرحمان بن أحمد **المتوفى 737هـ/1336م** ، أنظر:التمبكتي، **المصدر السابق**، ص 139.

[3]هو العلامة، قاضي القضاة الفقيه، الأصولي، العالم بالأحكام والنوازل المتوفى **734هـ/1334**، من بيوتات تونس الكبرى، له تآليف كثيرة منها، **معين الحكّام** في مجلّدين، وله **رد على ابن حزم**، في اعتراضه على **مالك** في أحاديث خرجها في **الموطأ** ولم يعمل بها، وله اختصار **أجوبة ابن رشد** وغير ذلك، **أنظر:** مخلوف، **المصدر السابق**، ص 207.

[4] فقيه مالكي، من مدرسي جامع الزيتونة بتونس، في الفقه و الأصول وعلم الكلام ، له شروح واختصارات كثيرة،توفي **750هـ/1349م أنظر ترجمته**: السراج محمد بن محمد الأندلسي: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيل، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 805.

[5] عالم فاضل مولع بالتّصنيف له تواليف كثيرة منها **اختصار مفرقات ابن رشد والأسئلة والأجوبة.توفي779هـ/1377م أنظر:** التمبكتي، نفس المصدر السابق، ص 278.

[6] ابن شكوال، **المصدر السابق**،ج2، ص 542؛ ابن خير، **المصدر السابق**، ص 243؛ النباهي، **المصدر السابق**، ص 130، المقري، **أزهار الرياض،**ج3، ص 60.

[7] **هو محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحكيمي المعروف بإبن حكيم (56هـ/1172م)** من فقهاء الحنفية المشهورين له مؤلفات كثيرة منها **تفسير القرآن وأسباب نزاول القرآن** وغيرها. أنظر: الداوودي، **المصدر السابق**،ج2، ص 9؛ وابن رشد**، المسائل**،ج1، ص 64 وما بعدها.

[8] ذكره **التّمبكتي** في ترجمة **أبي الربيع سليمان الونشريسي (75هـ/1305-1306م)**. أنظر: التميكتي، **المصدر السابق**، ص 103 وما بعدها.

[9] ابن خير**، نفس المصدر السابق**، ص 333.

[10] **نفس المصدر و الصفحة .**

[11] مخلوف، **المصدر السابق**، ص 129.

3- مشيخته العلمية:

بعد لأن يمكن **ابن رشد** من مختلف أنواع العلوم، وظهر نبوغه في بعضها، شقّ طريقه إلى التدريس، ووضع نفسه على ذمة الطلبة وكان ذلك باندفاع شخصي منه من جهة، ومن جهة أخرى بتشجيع خارجي من شيوخه وأسرته خاصة والده الذي أراد أن يحقّق له رغبته في حياته[1]. **لكن متى تم ذلك بالضبط، أي متى وضع ابن رشد نفسه على ذمة الطلبة؟.**

إن المصادر التي بين أيدينا لم تزودنا بتاريخ مضبوط لبداية إشتغال **ابن رشد** بالتدريس، ولم تسعفنا المراجع بالجواب على هذا السؤال اللّهم إلاّ ما توصل إليه أحد الباحثين من استنتاجات تفيد أن **ابن رشد،** توجهت إليه الأنظار، واستقطب العلماء والفقهاء النظار، **ما بين سنتي 490 هـ/1096م، 496هـ/1102م**[2]، أي في فترة قضاء **أبي عبد ا محمد بن عيسى التميمي**[3] وذلك بناء على ما جاء في إحدى فتاوى **ابن رشد،** وهي مسألة حول الزيادة في مسجد سبته، سئل عنها الفقيه، القاضي، **أبي عبد ا بن عيسى** أيام قضائه بها، إذ اختلف أهل العلم عليه فيها، قائلا:"ما تقول رضي ا عنك في مسجد جامع مصر من الأمصار، ضاق بأهله، وعمن يصلي فيه، واحتيج إلى الزيادة فيه، و حواليه حوانيت لقوم شتى، فطلبنا منهم البيع في تلك الحوانيت ليزاد في الجامع، فامتنعوا، فعل يجبرون على البيع بالقيمة؟ كيف وإن إدعى بعضهم التحبيس في ذلك أثبته أو لم يثبته، وهل يجبر على البيع للضرورة المذكورة، أو بناقل ذلك الربع المذكور إن ثبت التحبيس، ولقد فضل للجامع من كراء ريعه بما يشتري به الحوانيت المذكورة أو أكثر، وقد عملت وفقك ا بما ذكر **ابن حبيب، وأبو الفرج،** وغيرهما في هذا المعنى، بين لنا إن شاء ا "[4].

---

[1] التليلي، **المرجع السابق**، ص 230.

[2] **نفس المرجع السابق**، ص 227.

[3] عياض، **الغنية**، ص 27 وما بعدها؛ مخلوف، **المصدر السابق**، ص 124.

[4] ابن رشد، **الفتاوي**، س1، ص 262.

وقد أورد **ابن عذاري** في بيانه، تاريخ البناء، والزيادة في جامع **سبتة** في قوله:"وكان يوسف بن تاشفين قد أمر القاضي محمد بن عيسى، ببنيان جامع سبتة، وزاد فيه حتى أشرف على البحر، وما كان بنيانه عام واحد وتسعين"[1]. أي 491هـ.

وبناء على هذا الاعتبار، فإن استفتاء **ابن رشد**، في إجبار أصحاب الحوانيت التي كانت حوالي الجامع يكون سنّة **491**هـ[2]، والوصول إلى تحديد هذه السنّة وضبطها، يعني إثبات عدة أمور منها:

❖ مدى انتشار سمعة **ابن رشد**، في هذه الفترة، كشخصية علمية معترف لها بغزير العلم، تجاوزت أسوار **قرطبة** غلى غيرها من المدن الأندلسية ومنها إلى بر العدوة بالمغرب، إلى درجة توجه كبار الفقهاء والقضاة العلماء في حلّ مشاكلهم، والإجابة عن تساؤلاتهم.

❖ معرفة أن **ابن رشد** بدأ الإشتغال بالإفتاء، وانتصب للعطاء، في سن مبكرة، وهو فوق الأربعين من عمرة، وهذا السن حد أقصى لبداية الإنتاج، والإتّصال بالطلبة والأصحاب، ولئن كانت السنوات الأولى في الرواية والإسماع، وهي سنوات الجد في التعلم، والبذل في نفسه بين الأشياخ، وتثبيت نفسه بين الأقران، أي أنها سنوات التجربة والإحتكاك بالطلاب والأصحاب، فإن السنوات الأخيرة من القرن الخامس الهجري كانت كاشفة لمكانة **ابن رشد** العلمية، ومبرزة منزلته الفقهية بين الأقران والطلاّب والأصحاب، معلنة عن الاعتراف له بدقة الفقه وصحة الرأي، مبينة أنّه كان مشاركا بعض شيوخه في اهتمام التلاميذ به، وإتجاهم إلى حلقات دروسه، كإهتمامهم بشيوخه والرواية عنه كالرواية عن شيوخه[3] فهو **أبو مروان عبد الرحمن بن قزمان القرطبي**[4]، سمع من **ابن رشد**، وتفقه به في الوقت الذي كان يستمع إلى شيخه **أبي عبد ا محمد بن فرج**، السابق الذكر

---

[1] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 58.

[2] التليلي، **المرجع السابق**، ص 228.

[3] **نفسه**، ص 228 وما بعدها.

[4] استوطن **أشبونة** وبها توفي عن يناهز الخامسة والثمانون سنة (**525هـ/1157م**) ،درس الفقه على يد **ابن رشد** والحديث على يد **أبي علي الصدفي**، فكان آخر الرواة بالسماع عنه، واعتبر من كبار العلماء، وجلّة الفقهاء، مقدما في الأدباء والنبهاء. **أنظر**: ابن الأبار، **المعجم**، ص 243 وما بعدها.

وأبو مروان عبد الملك بن مسرة القرطبي[1] أخذ عن **أبي عبد ا بن فرج**، وسمع منه موطأ مالك خاصة، وإختص **بابن رشد** وتفقه به ولازمه[2]، وغير هؤلاء العلماء كثير ممن أخذوا عن شيوخه، وتفقهوا به، فمن الثابت أن **ابن رشد** قد جلس إلى التدريس، وبعض أشياخه الذين تتلمذ عليهم، لازالوا أحياء،و تقدمه إلى تكوين حلقة بالمسجد الجامع **بقرطبة**، لم يسبب لهم أي نوع من الإحراج، وإنّما على العكس من ذلك، رأوا فيه امتدادا لأنفسهم، واستمرارا لآثارهم، ونشرا لعلومهم، ومواصلة لنشاطهم التعليمي.

هكذا شقّ ابن رشد طريقه إلى التدريس، ووضع نفسه على ذمة الطلبة بالمسجد الجامع بقرطبة، حيث تتكون مجالس الرواية والإسماع وتجتمع الحلقات التعليمية، ويتنافس الشيوخ في عنايتهم بالعلم، واهتمامهم بالطلبة، فإشتهر مجلسه بين مجالس العلم **بقرطبة،** وانتشر صيته بين الأقران والشيوخ، فتوجه إليه الراغبون في الإستفادة، للأخذ عنه والتعلّم على يده والإستفادة من العلوم والفنون التي يرويها، ومن ثم لم تطغى دروس نظرائه على دروسه، بل اشتهرت كثيرا وراجت سمعته في سائر بلاد **الأندلس والمغرب**[3] وما يعود ذلك إلاّ لأسباب كثيرة جذبت الطلبة ولفتت انتباههم إليه نذكر منها ما يلي:

1- إنتساب **ابن رشد** إلى بيت عريق من بيوتات **الأندلس**، شهد له العلماء توارثه العلم والفضل، والجلالة والنباهة والحسب،[4]

2- تتلمذه على يد أعيان الشيوخ **بقرطبة،** مما سبق وأن ترجمنا لهم سابقا، فكلّ منهم ما كان إلاّ زعيما في إختصاصه أوله السبق في علّوه إسناده، أو التقدم في فنّه أو علما في جودة فهمه أو إماما في سعة إطّلاعه وكثرة مروياته.[5]

3- تحصيله علوما عديدة، ظهر له تمكّن منها ، فتراه أحيانا لغويا وأحيانا محدثا ومفسرا، وأحيانا أخرى فقيها أصوليا، وهذا بشهادة من معاصريه وأصحابه وتلاميذه من بينهم **أبو**

---

[1] ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج1، ص 348.

[2] ابن الزبير، **المصدر السابق**، ص 239 وما بعدها.

[3] التليلي، **المرجع السابق**، ص 230 وما بعدها

[4] ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 122.

[5] التليلي،**نفس المرجع السابق**، ص 234.

الفضل **عياض** الذي أثبت له بصره بالأصول والفروع والفرائض، وتفنّن في مختلف أنواع العلوم.[1]

4- تحلية بالأخلاق الحميدة، وإتصافه بحسن السلوك، فلقد كان "حسن الدين، كثير الحياء، قليل الكلام، متسمتا، نزها"[2]، متواضعا مع الأصحاب مكرما للقضاء، مساعدا لهم في قضاء حوائجهم[3]،وقد وصف **ابن شكوال**، حميد خصاله، وصورها أحسن تصوير حين قال: "وكان حسن الخلق، سهل اللّقاء، كثيرا النفع لخاصته وأصحابه جميل العشرة لهم، حافظا لعهدهم، كثير البر بهم"[4]. يبدو أن هذه الصفاة لم تجذب الطلبة إليه فقط، وإنّما ساعدته كثيرا في مهنته كقاض للقضاة، حيث أكسبته هالة من التقدير والاحترام، فازدحم عليه الطلاّب، وتكاثر عليه الأصحاب.[5]

5- توليه أرفع منصب قضائي في دولة المرابطين "**قضاء الجماعة**"[6] وهو مركز إشعاع ومكان شهرة، إستفاد منها أصحابه وتلاميذه[7]. ومن الأمثلة على ذلك تولي **أبي عبد ا محمد بن بأصبع**[8] خطّة أحكام المظالم بقرطبة، مع شيخه القاضي أبي الوليد بن رشد، وحضوره مع مشيخة الشورى عند ابن رشد بطلب منه، ثم تقلّده قضاء الجماعة لمدة طويلة[9]، ومن خلال جهاز اقضاء أيضا اهتم شؤون الأندلسيين عامة، ومصالح أهل قرطبة بصفة أخص، فابن رشد كان عالما بحقّ، له سلطته، لا تأخذه في سبيل تحقيق ما أوجب ا لومة لائم، يقف على جانب الحقّ حتى ضد رجال السلطة السياسية[10]. فلقد نقلت لنا

---

[1] عياض، **المصدر السابق**، ص 54.

[2] **نفس المصدر و الصفحة .**

[3] التليلي، **المرجع السابق**، ص 234.

[4] ابن بشكوال، **المصدر السابق**،ج2، ص 546.

[5] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 236.

[6] إحسان عباس، **المرجع السابق، ص** 415.

[7] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 236.

[8] كان قاضي الجماعة **بقرطبة**، وصاحب صلاة الفريضة بالمسجد الجامع بها، وخاتمة الأعيان بحضرتها، وكان من أهل الفضل الكامل والدين والعفاف والعقل الجيد مع الوقار والسمت الحسن، والهدي لصالح(**ت536ه/1142م). انظر**: ابن بشكوال، **نفس المصدر السابق**، ج2، ص 554.

[9] **نفس المصدر والصفحة .**

[10] التليلي، نفس المرجع السابق، ص 236.

المصادر والتاريخية أنّه وقف إلى جانب العامة، إثر قيام الثورة بقرطبة، وقام بمساعيه الحميدة بين أمير المسلمين **على بن يوسف بن تاشفين**، وجمهور **قرطبة**، الثائر على واليه وأعوانه من المرابطين[1]، حيث وقى المسلمين أمن حرب كادت تقطع كلّ الصلّة بين الطرفين، مما سيأتي التحدث عنه بتفصيل في الفصل الرابع، وهذا ما زاده إلا مكانة عند العامة، وعظما وتقدما عند أمير المسلمين[2].

6- أنّه كان من بين علماء عصره حجة في الفقه تدريسا وتأليفا[3] وهذا والتخصص في الفقه المالكي، بالإضافة إلى اشتغاله بمسائل الخلاف ومواطن الاتّفاق، هيأ له حظوظ الإشراف على المذهب المالكي، والتفرد بالزعامة فيه، **بالمغرب والأندلس**.[4]

7- توقفه في طريقته التعليمية، حيث سلك أسلوبا خاصا في معالجة **المدونة**،حبب الطلبة إليه، واعتمد في **شرح المستخرجة** منهجا جذابا ومشوقا أزال به الغموض، ووفّق به بين مختلف الرويات، منبها إلى ما فيها من خطأ وصواب، وصحة وضعف مما أعان وساعد الطلبة في الوقوف على مسائل الخلاف ومواطن الإتفاق بشيء من السهولة واليسر[5].

فهذه الأسباب وغيرها من عوامل تبوئه زعامة الفقهاء في الفقه المالكي مما سبق التطرق إليه، هي التي جعلت منه مع مرور الوقت عالما تنتهي إليه الرحلة، وعلما يتقاطر عليه الطلبة من مختلف جهات **الأندلس والمغرب**، **فابن رشد**، كان يقيم **بقرطبة**، ورغم ذلك كانت تأتيه الأسئلة من **القيروان، وسبتة، ومراكش وبجاية**، وغيرها من مدن أهل هذا القطر، لأن الفرد العادي لم يكن يشعر بالغربة في محيط هذا المغرب الكبير، علما أن هذا السلوك والوعي الحضاري مايدل إلا أن **ابن رشد، كان مرجعية فقهية أو قل سلطة علمية**، معترفا بها من العامة والخاصة[6] وهؤلاء نماذج ممن أخذوا عنه من مختلف أقطار المغرب والأندلس.

---

[1] **أنظر تفاصيل هذه الواقعة**، ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج9، ص 187 وما بعدها.

[2] عياض، **المصدر السابق**، ص 54.

[3] إحسان عباس، **المرجع السابق**، ص 417.

[4] التليلي، **المرجع السابق**، ص 238.

[5] **نفس المرجع السابق**، ص 236.

[6] بوشتيش،**المرجع السابق**، ص 85؛ بلغيث ، **المرجع السابق**،ج1، ص 225.

فمن **قرطبة،** أخذ عنه خلق كثير من بينهم **أبو الحسن** بن الوزان[1]، السابق الذكر، الفقيه، المحدث، تتلمذ على يد **ابن رشد** وبعض شيوخه، والذي تولي جمع فتاوي والأجوبة إبن رشد، [2]وقد سأل ابن الوزان شيخه **ابن رشد** أن يجيزه مروياته، وجميع ما يحمله أو ألفه، أو وضعه أو أجاب عنه في القديم والحديث ولجميع أصحابه، وكلّ من أحب أن يحمل عنه من المسلمين[3]، فأجاب طلبه برحابة صدر، جاعلا إياه لوجه تعالى، فشكر ابن الوزان ا تعالى على ذلك، وشكر شيخه على إجابته ، وانصرف عنه مسرورا.[4] **وأبو الوليد محمد بن عبد ا بن محمد بن خيرة بن خيرة القرطبي** العالم، الحافظ، المتفنّن في العلوم كلّها، تفقّه بان رشد، وبنظيره ابن الحاج وغيرهما.[5] **وأبو بكر محمد بن عبد ا بن ميمون بن إدريس بن عبد ا بن إدريس بن عبد ا العبدري،** روى عن **ابن رشد** ولازمه مدة طويلة**،** بلغت عشرين سنة أو عشر سنين، وسمع ابن الباذش، وابن الحاج، وابن عتاب، وغيرهم من العلماء[6]، وكان متقدما في علم اللّسان، ومتصرفا في غيره من فنون العلم، حافظا وشاعرا مجيدا.[7] **وأبو القاسم خاف بن عبد الملك بن مسعودين موسى بن شكوال الأنصاري القرطبي،** بقية المستندين بقرطبة، والمسلّم له بحفظ أخبارها، ومعرفة رجلها، سمع بها أباه، وأبي محمد بن عتاب، **وأبي الوليد بن رشد،** روى عن الكبار والصغار، ورحل الناس إليه وإنتفعوا من علمه، فسمع منه خلق كثير من بينهم **ابن رشد الحفيد**[8]، له تصانيف كثيرة جدا، ذكر **مخلوف** أنها ألفا وخمسين تأليفا، منها **كتاب الصلة** المعروف في التاريخ، وكتاب **الغوامض والمبهمات في إثنا عشر جزء،** وكتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة في عشرون جزء، وغيرها كثير[9]. **وأبو القاسم**

---

[1] الضبي، **المصدر السابق،** تحقيق الابياري،ج1، ص 133.

[2] ابن رشد، **الفتاوي،**

[3] ابن الأبار**، المرجع السابق،** ص 162 وما بعدها.

[4] ابن رشد، نفس المرجع

[5] **(ت551هـ/1156-1157م)،أنظر ترجمته:** ابن الأبار،**نفس المرجع السابق،** ص ص 173، 174؛ مخلوف، **المصدر السابق،** تحقيق الخيالي،ج2، ص 208.

[6] **(ت567هـ/1171-1172م)،أنظر ترجمته:**ابن الأبار**، التكملة،ج2،** ص 511.

[7] ، مخلوف**، نفس المرجع السابق،** ص 149.

[8] ابن الأبار، **نفس المصدر** ،ج1، ص 305.

[9] مخلوف**، المصدر السابق،** ص 145.

أحمد بن يوسف بن عبد العزيز بن محمد القيسي، الذي روي عن **ابن رشد** بالإجازة العامة لصغر سنة، [1]. وغيره كثير من القرطبيين.

أما من **غرناطة،** فلقد سافر إلى **قرطبة** كلّ من: **أبو عبد ا بن عبد الرحيم بن محمد بن الفرج بن خلف بن سعيد بن هشام الأنصاري** المعروف بابن الفرس، فروى عن جماعة من أعلامها، كما لقي أثناءها **ابن عتاب، وابن رشد وابن الحاج**[2]. **وأبو إسحاق إبراهيم بن الحاج بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الغرناطي** ، الذي سمع أثناء رحلته من أعلام كبار **بقرطبة،** من بينهم **ابن عتاب، وابن رشد،** وأجازه آخرون من بينهم **أبو بكر الطرطوشي، وأبو عبد ا المازري،** وقد كان إبراهيم بن الحاج من أهل التفتن في العلوم، والتقدم في القراءات والمشاركة في الحديث، ومسائل الفقه، وكان نافذا في الأحكام[3].

ومن **المرية** أخذ عنه، **أبو القاسم بن ورد التميمي المعروف بابن الورد**[4]، الذي كان له سماع من **أبي علي الغساني، وأبي محمد عبد ا بن العسال الزاهد**[5] وغيرهما، وقام بالمناظرة عند الفقيه **أبي الوليد بن رشد،** وقد إشتهر ابن الورد بعلمه وحفظه، وإتقانه وتفنّنه في العلوم، حتى قيل أنّه "لم يكن بالأندلس مثله"[6] وإليه انتهت رئاسة المذهب المالكي بعد شيخه **ابن رشد**[7]، وإلى **أبي بكر بن العربي** في وقتيها ولم يتقدمهما أحد في الأندلس[8] بعد وفاة **القاضي أبي الوليد بن رشد.** ومن **إشبيلية** انتقل **أبو الحسن علي بن يعيش**[9]

---

[1] ابن الأبار، **المصدر السابق،**ج1، ص 84.

[2] (**ت567ه/1171-1172م**)، **أنظر ترجمته** ، ابن الأبار، **المعجم،** ص 184، وما بعدها.

[3] (**ت579ه/1183م**)، **أنظر ترجمته ،** ابن الأبار، **التكملة،** ج1، ص 155؛ مخلوف، **نفس المصدر السابق،** ص 155.

[4] ابن شكوال، **المصدر السابق،**ج1، ص 83 وما بعدها.

[5] (**ت587ه/1094م**)كان متفنّنا، فصيحا، لسنا، غلب عليه حفظ الحديث والأنباء واللّغة والآداب، وكان عارفا بالتفسير،، **أنظر ترجمته**: ابن شكوال، **نفس المصدر السابق،** ج1، ص 676.

[6] ابن الأبار، **المقتضب** ، ص 94؛ ابن الأبار، **المعجم،** ص ص 31، 32؛ ابن فرحون، **المصدر السابق،** ص 104.

[7] مخلوف، **نفس المصدر السابق،** ص 134.

[8] ابن الخطيب، **الإحاطة،**ج1، ص 17.

[9] التليلي، **المرجع السابق،** ص 232.

وأبو بكر بن محمد عبد ا بن يحي بن فريج بن الجد الفهري[1] إلى **قرطبة،** وتتلمذوا على يد **ابن رشد** وأقرانه.

ومن **أريولة**[2] أخذ عنه أبو **القاسم بن فتحون الأريولي**[3] الذي كان له سماع من أبيه، وأبي الوليد الباجي، وأبي بكر بن العربي، وغيرهم، إلاّ أنّه كان كثير السماع لأبي علي الصدفي، وقد أجازه **أبو الوليد بن رشد** وغيره من فقهاء **قرطبة،** وكان من أهل العلم والمعرفة والأدب والشعر. ومن **بلنسية** رحل **أبو الحسن بن عبد الرحمن الأنصاري**[4] ، المعروف بابن النعمة، إلى **قرطبة،** وأدرك الكثير من علمائها الكبار، فتفقه **بابن رشد وابن الحاج،** وسمع الحديث من **أبي محمد بن عتاب، وأبي الحسن بن مغيث** وغيرهم.

ومن **جيان**[5](Jaen) رحل **أبو عبد ا محمد بن علي بن محمد النفزي**[6] إلى **قرطبة،** فتفقّه على **ابن رشد وابن العواد وأبي عبد ا من الأصبع،** وغيرهم من نظراء **ابن رشد،** ورحل **أبو عبد ا محمد بن عبادة الأنصاري**[7] إلى **قرطبة،** وأخذ عن الكثير من علمائها، وتفقّه **بابن رشد** ونظرائه.**ومن سبتة،** تفقّه به أبي **الفضل عياض بن موسى اليحصبي**[8]. **ومن الإسكندرية،** أخذ عنه **أبو الطاهر السلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم** ، بقية المسندين المعمرين، وخاتمة المحدثين المكثرين، كتب من الإسكندرية إلى علماء قرطبة من بينهم **ابن رشد،** فأجاز له جمعهم[9]

---

[1] المتوفي **586هـ/1190**م ،**أنظر :** ،ابن الخطيب ،**الإحاطة،**ج1، ص 372 وما بعدها.

[2] إحدى مدن **تدمير** **Tudmir** ومعاقل الأندلس وهي مدينة عظيمة كثيرة الخيرات، أبو محمد الرشاطي**: الأندلس في إقتباس الأنوار،** تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثنتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990، ص ص20، 21.

[3]خلف بن محمد بن خلف بن سليمان بتدن خلف المتوفي **5هـ/1162م)،أنظر ترجمته** ،ابن الأبار، **المعجم،** ص 90.

[4]علي بن عبد ا بن خلف بن محمد المتوفي **597هـ/1172م** ،**أنظر** ،الضبي، **المصدر السابق،** تحقيق روجيه عبد الرحمن السويفي، 371؛ اليماني، **المصدر السابق،** ص 220.

[5] تقع شرق **قرطبة،** وهي متصلة بكورة **البيرة،** أنظر: **ابن الخراط الإشبيلي، في إختصار إقتباس الأنوار،** تحقيق إيميليو مولينا وخاثسنو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأحباق العلمية، مدريد 1990، ص 135.

[6] ابن الأبار، **التكملة،**ج1، ص 443.

[7] ابن الأبار، **نفس المصدر،**ج2، ص ص 503، 504.

[8] ابن شكوال، **المصدر السابق،**ج2، ص 430؛ ابن الأبار، **المعجم،** ص ص 301، 302.

[9] ابن الأبار،**نفس المصدر** ، ص ص 55، 57.

وغير هؤلاء العلماء كثير، فلقد رزق **ابن رشد** القبول عند الناس ورضاهم، فجلس إليه خلق كثير للاستفادة من عمله، ولكثرتهم يمكن أن يفردوا في **معجم لأصحاب أبي الوليد بن رشد**، كما فعل **ابن الأبار** عند تخصيص، معجم **لأصحاب أبي علي الصدفي**، وهذه الكثرة من الطلبة ما تدل إلاّ على مكانة وجلال قدر **ابن رشد** بين الخاصة والعامة[1].

علما أنا **ابن رشد** لم يهتم بالمجال العلمي فقط من درس و رواية و تأليف و إنّما اهتم أيضا بما أهم أهل بلاده من عدوان النصارى فكان إلى جانب علماء عصره الذين تزعموا مجتمعاتهم لرد الظلم و الطغيان عنهم الداعين إلى الوحدة و لم شمل المسلمين تحت سلطة واحدة فمن دون شك أنّه قام بدور هام فيما قام به الفقهاء و أهل الرأي للإقناع أمراء الطوائف بطلب المعونة العسكرية من المرابطين كما كان من المباركين لسياسة المرابطين الوحدوية

[1] التليلي، **المرجع السابق**، ص

الفصل الثالث

الأثر السياسي للعلماء بالأندلس

I- أوضاع الأندلس عند قيام دولة المرابطين.

II- المرابطون بالأندلس

مثلت فكرة الوحدة أحد أهم أهداف المرابطين، وما كـان اعتـرافهم بالخلافـة العباسية إلا تغييرا صادقا عن هذا الالتزام والاتجاه، لكنّها في الظرف الحـالي للعـالم الإسلامي من غير الممكن أن تتحقق، ولتجاوز ذلك أعطى العلماء القائمون على الدولة المرابطية هدفا آخر يوحدون به قلوب المسلمين، والمتمثل في الجهاد بمعناه الـشامل، من مدافعة للعدو إلى إقامة الحقّ الذي يساعد، ويهيئ سبل تلك المدافعة.

فلقد قام المرابطون بتوجيه مباشر من العلماء بتوحيد الجزء الغربي من إفريقيا، كونوا به دولة مجاهدة، تنشر العدل بين المسلمين، وتحمي مصالحهم، وتقـوم على الجهاد لإعلاء كلمة ا ، والتي أرجعت الأمل إلى نفوس الكثيرين ممن تـسامحوا بها، من بينهم أهل الأندلس وعلى رأسهم علمائهم الذين لم يجدوا سبيلا لـرد الخطـر المحدق بهم، وإعادة الأمن والاستقرار لبلادهم، غير اللجـوء للمـرابطين، وزعـيمهم "**يوسف بن تاشفين** "[1]. **فما العوامل التي استدعتهم لذلك يا ترى ؟**

I- أوضاع الأندلس عند قيام دولة المرابطيـن :

1- تشتت الوحدة الأندلسية:

كانت الأندلس لهذه الفترة منقسمة إلى قسمين قسم شـمالي، فـي يـد ممالـك النصارى،والمتمثلة في إمارة **برشلونة** (Barcelona) **وأرغون (**Aragon) **وقـشتالة (**Castilla**)، وليون (**Leon) [2]، وقسم جنوبي، وهو **الأندلس الإسلامية**.

وفي الوقت الذي كانت فيه ممالك النصارى، تسعى إلى الإتحاد ، بعد التمـزق والشتات الذي عاشته زمنا طويلا [3]، كانت الأندلس الإسلامية، قـد تمزقـت وحـدتها بسقوط الخلافة الأموية **422هـ/ 1031م** [4] وتفرق أهلها فرقا مختلفة وسيطرة كل فرقة على جهة من جهات الأندلس[5] مكونين مجموعة من الدويلات الصغيرة، بلـغ عـددها

---

[1] بن بية، **المرجع السابق**، ص 130.

[2] يوسف أشياخ، **المرجع السابق**، ج1، ص 68.

[3] ابن عذاري : **المصدر السابق**، تحقيق، ج، س، كولان، وليفي بروفنسال ط1 دار الجيل، بيـروت، 1983، ج3، ص 152؛ العروي عبد ا ، المرجع السابق، ص 122-123.

[4] ابن رشد، **المسائل** ،ج1 ص 22؛ العروي، **نفس المرجع والصفحة**.

[5] المراكشي، **المصدر السابق**، ص 23.

ثلاث وعشرون دويلة، أطلق عليها اسم دويلات الطوائف، أما رؤساؤها فعرفـوا باسم أمراء الطوائف،[1]، وهم ما بين وزير سابق، أو قائد ذي نفوذ أو حاكم لإحدى المدن، أو شيخ قضاء، أو زعيم من ذوي المال والحسب، بسط كلّ سلطانه علـى ما أتيح له من المدن والأراضي، وأخذ يعمل على تدعيم ذلك السلطان وتوسـيعه، وتأسيس الملك لبنيه، من أهم هذه الدويلات [2]، **بنوعباد بإشبيلية** [3]، **بنو جهـور في قرطبة** [4]، **بنو جهـور فـي بطليـوس** [5]، **وبنـو صـمادح** فـي المريـة.[6]

---

[1] الفيومي، **المرجع السابق**، ص 64؛

Mantran (Robert) : **l'Expansion musulman,** VII, XI, 5 édition, Saingerman- Paris, 1995, p 214.

[2] الفيومي، نفسه.

[3] ابن خاقان ، **المصدر السابق** ، ص 4؛المقري ، **نفح الطيب**، ج1، ص 348 وما بعدها؛ ابن الأثيـر، **االمـصدر السابق**، ج8، ص 180 وما بعدها؛ احسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين**، ط1، دار الشروق، عمان، 1997، ص 13.

[4] كان أول الحاكمين منهم ، **جهور بن محمد بن جهور الكلبي** أيام فتنة بني أمية، بإختيار من شعب **قرطبة**، ، ولما توفي خلفه ابنه **أبو الوليد جهور**، فسار على سيرة أبيه إلى أن زالت دولته على يد **بني عباد**، بعد أربعين سنة مـن الحكم، **للمزيد من التفاصيل حول دولة بني جهور في قرطبة أنظر** : ابن خاقان، **مطمـح الأنفـس**، ص 14؛ ابـن الأثير، **المصدر السابق**، ج8، ص 107 وما بعدها؛ المراكشي، المصدر السابق، ص 55؛ لحسان عبـاس، **بحـوث وآراء في الأدب والتاريخ**، ص 379 وما بعدها.

[5] كان يحكمها عقب انهيار الدولة العامرية في بداية القرن الخامس الهجري، أحد الفتيان **الحكم المستنصر** ويسمى **سابور**، وكان يساعده في الحكم وزير يسمى **عبد ا بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الأفطس**، ولما توفي سابور، استغل هذا الأخير فرصة تعرض المملكة لهجمات النصارى، لاستبداد بالحكم وخلع ابني سابور من العرش، وظلّ يحكمها حتى توفي عام **437هـ/1045م** فحلفه في حكمها ابنه **المظفر محمد**، ثم حفيده **المتوكل بن الأفطس** أنظر تفاصيل أكثر : ابن خاقان، **قلائد العقيان**، ص 37؛ ابن الأثير، **نفس المصدر السابق**، ج8، ص 110؛ القلقشندي، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، د.ت، الجزء الأول، ص 353، رجب محمد عبد الحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية**، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مصر- بيروت 1985، ص 368 وما بعدها؛ محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق على زاوي- محمود محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988، ص ص 427-428.

[6] آلت إليهم بعد وفاة **زهير العامري** وأولهم **أبو الأحوص المعتمد معن بن صمادح التجيبي** ، الذي كـان أميـرا حسن السيرة، عادلا،مقيما للحق ، فاقتفى ابنه **محمد** أثره، وزاد عليه اهتمامه بمجالس العلم، فامتد صيته، واشـتهر ذكره، وعظم سلطانه .**أنظر** : ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج8، ص 118؛ المراكشي، **المصدر الـسابق**، ص 56؛ إحسان عباس، **المرجع السابق**، ص ص 392-393.

وبنو هود في سرقسطة [1]، **وبنو ذي النون** في طليطلة [2] **وبنو زيري** في غرناطة. [3]و غيرها من الإمارات وبذلك ذهبت الأندلس إلى " الانشقاق والافتراق إلى حيث لم يذهب إليه الكثير من الأقطار" [4]، أما أمراؤها " فقد جعل ا بينهم مـن التحاسـد والتنـافر والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، والعشائر المتغايرات ".[5]

وقد اقتسم هؤلاء الملوك فيما بينهم ألقاب الخلافة، فمنهم من تـسمى بالمعتمـد ومنهم من تسمى بالمعتمد، وبعضهم تسمى بالمأمون، وآخر بالمستعين إلى غير ذلـك من الألقاب الخلافة [6]، وفي ذلك يقول الشاعر **أبو الحسن بن رشيق**

ومما يزهـدني بأرض أندلـس	**أسمـاء معتمد بـها ومعتضـد**
ألقاب مملكة في غير موضعها	**كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد** [7]

---

[1] كانت تعرف قبل أن تنظم إلى سلك ممالك الطوائف **بولاية الثغر الأعلى** الـذي كـان يـشمل مدينـة **سرقـسطة** وأعمالها، **تيطلة Tudela، وشقة Huesca ببشتر Bobastro**، **ولاردة** Lerida **وإفراغة Fraga، وطركونـة Taragona، وطرطوشة Tartosa**، وكانت جايدي الأمير عبد ا بن محمد بن المنصور بن أبي عامر،ثم بايدي بني تجيب وإثر الفتنة التي تلت اغتيال المنذر بن يحيى التحيبي استولى عليها أيوب بن سليمان بن محمد بـن هـود الجذامي، فأسس بها مملكة بني هود، وكان بنو هود من حماة العلم والأدب ، **أنظر** : ابن الأثير، المصدر الـسابق، ج8، ص ص 110-111؛ المراكشي، المصدر السابق، ص 54؛ حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغـرب والأنـدلس**، دار الرشاد، الطبعة الخامسة، القاهرة 2000، ص ص 422-423.

[2] أصلهم من **قبيلة هوارة** البربرية ظهروا على ساحة الأحداث، منذ أيام **الأمير محمد بن عبد الرحمن الأمـوي** ، وكان جدهم الأعلى **ذي النون بن سليمان** حاكم حصن **إقليش** ، ووالده **إسماعيل** هو الذي انتهـز فرصـة سـقوط الدولة العامرية واستولى على **طليطلة** وأعمالها بدعوة من أهلها، وأعلن اسـتقلاله، وتلقـب بالظـافر منـذ سـنة 427هـ/4036م، وولي بعده ابنه **يحي** الملقب **بالمأمون** ثم حفيده يحي الملقب **بالقادر** . **أنظر** : ابن بسام ، المصدر **السابق**، مج4، ص 89 وما بعدها؛ ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص 110؛ إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلـسي**، ص 12؛ عدنان فائق العنبتاوي، **حكايتنا في الأندلس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1998، ص 99.

[3] نظم إمارتهم، **حابوس بن ماكسن الصنهاجي**، وكون بها جيشا، وعقد بينه وبين الأمراء جيرانه روابط المـودة، ، وكان حبوس حسن السيرة، لا يمد يده إلى أموال الناس فأحبوه، ، ولما توفي ولي بعده ولده **باديس**، فساءت الأحوال على عهده، فعين خلفا له **حفيده عبد ا بن بلقين** صاحب المذكرات. **أنظر** : عبد ا بن بلقين، **التبيـان**، تحقيـق ونشر ايفارست ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1955، ص 18 وما بعدها؛ ابن الأثيـر، **المـصدر السابق**، ج8، ص 113.

[4] ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ص 114.

[5] **نفس المصدر السابق**، ص 224.

[6] المراكشي، **المصدر السابق**، ص 53.

[7] **نفس المرجع والصفحة**.

وبالرغم مما كان يظهر على عصر الطوائف من جوانب حضارية، وما كانـت تتسم به هذه الدويلات من سمة الملك، والاستقلال بشؤونها، فلقد كانت في الواقع تفتقد من الناحية النظامية إلى أبسط مقومات أو عناصر الدولة المستقلة، فلم تكـن تـستطيع الاستقلال بشؤونها السياسية أو العسكرية، وإنّما كانت كما شبهها عبد ا عنّان، أقرب إلى وحدات الإقطاع أو الأسر القوية ذات العصبية، وهذا ما يؤكد أنّه لـم يكـن بهـا حكومات منظمة بالمعنى الصحيح. [1]

أما حكّام هذه الإمارات فكانوا يعيشون حياة لاهية، "همة أحدهم كـاس يـشربها وقينة تسمعه، ولهو يقطع به أيامه" [2]، وهذا الترف والبذخ الذي كانوا يعيشون فيه لـم يحصل لهم إلاّ بعد إثقال كواهل رعاياهم بالضرائب والجبايات[3]، ولم يكن يردعهم فـي ذلك أي رادع لا من الدين ولا من الأخلاق [4]، فلقد نسي هؤلاء الملـوك أن ا حـين منحهم الملك، وبسط لهم الرزق، وأتاهم من حيث لم يحتسبوا كان ذلك مـن أجـل أن يعملوا بتعاليم الدين الصحيح، الذي اؤتمنوا عليه، ونشر العدل بين الناس، ولـم شـمل المسلمين،[5]، إلاّ أنّه وللأسف الشديد لم يكن هم هؤلاء الملوك، إلاّ التنازع على السلطة، والانغماس في الملذات، وإظهار أحقادهم، والاستعانة باليهود والنصارى على حـساب المسلمين. [6]

في المقابل ذلك كانت الكنيسة في روما، تتحرك بقوة بما لاحظته مـن ضـعف المسلمين، فعملت على استجماع قواها، وتوحيد شمل النصارى في أوروبـا وإسـبانيا، للعمل ضد الإسلام والمسلمين [7]، والحقّ كما أورد **ابن الأثير**، "أنّهم مـا طمعـوا فـي

---

[1] عنان، **المرجع السابق**، العصر الثاني، ص 402.

[2] المراكشي، نفس **المصدر السابق**، ص 114.

[3] ابن حزم ، **الرسائل**، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنـشر بيـروت 1967، ج3، ص 173.

[4] التليلي ، **المرجع السابق**، ص ص 27-28.

[5] الشعبي المالقي، **المصدر السابق**، ص 23.

[6] الشعبي، **نفس المصدر والصفحة**. ابن الكرديوس، **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامـة، تحت رقم 2711، القسم الثاني، الورقة 112.

[7] المصري جميل عبد ا ، **الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس**، مجلـة الجامعـة الإسـلامية، (المدينة المنورة 1406هـ، العددان69،70)، ص 173.

الأندلس إلاّ عندما تفرقت، وصارت كل مدينة بيد ملك، فحينئذ طمعوا فـيهم، وأخـذوا كثيرا من ثغورهم" [1]، وأنهكوا قوى المسلمين واستنزفوها، فاتخذت الحرب في الأندلس بذلك وجهة الحرب الصليبية، قبل أن تعلن بصفة رسمية في المشرق، حيث قرر **البابا الإسكندر الثاني** عام 456هـ/1063م، منح مغفرة خاصة لكلّ من يشد الرحال لقتـال المسلمين بالأندلس [2]، [3] فقويت بذلك الممالك النـصرانية، وتوالـت هجماتهـا علـى المسلمين، حتى أصبحت كما قال **المعتمد بن عباد** " عدوا لم تطـرق لـه عين،يقـوى ونضعف، ويتفق ونختلف "، [4] وبدأت الأراضي الأندلسية تسقط واحدة تلوى الأخـرى ورقعتها تصغر وتنكمش، حتى أصبحت الأندلس لهذا العهد يملـك المـسلمون منهـا الثمن، وسبعة أثمان يملكها النصارى . [5]

أمام هذا الوضع السياسي والاجتماعي المتردي، ما كان موقف علماء العـصر كونّهم أئمة الناس، وملاذهم في المحن ؟.

إن الملاحظ وللأسف الشديد أن أغلب حال هؤلاء العلماء كان مثل حال أمرائهم في الابتعاد والتهرب عن تحمل المسؤوليات الملقاة على عاتقهم [6]، حيث كان الفقهـاء لهذا العصر الذي ساد فيه الانحلال والفوضى الاجتماعية والسياسية أكبر سند لأمـراء الطوائف في تبرير طغيانهم، و تصرفاتهم وابتزازهم لأموال الرعية فكـانوا يخـدمون الأمراء والملوك ليحوزوا على النفوذ والمال، ويضعون فتاويهم الفقهية بمـا يتناسـب

---

[1] ابن الأثير،**المصدر السابق**، ج8، ص 479.

[2] المصري ، **نفس المرجع**، ص 174؛ شوقي أبو خليل، **المرجع السابق**، ص 20.

[3] سميت هذه الحروب بالأندلس **بحروب الاسترداد** لأنها كانت تهدف إلى استعادة الأندلس من المـسلمين، وواضـع خططها هو **الملك سانشو أو شانجه الكبير** (Sancho) وقد قويت هذه الحركة على عهد **ابنه فرفانـد والأول** الذي قام بوقائع حربية ناجحة ضد المسلمين، ، وقد تعثرت هذه الحركة بعد موت فرديناند بسبب انقسام دولته بين أبنائه والحرب بينهم، ولكنها قويت من جديد على يد ابنه **ألفونس السادس**، الذي قطع بها أشواطا كبيرة جعلـت الوجـود الإسلامي في الأندلس لأول مرة في تاريخه مهددا بالزوال، **أنظر** : شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الـشمالية**، تعريب محمد مزالي، ج2، ص 111. محمد عبد ا عنان، **دول الطوائف**، ص ص 382-383.

[4] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 47.

[5] **نفسه** ، ص 49.

[6] بن بية، **المرجع السابق**، ص 133.

والسلاطين تأييدا لظلمهم وجورهم باسم الشرع [1] وقد نوه مؤرخ الأندلس **أبو مـروان بن حيان** [2]، بهذا التواطؤ الصارخ والتضامن المخزي بين الملـوك وفقهـاء الـسوء مستنكرا الوضع الذي آلوا إليه في قوله : ولم تزل آفة الناس مند خلقوا في صنفين قلّما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم يصلحون و بفسادهم يردون، ولقد خص ا تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم، بما لا كفاية لـه، ولا مخلـص منـه، فـالأمراء القاسطون قد نكبوا عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة، وجريا إلى الغرفة، والفقهـاء، أئمتهم صموت عنهم، صدق عما أكده ا عليهم من التبيين لهم ...، فما القـول فـي أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها، وهل هي إلاّ مشفية إلاّ على بوارها واستئصالها ". [3]

فضلا عن **ابن حيان** فإن هناك من العلماء من ذوي القلوب الحية، من لم يعجبهم أسلوب ملوك الطوائف، وطريقتهم في العيش، فرفضوا تـولي مناصـب القـضاء أو مناصب أخرى تذمرا من الفوضى السياسية والدينية والأخلاقية، مـستنكرين الوضـع الذي آلوا إليه، رافعين لواء الحقّ، داعين إلى إصلاح الأوضـاع بالوحـدة ومدافعـة العدو. [4] نذكر على رأس هؤلاء العلماء الأجلاء الذين صدعوا بالحقّ وتحملوا تبعاتـه **الفقيه أبو محمد بن حزم الظاهري** [5] الذي تأثر كثيرا لما آلت إليه الأندلس، جراء فساد

---

[1] عنان محمد عبد ا **، المرجع السابق**، ج2، ص ص 420-421؛ الفيومي، **المرجـع الـسابق**، ص 68؛ رجـب محمد عبد، **المرجع السابق**، ص 279.

[2] هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان الشهير جابن حيان، ولد **بقرطبة سنة 377هـ/978م**، وهو أموي بالولاء، من أبرز علماء الأندلس، وهو مؤرخ كبير، من أشهر مؤلفاته **المقتبس في أخبار أهل الأندلس**، الذي يتكون من عشرة أجزاء يتحدث فيه عن تاريخ الأندلس من الفتح حتى عصر ملوك الطوائف وهو الآن منشور في عدة طبعات، أنظر : ابن حيان، **المقتبس في أخبار بلاد الأندلس**، تحقيق عبد الرحمن حجي، بيروت، دار الثقافة 1965، ص 11 وما بعدها؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 254.

[3] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج3، ص 253.

[4] رجب محمد عبد الحليم، **المرجع السابق**، ص 280؛ بن بية، **المرجع السابق**، ص 134.

[5] نسبة إلى **المذهب الظاهري** وهو مذهب يتميز بالقول بأن في أحكام القرآن والحديث وعمومياتها ما يكفـي لبيـان الأحكام وهو يتمسك بظاهر الكتاب والسنة ومن هذا اشتق اسمه، نقل كتب هذا المذهب إلى الأندلس **عبـد ا بـن محمد بن قاسم**، الذي رحل إلى العراق وتتلمذ على شيخ المذهب **سليمان بن داوود القياسي الظاهري**، لكـن هـذا المذهب لم يحظ بالكثير من الأتباع بالأندلس **، أنظر** : أحمد بدر : **دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح**

أمرائها وفقهائها، فكتب في رسالة له تحت عنوان **التلخيص لوجوه التلخيص** يستنكر الوضع قائلا " أما منا سألتهم عنه من أمر هذه الفتنة، وملابسة الناس بها مع ما ظهـر من تربص بعضهم ببعض، فهذا أمر امتحنا فيه، نسأل ا السلامة، وهي فتنـة سـوء أهلكت الأديان إلاّ من وقى ا تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطّاب، وعمدة ذلـك أن كلّ مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه أولها عن آخرهـا محـارب ا تعالى، ورسوله، وساع في الأرض بفساد، للذي ترونه عيانا من شنهم الغارات علـى المسلمين...، ضاربون المكوس والجزية والضريبة على رقاب المـسلمين، مـسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والـضريبة مـن أهـل الإسـلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم ا غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهـيهم، فـلا تخالطوا أنفسكم، ولا يغرنكم الفساق المنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن علـى قلوب السباع، المزيفون لأهل الشر شرهم الناصرون لهم على فسقهم، فالمخاص لنا ان نمسك بالألسنة جملة واحدة، إلاّ من الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، وذم جميعهم، فمن عجز منّا عن ذلك، رجوت أن تكون الفتنة تسعه، وما أدري كيف هذا، فلو اجتمع كلّ منكر هذا بقلبه لما غلبوا صح عن النبي **صلعم** أنه قال : **من رأى مـنكم منكـرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان** ". [1]

ومن هؤلاء العلماء الذين حزنوا لضعف المسلمين بالأندلس أيضا، **الفقيه عمـر بن الحسن الهوزني** [2]، الذي تأثر تأثرا بليغـا بـالهجوم المـسيحي علـى **بربـشتر BARBASTRO سنة 456هـ/1064م** [3]، وتألّم للمذابح والمآسي التـي عـان منهـا

=**من الخلافة**، مطابع ألف باء، للأديب، دمشق 1969، ج1، ص 170؛ حسيلاوي نسيم، **الحياة الفكرية فـي عهـد الدولة الأموية (138-422هـ/756-1031م)**، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 63 وما بعدها.

[1] ابن حزم الظاهري، **المصدر السابق**، ج3، ص 173 .

[2] هو **أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمن الهوزني** نسبة إلى **هوزن**، فقيه جريئ، لا يخشى فـي ا لومـة لائم، وكان نتاج ذلك أن قتله **المعتضد بن عباد** بيده عندما تجرأ ونبهه إلى الخطر الذي يتهدد البلاد نتيجـة خطـأ سياسة ملوك الطوائف، **أنظر ترجمته ونبذ من أخباره** : ابن بسام الشتريني،**المصدر السابق**، مـج2، ص 47 ومـا بعدها؛ ابن بشكوال، الصدر السابق، ج1 ص 381؛ المقري،**المصدر السابق**، ج2، ص 93؛ رجـب محمـد عبـد الحليم، **المرجع السابق**، ص 280؛

[3] هي حادثة وقعت في هده المدينة ، التي تقع بين **لاردة** و **وشقة**على بعد **60 كلم** شرقي مدينة **سرقسطة**، وسـبب الحادثة أن **النورمان** مع بعض **الفرنسيين (أهل غاليش)**، هاجموا مدينة **بربشتر** أيام ملوك الطوائف فجـأة، فقتلـوا

سكانها، فبعث إلى **المعتضد بن عباد** [1] أمير إشبيلة وأقوى زعماء الطوائـف برسـائل حماسية يدعوه فيها إلى تزعم الجهاد ضد النصارى، شارحا له حال المـسلمين التـي تزداد سوءا يوما بعد يوم، حكاما ومحكومين [2]، ومما قاله في هذه الرسائل ما يلي :

أيا أسفا للدين إذ ظل نهبة بأعيننا والمسلمون شهـود [3]

لكن هذا النصح والاستنكار الذي قام به علماء الأندلس لم يجدي نفعا، ولا غيـر وضعا، بل ظلّ ملوك الطوائف في شغل عن عمق الأزمة6

أمام هذا الوضع المتردي، أصبح كل يوم من عهد الطوائف يحمل كارثة علـى الإسلام والمسلمين بالأندلس، إلى أن سقطت **طليطلـة**، بيد النصارى وزعيمهم ألفونس السادس [4]، **في السابع والعشرين من محرم سنة 478هـ الموافـق لـ 25 مـاي**

=ونهبوا وهتكوا أعراض المسلمين، ويقال أن **البابا الإسكندر الثاني** هو الذي وجههم لذلك، وقد قام **المقتدر بن هود** صاحب **سرقسطة** بإنقاذ المدينة في السنة الموالية. **أنظر تفاصيل هذه الواقعة** : البكري أبو عبيد : **جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرحمن حجي، الطبعة الأولـى، دار الرشـاد للطباعـة والنـشر والتوزيع، بيروت 1968/1387، ص 95 وما بعدها؛ ابن عذاري، **البيان**، ج3، ص ص 225-226؛ الحميـري، **الروض المعطار**، ص ص 90-91.

[1] ثاني أمراء **بني عباد** في **إشبلية**، تولى الحكم بعد أبيه **أبو القاسم بن عباد**، **سنة 433هـ/1042م** واسـتمر فـي الحكم حتى **سنة 461هـ/1073م** وقد قام خلال فترة حكمه هذه بأعمال شنيعة تتجاوز حدود القسوة ، وبلغت لذتـه في شن الحروب، وتوسيع المملكة إلى درجة إزالة من يقدر عليه من ملوك الطوائف، **أنظر أخباره** : ابن الخطيب : **المصدر السابق**، ص 155 وما بعدها؛ ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج8، ص ص 108-109.

[2] ابن بسام، **المصدر السابق**، مج2، ص ص 47-48. بن بية، **المرجع السابق**، ص 135.

[3] ابن بسام، **نفس المصدر**، ص 54.

[4] هو ملك **قشتالة وليون**، حكم ما بين سنتي **1015، م1109م** بعد وفاة والـده **(1035-1065م)**، وكـان زعـيم الممالك النصرانية حين قدم المرابطون إلى شبه الجزيرة الأندلسية، و من أشهر قواده، **رودريجو ديـاز دي بيفـار Rodrigo Diaz de bivar، المعروف باسم السيد القمبياضور** (**El Cid Campeador**)، الـذي كـان مـن المغامرين المؤجرين سيوفهم تارة للمسيحيين وتارة للمسلمين، وقد مات ألفونسو بعد أن جاوز الثمانين من عمـره، وحكم دام 44 عاما، غما وألما بعد هزيمة جيوشه في موقعة **إقليش (Ucles)** في **29 ماي 1108**، أمام المـرابطين **بقيادة يحي بن غانية**، وفيها مات ولده ووارثه الوحيد **سانشو** الذي أرسله على رأس جيوشه بإشارة مـن زوجتـه المسلمة المنتصرة **زائدة**، أنظر : السلاوي، المصدر السابق، ج2، الهامش رقم 57، ص 201. ليفي بروفنـسال. إ، **المصدر السابق**، ص 155 وما بعدها.

1085م [1]، ولما كان سقوط هذه الأخيرة السبب المباشر لتدخّل المرابطين بالأنـدلس، فمن المهم أن نوضح كيف سقطت هذه القاعدة من قواعد الإسـلام، وموقـف أمـراء الطوائف وعلمائهم من ذلك.

فلقد كانت **طليطلة** من أكبر المدن الأندلسية وأحصنها [2]، حكمهـا مـن أمـراء الطوائف **بنو ذي النون**[3]، وكان أشهرهم **المأمون بن ذي النون** [4] الذي بلغت في عهده ذروة مجدها، ولما توفي المأمون، خلفه حفيده يحي الملقب بالقادر [5]، الذي كان شـابا فتيا قليل الخبرة، فكانت أولى أعماله قتل وزير جده ومستشاره، والقائم علـى شـؤونه المالية **أبو بكر بن الحديدي** [6] هذا الأخير الذي كان محببا من طـرف العامـة، لـذلك ثارت لما سمعت خبر موته وتفرقت وانقسمت فرقا متصارعة، يتـربص كـل منهـا الآخر[7]، زيادة على هذه الفوضى فلقد كانت العلاقات بين **القادر بن ذي النون** وأميـر **سرقسطة** لا تبعث إلى الاطمئنان [8]، وأمام هذه المشاكل الخانقة سعى القـادر بـن ذي النون إلى **ألفونس السادس** [9] ، يلتمس مساعدته وحمايته فاستجاب ألفونس لذلك مقابل

---

[1] الحميري، **صفة جزيرة الأندلس** ، ترجمة إيفارست ليفي بروفنسال، معهد التاريخ للعلـوم العربيـة الإسـلامية، جامعة فرونكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية 1414هـ/1993م، المجلـد 150، ص 135. الزهـري : **كتـاب الجغرافيا**، تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ص 84،

[2] الحميري، **نفس المصدر**، مج 150، ص 130.

[3] ابن بسام، **المصدر السابق**، مج4، ص 89؛ ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ص 176.

[4] من أشهر ملوك **طليطلة** تولى حكمها ما بين سنة **435-467هـ/1043**-1074م، أنظر : **ترجمتـه ونبـذ مـن أخباره**، ابن الخطيب : المصدر السابق، ص ص 177-178؛ رجب محمد عبد الحليم، المرجع الـسابق، ص 274 وما بعدها؛ أشباخ، المرجع السابق، ج1، ص 61.

[5] تولى الحكم بعد وفاة جده المأمون سنـة **467هـ/1074م**، وصـفته المـصادر بـضعف الإرادة والخـضوع والاستسلام، فطمع في بلاده ملوك الطوائف الأقوياء، فنشبت من حوله الفتنة حتى لجأ إلى **ألفـونس ملـك قـشتالة** يستعين به على إرجاعه إلى مملكته، فأعاده على ذلك مقابل دفع الجزية، **أنظر أخبـاره** : ابـن بـسام : **االمـصدر السابق**، مج4، ص 93 وما بعدها؛ ابن الخطيب، **المصدرالسابق**، ص 179.

[6] **توفي468ه /1076م، انظر ترجمته** :ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج1، ص 348؛ ابن بسام، **المصدر الـسابق**، مج4، ص 94 وما بعدها.

[7] ابن بسام،**نفسه**، ص 96؛ ابن الخطيب ،**المصدر السابق** ص 179.

[8] عبد الحكيم العفيفي، **موسوعة ألف حدث تاريخي**، ط1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص 186.

[9] ابن الكردبوس، **المصدرالسابق**، ق2، الورقة 112.

الجزية والتنازل عن بعض حصون المسلمين ومن هنا بدا يفكر جـديا فـي احـتلال **طليطلة**، وفعلا كان ذلك، حيث عمل على إنهاك قوتهـا، وإضـعاف مواردهـا قبـل إحتلالها [1]، وذلك بشن الغارات عليها سواء كان ذلك بسبب أو غير سبب، و دامت تلك الغارات أربع سنوات [2]، عاث في بسائطها، وخرب زروعها وأقواتها واستولى خلالها على الكثير من أماكنها الحصينة [3]، **فما كان موقف أمراء الطوائف من تلك الغـارات على طليطلة ؟.**

لقد كان موقفهم بين عاجز عن صد هجمات العدو كما هو حال **المتوكـل بـن الأفطس** [4]، أمير **بطليوس**، الذي قدم كلّ ما في وسعه للمساعدة [5]، وبين خائن مـوال لألفونس كحال **المعتمد بن عباد** [6] صاحب **إشبيلية**، الذي عقد معاهدة مع **ألفونس** تعهد بموجبها بدفع الجزية له وبعدم تدخّله أثناء احتلاله **لطليطلة**، وفي المقابل تعهد ألفونسو بتقديم العون العسكري للمعتمد بن عباد ضد أعوانه من ملوك الطوائف. [7]

---

[1] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 101.

[2] عبد ا بن بلقين، **نفس المصدر السابق.**

[3] أشباخ يوسف، **المرجع السابق**، ج1، ص 63؛ شوقي أبو خليل، **المرجع السابق**، ص 18.

[4] ثالث حكام بني الأفطس **ببطليوس** حكم ما بين **464هـ -1076م/484هـ -1091م**، من أشهر ملوك الطوائف، إشتهر بأدبه وعلمه وشعره، وبلاطه الزاهر، وكانت مدينة **بطليوس** في فترة حكمه دار أدب، وشعر وعلم ونحـو وفي بلاطه عاش الشاعر والكاتب **أبو محمد عبد المجيد بن عبدون** صاحب المرثية الرائعة التي رثى فيهـا بنـي الأفطس. أنظر ترجمته: ابن خاقان، **قلائد العقيان**، ص 37؛ الذهبي، **المصدر السابق**، ج14، ص 197؛ مـروان سليم أبو حويج، **المرجع السابق**، ص 320.

[5] المصري جميل عبد ا ، **المرجع السابق**، ص 177.

[6] هو **أبو القاسم محمد بن المعتضد أبي عمروا عباد بن أبي القاسم محمد بن عبـاد**، ولـد بمدينـة **باجـة** سـنة **461هـ/1058م** وخلع سنة **484هـ/1091م**، كان من أعلام الشعر البارزين في عصره وكان بلاطه مدرسة تخرج فيها أهل الأدب نذكر منهم **أبا بكر بن لبانة** ه، نفاه المرابطون إلى **أغمات** وسجن بها إلى أن توفي في 11 شـوال **من سنة 488هـ، أواخر أكتوبر 1095م** .

للمزيد من التفاصيل أنظر ترجمته : الفتح بن خاقان، **قلائد العقيان**، ص 4 وما بعدها؛ الفتح بـن خاقـان، **مطمـح الأنفس**، ص 10؛ ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ص 157 وما بعدها؛ **الذهبي، المصدر السابق**، ج14، ص 114 وما بعدها؛ ابن عماد الحنبلي، **المصدر السابق**، مج2، ص 386.

[7] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 71؛ جميل عبد ا المصري، **المرجع السابق**، ص 176.

بعد ذلك زحف ألفونس على **طليطلة** بجيش كبير، وضرب عليها حصارا أنهـك قواها إلى أن استسلمت له بعد بأسها من نجدة المسلمين لها [1]، وكان ذلك في محرم من سنة، **478هـ/1085** [2]، فاتخذ منها ألفونس عاصمة لمملكته، وحـول جامعهـا إلـى كنيسة. [3]

هكذا سقطت هذه الحاضرة من حواضر الأندلس، وخرجت من قبضة الإسـلام، بعد أن حكمها أربعة قرون من الزمن، وأصبحت تابعة لمملكة **قشتالة**، وأصبح قصرها منزلا للبلاط القشتالي، وجاء سقوطها على هذا النحو ضربة عنيفة للأندلس وسلامتها، نظرا لموقعها المتوسط في شبه الجزيرة، والذي تستطيع منـه أن تهـدد جميـع دول الطوائف، وبذلك انقلب ميزان القوى وأصبح تفوق النصرانية أمرا لا يشك فيه [4]، ومن هنا بدأ ناقوس الخطر يدق وينذر ملوك الإسلام بالأندلس بـسوء المـصير، فأحـسوا بضعفهم، وتنبهوا إلى نهايتهم بل نهاية دولة الإسلام بالأندلس [5]، وكيف لا يصلون إلى هذا الوضع وقد دّل على حد تعبير **ابن الكردبوس** : " الرئيس والمرؤوس، وافتقـرت الرعية، وفسدت أحوال الجميع بالكلية، وزالت من النفوس الأنفة الإسـلامية " [6] وقـد أدرك كثيرون هذه الحقيقة، من بينهم **عبد ا بن فرج المعروف بابن العسال** الذي عبر أصدق تعبير عن مخاوف المسلمين في قوله :

يأهل الأندلـس حثوا مطيكـم	**فـما المقام بها لا من الغلـط**
الثوب ينسل من أطرافه وأرى	**ثوب الجزيرة منسولا من الوسط**
ونحن بيـن عـدو لا يفارقنا	**كيـف الحياة مع الحياة في سفط** [7]

---

[1] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 220.

[2] الحميري،**المصدر السابق**، مج 150، ص 135. المقري، **المصدر السابق**، مج4، ص 352؛ ابن عماد الحنبلـي، **نفس المصدر السابق**، المجلد الثاني، ص 357؛ ليفي بروفنسال، **المرجع السابق**، ص 146.

[3] ابن بسام، **المصدر السابق**، مج4، ص ص 103-104.

[4] رجب محمد عبد الحليم، **المرجع السابق**، ص 382.

[5] عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، ج2، ص 718.

[6] ابن الكرديوس، **المصدر السابق**، الورقة 112.

[7] المقري، **المصدر السابق**، مج4، ص 352؛

وبذلك تسلل اليأس إلى نفوس المسلمين، وأدرك ملوك الطوائف ضعفهم، وأن النصارى لا يفرقون بينهم في المعاملة، بل ظلوا ينظرون إلى المسلمين دوما نظرة عداء وحقد دفين لكن لم يكن بيدهم أي حلّ لهذا الوضع، وهذا ما جعل صلحاء الجزيرة الأندلسية " العلماء " يفكرون في مخرج جدي لهذا الوضع المنذر بالزوال فتنادوا للقاء، ودعوا للوحدة استجابة للرأي العام [1]. **فما الدور الذي لعبه العلماء في الدعوة إلى الوحدة بالأندلس ؟ وهل كان لابن رشد الجد دورا بارزا في ذلك ؟**

2- دور العلماء في الدعوة إلى الوحدة.

لقد ظل العالم المسلم خلال جميع عهود التاريخ الإسلامي يلعب دوره على أكمل وجه ويفرض احترامه على الجميع سواء كان على العامة أو على الحاكم المسلم، الذي ظلّ يلازمه، ويراقبه محاولا إرشاده إلى جادة السبيل وإلى ما فيه رفعة بالإسلام والمسلمين، فمند سقوط الدولة العامرية بالأندلس، وتفرقها إلى طوائف متناحرة، تصاعدت أصوات العلماء من كلّ صوب ونحو داعية إلى لم شمل المسلمين بالوحدة وجهاد العدو، إدراكا منهم للخطر الذي يتهدد المسلمين بحكم مجاورتهم للنصارى [2]، وكان من أبرز العلماء الذين قاموا بجهود في هذا المجال **أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ،** الذي تجول في الأندلس داعيا إلى الوحدة، ووجه النقد اللاذع لملوك الطوائف، وبين استهتارهم وقلّة مسؤولياتهم [3] -مما سبق ذكره- وما أورثوا الأمة من وهن وانحدار، داعيا إلى الجهاد.

وأبو عمر يوسف بن عبد البر النمري [4] شيخ علماء الأندلس واكبر رجالها في الحديث وأحفظ من كان بالأندلس للسنّة المأثورة ، قضى شطرا من حياته **بقرطب**ة، ثم رحل إلى غرب الأندلس ثم إلى شرقها، فتردد بين **دانية وبلنسية وشاطبة** وولي

---

[1] التليلي، **المرجع السابق**، ص ص 31-32؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 266.

[2] المصري، **المرجع السابق**، ص 178.

[3] محمد عبد الله عنّان، **المرجع السابق**، ع2، ص ص 420-423؛ التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص ص 28-29.

[4] المالقي، **المصدر السابق**، ص ص 34-35؛ ابن خلكان، **المصدر السابق**، ج7، ص 66 وما بعدها، محمد الشريف القاهر، **ابن عبد البر، (368-463هـ/978-1070م)، معجم مشاهير المغاربة**، ص 337 وما بعدها؛

قضاء **أشبونة** [1] **وشنترين** [2] في فترة حكم **المظفرين الأفطس** [3] وكان خلال تنقلّه بين هذه المدن يدعوا إلى نبذ التفرق ولم شمل المسلمين بالوحدة [4] **وأبو مروان جبان بـن خاف الأمـوي** [5]، -السابق الذكر- الذي علّق على أوضاع الأندلس وبشكل خاص على نكبة **بربشتر** التي علل أسبابها، وأرجع اللوم على الناس والحكّام بما ارتكبوا من حـقّ ا من ذنوب إهمالهم، وتقصيرهم في الأخذ بالشريعة، وتهاونهم في تنفيذ أوامرها مما أضعفهم وجرهم إلى الشتات والتفرق فهم على حد تعبيره " قـد أركـستهم الـذنوب، ووصمتهم الجيوب، فليسوا في سبيل الرشد بأتقياء، ولا معاني الغي بأقوياء، نشأ مـن الناس هامل، يعللون نفوسهم من أول الدلائل على فرط جهلهم بـشأنهم، واعتـزازهم بزمانهم على النظر في عاقبة أمرهم، وغفلتهم عن سد ثغرهم..." **فابن حيان** عاش فترة طويلة من عهد الطوائف، ولمس أوضاع أمراء السوء كما يسميهم الذين انحرفوا عـن مبادئ الإسلام، فراح يلوم على الناس ركونهم إلى أمثال هؤلاء الأمراء. [6]

ومن العلماء ذوي الضمائر الحية الذين كانوا على رأس الدعاة إلـى إصـلاح الأوضاع بالوحدة **أبو الوليد سليمان بن خاف البـاجي، التيجيبـي القرطبـي،** إمـام الأندلس لعصره كما وصفه **ابن خاقان** ، والذي كانت له الرحلة إلى المشرق دامت مدة طويلة، استغرقت ثلاثة عشر عاما، عرج فيها على كلّ من **الحجازو بغداد، والموصل**

---

[1] بالاسبانية **LISBOA**، تقع على شمال نهر **تاجة**، وغرب المحيط الأطلسي، ذكر **الإدريسي**، أنـه مـن هـذه المدينة، كان خروج المغررين "المكتشفين" لاكتشاف نهاية بحر الظلمات او المحيط الأطلسي، أنظـر : اليعقـوبي، **المصدر السابق**، ص 110؛ الإدريسي، **المصدر السابق**، مج2، ص 77 وما بعدها.

[2] **بالإسبانية SANTAREN**، هي مدينة تابعة **لكورة باجة** ، تبعد عن **أشبونة** ثمانون ميلا، كما تبعد عن مدينـة **بطليوس** بأربعة مراحل، أنظر : الرشاطي، **المصدر السابق**، ص 88؛ الإدريسي، **نفس المـصدر الـسابق**، ص 539 وما بعدها.

[3] حكم ما بين **437-هـ1042/461-1068م**،كان من اهل العلم و الشجاعة و الرأي ، له تأليف كبيـر فـي الآداب اسمه " **عيون الأخبار** " والمعروف باسم المظفري نسبة إلى اسمه وله أيضا تفسير للقرآن.

أنظر ترجمته وأخباره : الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص ص 95-96؛ ابن الخطيب، **المـصدر الـسابق**، ص 181-184؛ إسماعيل باشا البغدادي، **المصدر السابق**، مج2، ص 72.

[4] ابن خلكان، **المصدر السابق**، ج7، ص 66 وما بعدها؛ جميل عبد ا محمد المـصري، **المرجـع الـسابق**، ص 179.

[5] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج3، ص 254.

[6] المصري، **المرجع السابق**، ص 179.

ودمشق، مغترفا فيها من أصناف العلوم، متفننا في اقتنائها إلى أن عـاد إلـى وطنـه موسوعة علمية ضخمة [1]، فولي قضاء أماكن متعددة،، وقد دعا العلامة **الحـافظ أبـو الوليد** إلى الوحدة من تلقاء نفسه أولا، ثم نشط أكثر بعد **حادثة بربشتر،** التـي نبهـت المسلمين إلى الخطر الذي يتهددهم، وقد دعمه في ذلـك وشـده أزره **المتوكـل بـن الأفطس،** إذ كلّفه بالتوجه إلى الجهاد، فاتخذت بذلك دعوته طريقها الرسـمي[2]، فرفـع على حد تعبير **ابن بسام** –صوته بالاحتساب، ومشى بين ملوك أهل الجزيرة، يـدعو إلى الألفة، ، فكان كلّما وفد على أمير من أمراء الطوائف لقيه بالترحيب، وأجزل لـه العطاء ،وهم في الباطن يستنكرون ما جاء به ولم يكن يعلم رحمه ا بأمورهم، ولا بما يدبرونه، لكنّه كان يرجو أن ينصتوا إليه ويستوعبوا ما جاء من اجلـه [3] غيـر أن **الباجي** توفي أثناء قيامه بهذا الواجب سفيرا بين أمراء الطوائف يؤلفهم علـى نـصرة الإسلام. [4]

وأمثال هؤلاء العلماء كثيرون، ممن عايشوا الأحداث، وسعوا جاهدين أن تغيـر الأوضاع، من بينهم الفتية **أبو الوليد بن رشد الجد،** الذي دعا كغيره من العلماء إلـى الوحدة ونبذ التفرق [5]، بالرغم من أنّه لم يقم بنشاط واسع، ولم تكن له مواقف بارزة في هذه الفترة بالذات، إذ نجده صامتا أواخر هذا العهـد علـى خـلاف فتـرة اسـتقرار المرابطين بالأندلس التي برز فيها على رأس علماء عصره، أو قل أكبر سلطة علميـة بالأندلس –مما سيأتي توضيحه في الفصل الرابع- لعلّه في ذلك الصمت كان يـستعيد مرارة اليأس من المحاولة التي قام بها كبراء الفقهاء قبله في إصلاح أحوال الأنـدلس والتقريب بين ملوكها. [6]

---

[1] ابن خاقان ،**القلائد ص** ص196- 197 ؛ ابن الخراط ،**المصدر السابق** ،ص107 وما بعدها؛ابن عماد الحنبلي ، **المصدر السابق** ،مج2 ص344 وما بعدها .

[2] ابن بسام، نفسه؛ المصري، **المرجع السابق**، ص 179.

[3] ابن بسام، **المصدر السابق** مج2. ص ص55-56.

[4] عياض ، **المصدر السابق**، تحقيق، مج2، ص 351.

[5] المصري، **المرجع السابق**، ص 180.

[6] ابن رشد، **المسائل**، ج1، ص ص 30-31.

3- دورهم في الاستنجاد بالمرابطين:

إن مسعى هؤلاء العلماء في توحيد أمراء الطوائف لمجابهة الخطر المـسيحي، ونبذ الفرقة بينهم لم يكلل بالنجاح وباء بالفشل، وهذا ما يجعلهم يفكـرون جـديا فـي الاستنجاد بالمسلمين من أهل المغرب "**المـرابطين**" [1] خاصة وأن وفود أهل الأندلس، يتقدمهم فقهاؤهم قد بدأت تفر على **يوسف بن تاشفين**، قبل سقوط **طليطلة**، يشكون إليه ما حلّ بهم من عدوان النصارى، فطلبوا إليه النجدة والعون، فوعدهم بتحقيق أمنيتهم [2]، كما كاتبه **أمير بطليوس المتوكل بن الأفطس** حين كلب العدو على بلاده [3] وتوالت إليه الرسل أكثر خاصة بعد افتتاحه **سبتة** [4]، ناشدين ا والإسلام مستنجدين بفقهاء بلاطه، ووزراء دولته، للحثّ على إنقاذهم مما هم فيه، وما يقتضيه واجبـه الإسـلامي نحـو إخوانه المسلمين بالأندلس، فكان يصغي لقولهم، وترق نفسه لهم[5]، ويتأزم الوضع أكثر، وتواصل تهديدات **ألفونس السادس**، أصبح من الضروري إيجاد حلّ سريع لأنقـاض الأندلس من المد المسيحي المتزايد [6]، فعقد إجماع **في قرطبة** حضره جماعة من الفقهاء والعلماء، لمناقشة أحوال الأندلس وما وصلت إليه من ضعف وتخاذل [7]، وقد شـارك **ابن رشد الجد** في هذا المؤتمر غير متميز عن فقهاء **قرطبة**، وقام بدور هام فيما قام به الفقهاء وأهل الرأي لإقناع أمراء الطوائف بطلب المعونة العسكرية [8]، وبعد التـشاور، اقترح البعض المشاركين الاستنجاد **بعرب إفريقيا الهلاليين** [9]، إلاّ أن **قاضـي قرطبـة**

---

[1] بن بية، **المرجع السابق**، ص 140؛ حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ج1، مـج2، ص 31؛ العـروي ، **المرجـع السابق**، ص 124.

[2] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 33؛ عنّان، **دول الطوائف**، ص ص 312-315.

[3] مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق**، ص 33 وما بعدها.

[4] ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص 186.

[5] الحميري، **الروض المعطار**، ص 288؛ مؤلف مجهول، **نفس المصدرالسابق**، ص 33؛ حـسن أحمـد محمـود، **المرجع السابق**، ص 229؛ سعدون عباس نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 72.

[6] المصري، **المرجع السابق**، ص 182.

[7] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 231.

[8] ابن رشد، **المسائل**،ج1، ص ص 30-31.

[9] يعود نسبهم إلى **هلال بن صعصعة** وأبناء عمومتهم **بنو سليم بن منصور بن غيلان بن مضر** ، زحفوا نحو المغرب سنة **440هـ/1052م** بإيعاز من الوزير الفاطمي **اليازوري** للانتقام **من المعز بن باديس الصنهاجي** الذي خرج عـن

عبد ا بن محمد بن أدهم رفض هذا الاقتراح مخافة تخـريبهم الـبلاد كمـا فعلـوا **بإفريقيا**، وعرض عليهم اقتراحا آخر والمتمثل في الاستنجاد بالمرابطين الذين حملـوا لواء الجهاد في سبيل ا ، فوافق الجميع على هذا الاقتراح، واستصوبوه.[1]

إن هذا الاجتماع الذي عقد في قرطبة بزعامة العلماء والفقهاء، يجلـي تمامـا فقدان العلماء الثقة بملوكهم في الوقت الذي بين مدى استعدادهم لتحمـل مـسؤولياتهم التاريخية، في المحافظة على بقاء الأندلس إسلامية، ممارسين في ذلك سلطتهم العلمية، إذ اتخذوا قرار الاستنجاد بالمرابطي متجاوزين ملوكهم الذين حجزوا عن إيجـاد حـلّ سريع للمشكلة .[2]

ويبدو أن قرار هذا الاجتماع قد وصل إلى **المعتمد بن عبـاد** أميـر **إشـبيلية**، وكانت **قرطبة** تابعة له[3]، فقدم إليها، وقابل قاضيها **عبد ا بن الأدهم**، الـذي أعلمـه بأمر الاجتماع وما دار فيه، فاستصوبه ووافق عليه، وعلى ما توصل إليه العلماء مـن قرارات[4] ويبدو أن هذا الحلّ الذي وصل إليه **المعتمد بن عباد** قد توصل إليه معظـم أمراء الطوائف[5] إلاّ أن المعتمد كان أول من بادر منهم لهذه الخطوة، ثم دعا غيره من

=طاعة الخليفة الفاطمي ، فقاموا بالعبث في أرض **المغرب** وتخريبها . **أنظر** :المراكشي ، **المصدر الـسابق** ، ص 157و ما بعدها ؛حمادي الساحلي ،**فصول في التاريخ والحضارة** ، ط1، دار الكتـب العلميـة ،بيـروت 1998م ؛حسين مؤنس ،**معالم تاريخ المغرب و الأندلس** ، ط5 ، دار الرشاد ،القاهرة 2000م، ص166وم بعدها .

[1] ابن الأثير، **المصدر السابق**،ج 3،ص446 ؛حسن أحمد محمود ،**نفس المرجع السابق** ،ص 231.

[2] بن بية، **المرجع السابق**، ص ص 141-142.

[3] نفس المرجع والصفحة.

[4] ابن الأثير، **نفس المصدر السابق**، ج8، ص 141.

[5] هناك من أمراء الطوائف من عارض فكرة استقدام المرابطين إلى الأندلس، من بينهم **عبد ا بن سـكوت** والـي **مالقة**، الذي حذّر ملوك الطوائف من استقدام المرابطين خوفا من استثارهم بالأندلس وخيراتها، و **أبو الحسن عبيـد ا** ، الذي حذّر والده من مغبة استقدام المرابطين قائلا له : " **يا أبت أتدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا، ويبدد شملنا** " إلاّ أن المعتمد بن عباد كان مدركا أبعاد القضية **فأجابه بما يلي : أي بني وا لا يسمع عنّـي أبـدا أنـي أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى، فتقوم علي اللّعنة على منابر الإسلام مثلما قامت علـى غيـري** " **وقال قولته التي سارت مثلا " لرعي الجمال بأراضي إفريقيا خير من رعي الخنازير بأراضي قـشتالة " أنظـر** : مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 28؛ عباس سعدون نصر ا ، المرجع السابق، ص ص 28-29؛ المـصري، **المرجع السابق**، ص 183.

أمراء الطوائف [1]، حيث اتصل **بالمتوكل بن الأفطس** صاحب **بطيليوس، وعبد ا بن بلقين** [2] صاحب **غرناطة** وطلب أن يرسل كلّ منهما قاضي حضرته لتشكيل بعثة تذهب إلى المغرب لمقابلة **يوسف بن تاشفين** [3]، واستحضر **قاضي قرطبة ابن الأدهم** الـذي كان أعقل أهل زمانه [4]، وعلى هذا النحو تشكلت البعثة الرسمية إلى **الأمير يوسف بن تاشفين**، وأضاف إليهم **المعتمد بن عباد، وزيره أبا بكر بن زيـدون** [5]، ثم أطلعهم أنهم رسله إلى الأمير يوسف، وطلب من القضاة نصح الأمير وترغيبه في الجهـاد وإلـى وزيره **ابن زيدون** بإبرام العقود، وحملت البعثة معها رسالة مكتوبة إلى الأمير يوسف بن تاشفين مؤرخة عام **479هـ/1086م.** [6]

ولما وصل الوفد إلى **مراكش** عرضت القضية على **يوسف بن تاشفين**، لكنّه لم يفصل فيها إلاّ بعد أن عرضها على مجلس شوراه المتكون مـن الفقهـاء والأعيـان والقادة [7]، أين أشار عليه **عبد الرحمن بن أبسط الأندلـسي** [8] أن يطلـب مـن أميـر **إشبيلية، المعتمد بن عباد**، تسليمه **الجزيرة الخضراء**، [9] حتى يملك موقعا آمنا، يبقـى

---

[1] عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 69.

[2] الملّقب **بالناصر لدين ا** ، حكم بعد جده **الحاجب المظفر با** م بين سنة **465هـ-483هـ/1073-1090م**، كان شاعرا من اهل المعرفة بالأدب. **أنظر ترجمته.** ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 17 وما بعدها؛ ابن الأثير،**المصدر السابق،** ج8، ص 113؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص 331 .

[3] الحميري**، المصدر السابق**، ص 288.

[4] نفس المصدرو الصفحة .

[5] احد شعراء الاندلس الكباروأدبائها البارعين، الملقب **بذو الوزارتين**،أي وزارة السيف ووزارة القلم، كان يعمل في بلاط **بني جهوربقرطبة** ثم التحق **بالمعتضد أمير اشبيليةو** هو الدي لقبه بدلك اللقب،**انظـر**:المراكـشي، **المـصدر السابق،** ص 75 وما بعدها.

[6] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص ص 28-29؛ عباس سعدون نصر ا **، المرجع السابق**، ص 70.

[7] مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق**، ص 49؛ عباس سعدون نصر ا **،نفس المرجع السابق**، ص 72.

[8] من الأعلام الذين استكتبهم **يوسف بن تاشفين** وكان قبل ذلك يشتغل في **ديوان بني صمادح** في **المرية**، ثم عبـر **سنة 472هـ/1080-1097م** إلى المغرب، وقد لعب دورا هاما في تدخل يوسف بالأندلس، **، أنظر ترجمته** : ابن الخطيب، **الإحاطة**، ط1، ج4،523.

ص 523 وما بعدها؛ السلاوي ، المصدر السابق، ج2، ص 115 رقم الهامش 203.

[9] بالإسبانية **Algeciras** **ويقال لها بـ أم حكيم،** وهي جارية طارق بن زياد، كان قد حملها معـه، فخلّفهـا بهـذه الجزيرة، فنسبت إليها، وهي مدينة حصينة، أول ما أفتتح من مدن الأندلس في صدر الإسلام على يد **موسـى بـن**

منه على اتصال دائم بإفريقيا، لأن معظم أراضي الجزيرة الأندلسية بيـد النـصارى، والأندلس ذات ارض وعرة، وتعترضها جبال صعبة المسالك يصعب على الداخلين إليه الخروج منه، فوافق **المعتمد بن عباد** على ذلك. [1]

هكذا بدأت الاستعدادات للعبور إلى الأندلس مـن أجـل القـضاء علـى المـد المسيحي بها [2]، وهذا ما كان فعلا على يد المرابطين في واقعة تعد من أعظم المواقـع في الإسلام ألا وهي موقعة الزلاقة. [3]

II- المرابطون بالأندلس:

1- دور العلماء في موقعة الزلاقـة :

إن واجب الجهاد ونصرة المسلمين حتّم على **يوسف بن تاشفين** قبول عـرض ملـوك الطوائف [4]، امتثالا لقوله **صلعم**: " **أنصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل يا رسـول ا أنصره مظلوما أرأيت إن كان ظالما فكيف أنصره، قال : تحجزه أو تمنعـه عـن الظلم، فإن ذلك نصره ".** [5] فالدفاع عن الإسلام والجهاد في سبيل إعلاء كلمة ا فرض واجب على كل مسلم، ومن ثم كان جواز أمير المسلمين **يوسـف بـن تاشـفين** إلـى الأندلس **سنة 479هـ/1087م** [6]، هذا الجواز الذي فرح له العلماء كثيـرا واعتبـروه

نصير، وطارق بن زياد، لأنها اقرب مدن الأندلس الى المغرب **أنظر** : الإدريسي، **المصدر الـسابق**، مـج2، ص 539؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**،مج150، ص 73.

[1] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 49؛ المصري، **المرجع السابق**، ص 182؛ عبد العزيـز سـالم، **المرجـع السابق،** ج2، ص 721.

[2] مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق**، ص ص 49-50.

[3] تسمي الرواية الإسلامية هذا السهل الذي جرت به هذه الواقعة **سهل الزلاقة**، ويعـرف بالإسـبانية تحـت اسـم **Sagrajas أو Sacralias**، وهو اسم لسهل يقع شمال شرقي مدينة بطيليوس على مقربة من الحـدود البرتغاليـة الحالية. أنظر: الحميري، **الروض المعطار**، 287 وما بعدها؛ الحموي، **المصدر السابق**، مج3، ص 146، السلاوي، المصدر السابق،ج2، الهامش رقم81 ،ص214.

[4] ابن الخطيب، **اعمال الاعلام**، ص 245.

[5] المالقي، **الصدر السابق**، ص 25.

[6] نفس المصدرو الصفحة.

نصرا في حد ذاته [1]، فقاموا من أجل ذلك بالطواف على المدن الأندلسية يدعون الناس، ويعملون على توحيد جهودهم، ليمهدوا الطريق أمام القـوات المجاهـدة الآتيـة مـن المغرب[2]، ولما عبر **يوسف** البحر، ونزل **الجزيرة الخـضراء**، استقبله أهلها بترحـاب كبير، وخرجوا إليه بما عندهم من الطعـام والـضيافات، حتـى امـتلأت المـساجد بالمتطوعين [3]، ثم شرع **يوسف بن تاشفين** في تحصين الجزيرة، وتـرميم أسـوارها، وأبراجها، وشحنها بالسلاح والطعام، وأوكل حمايتها إلى جماعة من رجاله [4]، وبعد أن نظم أمور الجزيرة سار نحو **إشبيلية** [5]، وما كادت قواته تقترب من هذه المدينة حتـى أسرع إليه الناس من سائر الجهات متطوعين للجهاد معه [6]، وكان أول من تلقـاه مـن أمراء الطوائف، أمير **إشبيلية المعتمد بن عباد**، الذي بالغ في إكرامه ،ثم دعاه لأخـذ قسط من الراحة بمدينته لكن **يوسف بن تاشفين** رفض واعتذر قائلا: إنما جئت ناويـا جهاد العدو وحيث ما كان العدو توجهت وجهه"[7] وتوافد عليه المتطوعون مـن سـائر الأقطار إلى إشبيلية للجهاد في صفّوفه، كما تم التحقت به قوات **المتوكل بن الأفـطس** وبعض قوات **محمد ابن صمادح** [8] صاحب **المرية** وعبد **ا بن بلقين** صاحب **غرناطة** وأخوه **تميم** أمير **مالقة**، وغيرهم[9]، حتى لم يبق من ملوك الطوائف مـن لـم يقـدم المساعدة [10]، مما جعل **يوسف بن تاشفين** يعمل على تقسيم قواتـه إلـى معـسكرين، الأندلسيون في ناحية، والمرابطون في ناحية ثانية. [11]

---

[1] لقد عبر عن هذا الإحساس **الفقيه أحمد ابن القليعي**، الذي اعتبر" **هذا الجواز وقع علـى رغـم أنـوف الفـسقة سلاطين الأندلس"،** ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 134

[2] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 234.

[3] الحميري، **الروض المعطار**، ص 279.

[4] مؤلف مجهول ، **المصدر السابق** ، ص 51.

[5] عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 75.

[6] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق**، ص 234.

[7] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 94؛ حسن أحمد محمود، **نفس المرجع**، ص 234.

[8] تولى الحكم بعد وفاة والده **معن بن صمادح**، من سنة (**546-587هـ/1151-1191م**) فكان طيلة مدة حكمه بعيدا عن الفتنة ، أنظر : ابن خاقان، **المصدر السابق**، ص 48؛ ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ص 190 وما بعدها.

[9] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 94؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 234.

[10] الضبي، **المصدر السابق**، ص 31.

[11] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 94؛ حسن أحمد محمود، **نفس المرجع**، ص 234.

هكذا رجع الأمل للأندلسيين وبدا لهم أن المعجزة التي طالما حلموا بها قد تحققت، فاجتمع شملهم بعد تفرق، وتوحدت كلمتهم وظهر **يوسف بن تاشفين** وكأنه قد وصل ما انقطع من تاريخ الأندلس المجيد منذ **وفاة المنصور بن أبي عامر** [1] حين كان المجتمع الأندلسي تحت سلطة واحدة يتوافد إليه المجاهدين والمتطوعة من كلّ أنحاء الأندلس، في الوقت الذي عجز فيه الأندلسيون في توحيد أنفسهم. [2]

وبدا الأندلسيون كما عبر حسن أحمد محمود وكأنهم أفاقوا من نومة طويلة، وبدؤوا ينتفضون انتفاضة القوة والحياة على يد المرابطين الذين لم توهن عزائمهم ملذات الحياة ولم تصرف قلوبهم عن خشية ا بل تآلفت على الإيمان واجتمعت على الجهاد [3]، وأكد هذا الكلام أمير معاصر للأحداث وهو **عبد ا بن بلقين**، الذي اشترك في حركة توحيد قوى ملوك الطوائف[4]، وكتب يقول " وضننا أن أقباله على الأندلس، منة من ا عظمت لدينا، لاسيما خاصة من أجل القرابة، وللذّي شاع من خيرهم وإقبالهم على طلب الآخرة وحكمهم بالحقّ، فتحمل بأنفسنا وأموالنا في الجهاد بعد كل عام، فمن عاش منّا كان عزيزا تحت ستر وحماية ومن مات كان شهيدا، والعجب في تلك السفرة من حسن النيات، وإخلاص الضمائر كأن القلوب إنّما اجتمعت على ذلك، ولقينا أمير المسلمين في طريقه إلى **بطليوس** بجيوشه، ورأينا من إكرامه لنا، وتحفيه بنا ما زادنا ذلك فيه رغبة لو استطعنا أن نمنحه لحومنا، فضلا عن أموالنا، ولقينا **المتوكل بن الأفطس** محتفلا بعسكره كلّ يرغب في الجهاد، وقد أعمل جهده، ووطن على الموت نفسه ". [5]

---

[1] **هو محمد بن عبد ا بن أبي عامر المعافري**، أمير الأندلس في دولة المؤيد **با هشام بن الحكم المستنصر با** ، كما وصفه –ابن الأبار- كان شجاعا منصور العلم، ر، فدانت له أقطار الأندلس كلها، وآمنت به ولم يضطرب عليه منها شيء لحسن سياسته، عظم هيبته، فضلا عن ذلك فلقد كان، محبا للعلم، مؤثرا للأدب، مكرما لمن ينتسب =إليها كانت وفاته سنة 392هـ **أنظر** : ابن الأبار : **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ص 268 وما بعدها؛ المراكشي، **المصدر السابق**، ص 21 وما بعدها.

[2] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص ص 234-235.

[3] المراكشي، **المصدر السابق**، ص 93؛ حسن ابراهيم حسن، **المرجع السابق**، ص 116.

[4] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 235.

[5] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 104.

وقد أراد **يوسف بن تاشفين**، المحافظة على هذا الشعور، فتعاقد أمراء الطوائف على أن يكونوا يدا واحدة، وأن يجمعوا جهودهم لغزو الروم بمعونته. [1]

ووصلت أنباء هذه الأحداث إلى الملـك **ألفـونس** الـسادس وهـو محاصـر **سرقسطة** [2]، فأدرك أن ثمة تغيرا وقع في الجبهة الإسلامية، وأن الوحدة شملت صفوف المسلمين، وشدت أزرهم [3]، فأرتاع لذلك واضطر إلى رفع الحصار عـن **سرقـسطة**، والمسارعة بحشد قواته [4]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل به أن طلب مساعدة الأمم المسيحية، فأتته الوفود من مختلف المناطق متطوعة للقتال معه. [5]

إننا هنا لن نستعرض تفاصيل المعركة، بل نكتفي بالقول أن الجيشان المرابطي والمسيحي التقيا شمال **بطليوس** في **فحص الزلاقة** أي جرت أحداث معارك طاحنة تعد من أعظم معارك وجود الإسلامي بالأندلس [6]، حيث باغتت قوات ألفونس معـسكرات أهل الأندلس في ليلة **12 رجب سنة 479هـ/1085م** [*]، فانهزمت عند أول لقاء لهـا، وأبلى **المعتمد بن عباد** بلاء حسنا [7]، ثم بعث كاتبه **أبو بكر بن** القصيرة [8] إلى يوسف،

---

[1] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 235.

[2] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 94.

[3] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق**، ص 235.

[4] عصام الدين عبد الرؤوف، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، دار الفكر العربي القاهرة، 1414هـ/1999م، ص 257؛ إبراهيم بيضون، **المرجع السابق**، ص 378.

[5] أشياخ يوسف، **المرجع السابق**، ج1، ص 84. عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 82.

[6] معظم المصادر التاريخية تطرقت لتفاصيل معركة الزلاقة، **أنظر** : عبد ا بن بلقين، **المصدر الـسابق**، ص ص 121-125؛ مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص ص 39-66؛ المراكشي، **المصدر الـسابق**، ص 94 وما بعدها؛ الحميري، **المصدر السابق**، ، ص ص 287-289؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 94 ومـا بعـدها؛ ابـن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص 69؛ المقري، **المصدر السابق**، مج4، ص ص 354-377؛ ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج8، ص ص 442-448.

[*] ابن بسام، **المصدر السابق**، مج2، ص 149.

[7] المراكشي، **نفس المصدر السابق**، ص 91؛ بن بية، **المرجع السابق**، ص 144.

[8] هو **محمد بن سليمان بن القصيرة الكلاعي**، كان من البارعين في الأدب والتفنن في مختلف أنـواع العلـوم، . تولى الكتابة يوسف بعد وفاة **عبد الرحمن بن أسبط سنة 487هـ/1095م** ، ولما توفي **يوسف**، استمر في الكتابـة لولده علي حتى وفاته سنة هـ1015/568م . أنظر : ابن بسام، **المصدر السابق**، مـج2، ص 148 ومـا بعـدها؛ السملالي، **المصدر السابق**، ج4، ص 49؛ ابن خاقان، **المصدر السابق**، ص ص 107-108.

فتقدم هذا الأخير جيشه وقصد محلّة ألفونس فاقتحمها، و أشعل فيها النيران،و اشـتدت المعركة بين الطرفين الى أن انتهت بانتصار المسلمين. [1]

وجرح ألفونس في هذه المعركة جرحا بليغا، إلاّ أنّه بالرغم من إصابته تلك فلقد تمكن من الفرار في جنح الظلام مع بعض فلول جيشه، فاختبئوا ثم تسللوا هاربين إلى **طليطلة.** [2]

لقد حقق المرابطون في هذا اليوم نصرا مؤزرا لم تعرف الأندلس له مثيل، أعاد للإسلام بالأندلس قوته وعزته، ومد من عمره أربعـة قـرون أخـرى [3]، واعتبـرت المصادر التاريخية هذه المعركة من معارك المسلمين الكبـرى، والمفـاخر العظمـى للمرابطين وفي ذلك يقول صاحب الحلل الموشية و"كان يوما لم يسمع بمثله ...، فيا له من فتح ما كان أعظمه ويوم كبير ما كان أكرمه، فيوم الزلاقة، ثبتت قدم الـدين بعـد زلاقتها، وعادت ظلمة الحقّ إلى إشراقتها" [4]، ويقول الفقيه **أبو بكـر بـن العربـي** " المرابطون قاموا بدعوة الحقّ ونصرة الدين، وهم حماة المسلمين، الذابون عنهم، ولو لم يكن للمرابطين فضيلة ولا تقدم إلاّ واقعة الزلاقة، مكان ذلك من أعظم فخرهم وأربـح تجرهم ". [5] وقد كان للعلماء في هذه المعركة دور كبير بداية من التهيئة –كما وضـح سابقا- إلى المشاركة الفعلية فيها حيث بذلوا جهدهم في وعظ المسلمين، وحثهم علـى الصبر والثبات وترغيبهم في ما عند ا من أجر عريض، وتحـذيرهم مـن الفـشل والتولي يوم الزحف [6]، وقد استشهد في هذه الواقعة الكثير من العلماء مـنهم قاضـي **مراكش أبو مروان عبد الملك المصمودي** [7] ورفيقه الفقيه **أبو محمد يعلى المصمودي**[8]

---

[1] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 60؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 95.

[2] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 61؛ ابن بسام، **نفس المصدر السابق**، مج2، ص 152؛ عبد العزيز سـالم، **المرجع السابق**، ج2، ص 726؛ العفيفي، المرجع السابق، ص 187.

[3] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 117.

[4] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 66. عبد العزيز سالم**، المرجع السابق**، ج2، ص ص 727-728.

[5] مؤلف مجهول**، نفس المصدر**، ص 140. بن بية، **المرجع السابق**، ص 145.

[6] الحميري، **الصدر السابق**، ص 290.

[7] المراكشي عبد الملك، **الصدر السابق**، تحقيق محمد بن شريفة، ص 364.

[8] كان فقيها، بالمغرب أيام **يوسف بن تاشفين**، ودخل الأندلس معه صحبة قاضي الجماعة **أبي مروان المصمودي**، فاستشهدا في **وقعة الزلاقة** على النصارى. **أنظر** : ابن عبد الملك ، **نفس المصدر السابق**، ص 364.

والفقيه **أبو العباس بن رميلة القرطبي** [1]، بالإضافة إلى الفضل **ولد الحافظ أبي محمد بن حـزم** [2] أما الذين حضروا هذه المعركة من العلماء المرابطين، فعدد كثير وكان في مقدمتهم قاضي الجماعة **بمراكش يوسف بن ملجوم** [3] والفقيه **أبو مروان العـذري** [4]، والفقيه أبو **بكر بن القصيرة** [5] الذي خلّف لنا إحدى الرويات الميدانية عـن واقعـة الزلاقة. [6]

وبذلك شكلت معركة الزلاقة منعطفا حاسما في تـاريخ المغـرب الإسـلامي، وولدت لدى الأندلسيين أملا في في غد ينحصر فيه الخطر المتزايد، ويحلّ فيه الأمـن والعدل والرخاء الاجتماعي والاقتصادي، بعد أن برهنت لهم أن التفوق المسيحي نسبي وأن إمكانية قهره ممكنة إذا توفرت النية الحسنة والقوة، ووحدة الكلمـة [7]، **لكـن هـل باستطاعة دول الطوائف نسيان مطامعها الشخصية والإيفاء بمتطلبـات هـذا الأمـل المنشود ؟.**

هذا ما لم يكن ممكنا في نظر الأندلسيين، الذين كانوا يقفون أمام حقيقـة مـرة، وهي افتقار كياناتهم السياسية إلى القوة، وتخاذلهم عن الوحدة، ولم يكن مـن المعقـول بالنسبة لهم الرجوع إلى الحال التي سبقت معركة الزلاقة، وكأن شيئا لم يكن، خاصـة وأنهم كانوا يأملون أن تكون هذه الواقعة بداية تغيير لغد أحسن، في مقابل ذلـك كـان أمراء الطوائف يرغبون في تجميد الأوضاع على ما هي عليه، أما علمـاء الأنـدلس وفقهائها، فلقد انضموا إلى تيار الأمل الواعد ووقفوا إلى جانب الرعيـة، بعـد كـان

---

[1] هو **أحمد بن محمد بن فرج الأنـصاري**، كان من أهل العلم والورع والفضل والدين، و التصدق وفعل المعـروف إلى ان توفي، أنظر ترجمته،ابن بشكوال ، **المصدر السابق**، ج1،ص71 .

[2] ابن بشكوال، **نفس المصدر**، ج2، ص 440.

[3] ابن القاضي ، **المصدر السابق**، ق2، ص 549.

[4] بن بية، **المرجع السابق**، ص 146.

[5] ابن خاقان، **المصدر السابق**، ص ص 107-108؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص ص 290-291.

[6] ابن بسام، **المصدر السابق**، ج2، ص 148 وما بعدها؛

[7] بن بية، **المرجع السابق**، ص 146.

معظمهم، ملتزمون الحياد السلبي من مجريات الأمور في دول الطوائف قبل معركـة الزلاقة [1] .

ولعلّ ذلك يعود إلى عدم وجود من يستحق ثقتهم وثقة الأندلسيين بهم، أمـا الآن ومع الظروف الطارئة، فلقد تغير الوضع، وأصبحوا يتوفرون على البديل ممـثلا فـي دولة المرابطين وما تحمله من مبادئ إسلامية [2]، وأميرها **يوسف بن تاشـفين** الـذي رأوا فيه مواصفات الحاكم المسلم، القادر على حماية دينه، والجهاد في سبيله، وفـوق هذا تقديره للعلم والعلماء واستشارته لهم في كبير الأمور وصغيرها [3]، فهذه المستجدات هي التي كانت وراء اتجاه فكر أولي الرأي بالأندلس بما فيهم فقهاء **قرطبة وعميـدهم ابن رشد** إلى الوحدة مع المغرب [4]، **فما الجهود التي قاموا بها لتحقيق ذلك يا ترى ؟**

2- دورهم في توحيد العدوتين وإسقاط أمراء الطوائف:

عاد **يوسف بن تاشفين** بعد نصر الزلاقة إلى المغرب بشكل مفاجئ، تاركا فرقة من جيشه بقيادة **سير بن أبي بكر**، لمساعدة ملوك الطوائف، بعد أن حثهم على الاتفاق والإتحاد من أجل رد خطر العدو المشرك [5]، وقد تعددت الأسباب التي حملته على تلك العودة المفاجئة، أولها وفاة **ابنه الأمير أبي بكر سير** الذي استخلفه على **سبتة** وكـان مريضا [6]، وثانيها تتمثل في اضطراب الأحوال على الحدود الشرقية لمملكته [7] وثالـث

---

[1] بن بية،**المرجع السابق،ص146** .

[2] نفسه ، ص 147.

[3] ابن الأثير، **المصدر السابق**، مج9، ص 99؛ ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج7، ص 125.

[4] ابن رشد، **المسائل**، ج1، ص 32.

[5] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص ص 106-107؛ جمال الدين عبد ا ، **تاريخ المسلمين بالأنـدلس**، موسـوعة للتاريخ الإسلامي، شبه جزيرة العرب، القاهرة، 1996م، ص 97، حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 250.

[6] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 66؛ أشياخ يوسف، **المرجع السابق**،ج1، ص 93؛ حسن أحمـد محمـود، **المرجع السابق**، ص 248.

[7] ذكر **حسن أحمد محمود**، نقلا عن **ابن بسام** في الذخيرة أن **يوسف بن تاشفين** بعث برسالة إلى أمير **بني حمـاد** يعاتبه فيها على الإستعانة **بعرب بني هلال**، في الوقت الذي يجب أن تتضافر فيه جهود الأمراء لمدافعة الفرنجـة،. أنظر : حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 250؛ محمد صالح المنصور، **المرجع السابق**، ص 89.

تلك الأسباب هو احترازه من أي عمل يقوم به **إبراهيم بن الأمير أبي بكر بن عمـر** [1] لاسترداد حقّ أبيه الأمير الشرعي للمرابطين سابقا، فضلا عن أن **يوسف بن تاشـفين** لم يكن يملك القوة الكافية لمواصلة جهاد النصارى بالأندلس. [2]

وما كان **يوسف بن تاشفين** يصل إلى المغرب، ويستقر بعاصمته **مراكش** حتى عاد أمراء الطوائف إلى سيرتهم الأولى، متنابذين، متناحرين، ناقـضين للعهـد الـذي قطعوه له [3] مما أتاح الفرصة لألفونس لإعادة تنظيم صفوفه من جديد، وغـزو المـدن الأندلسية [4] حيث بدأ هذه المرة بشرق الأندلس لأن غربها كانت تقوم به مملكتان قويتان وهما **إشبيلية وبطليوس**، تدعمهما فرقة من المرابطين قوامها ثلاثة آلاف جندي، أمـا الشرق، فلقد كان على العكس من ذلك ممزقا من الناحية السياسية [5]**، فبلنسية** ، كانـت خاضعة بصورة غير مباشرة للنصارى، عن طريق **القادر بن ذي النون** [6]، أما **مرسية ولورقة** [7]، فكانتا تخضعان لحكم **المعتمد بن عباد** [8]، إلا أن القائم على **لورقـة**، كـان أضعف من أن يقام النصارى، أما صاحب **مرسية، ابن رشيق** [9]، فلقد كان على خلاف

---

[1] كان واليا على **سجلما**سة من قبل أبيه الأمير **أبي بكر بن عمر** وقد سبق له أن قام بمحاولات فاشلة لانتزاع الملك من الأمير يوسف، ففي سنة 469هـ/1076م وصل إبراهيم من الصحراء، يطالب بملك أبيه، ونزل بخارج أغمات، فأرسل إليه يوسف بن تاشفين قائده **الأمير مزدلي**، يستوضحه. **أنظر** : ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 29؛ الهدفي ، **المرجع السابق**، ص 71؛ حسن أحمد محمود،**نفس المرجع السابق**، ص ص 249-250؛ سعدون عباس نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 98؛ محمد صالح المنصور، **المرجع السابق**، ص 90.

[2] عباس سعدون نصر ا ، **نفس المرجع السابق**، ص 98.

[3] عبد ا بن بلقين،**نفس المصدر السابق**، ص 107 وما بعدها؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 235.

[4] عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، ج2، ص ص 728-729؛ شوقي أوليل، **المرجع السابق**، ص 58.

[5] عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 98.

[6] ابن الخطيب،**المصدر السابق**، ص 203؛ عباس سعدون نصر ا ، **نفس المرجع السابق**، ص 104.

[7] **بالإسبانية Lorca**، من إحدى معاقل بلاد **تدمير Tadmir**، وهي مدينة حصينة منيعة، ، ينسب إليها عدة علماء من بينهم **أبو عمر حفص بن حفص** التميمي اللورقي. أنظر : الرشاطي، **المصدر السابق**، ص 52 ومـا بعـدها؛ الإدريسي، **المصدر السابق**، ج2، ص 538.

[8] عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 104.

[9] **هو عبد الرحمن بن رشيق القشيري**، مغامر طموح، كان من عمال حصن بلج بمقاطعة **لورقة**، ولما قـام ابـن **عمار**، وزير **المعتمد بن عباد** بمحاولة الاستيلاء على **مرسية**، استعان بابن رشيق الذي نجح في الاستلاء عليهـا و الاستبداد بها ، **للمزيد من التفاصيل في شأن النزاع بين ابن عباد وابن رشيق** أنظر : **ابن بلقين، المصدر السابق**، ص 110 وما بعدها؛ ابن الخطيب، **نفس المصدرالسابق**، ص 201.

مع **المعتمد بن عباد**، لأن هذا الأخير أراد نزعه من حكم **مرسية**، وتسليم المدينة لأبنه[1]، وأمام هذه الأوضاع المضطربة شن النصارى عدة غارات على الإمارتين، وحاصروهما، حتى أوشكتا على السقوط [2]، واستغل **ألفونس** هذه الفرصة أحسن استغلال، واستولى على حصن **ليط المنيع** [3]، الواقع وسط هذه المنطقة، وشحنه بالرجال والسلاح، واتخذه قاعدة لشن تلك الهجمات. [4]

فهذه الأحداث الطارئة أكدت للعلماء الأندلسيين أن ملوكهم لن يتغيروا معهم مهما حاولوا معهم، وازدادوا قناعة أن لا نجاة للأندلس سوى الالتجاء للمرابطين وزعيمهم يوسف بن تاشفين الذي أنجدهم أول الأمر ورد الخطر المسيحي على أعقابه.[5] فارتفعت أصوات الاستغاثة من جديد، تستنجد بأمير المسلمين **يوسف بن تاشفين**، وأخذت الوفود الشعبية، وعلى رأسها الفقهاء تعبر إلى المغرب مستغيثة به لأنقاض الأندلس من المحنة التي عادت [6]، فأضحى إليهم **يوسف بن تاشفين** ووعدهم خيرا، وكان ذلك **سنة 481هـ/1088م** [7] ولخطورة الوضع، قرر **المعتمد بن عباد** الاتجاه بنفسه إلى المغرب حتى يشرح لأمير المسلمين، الحالة الحرجة التي يعاني منها أهل الأندلس، حيث عظّم له شأن **حصن ليط** المنيع، الذي اتخذه النصارى قاعدة لشن الهجمات على المدن الأندلسية وتهديدها، وأكد له أن لا سلامة للأندلسيين إلاّ بإسقاطه [8]، إلاّ أن هذا الغرض لم يكن الوحيد الذي دفع **المعتمد بن عباد** إلى السفر إلى المغرب، بل كانت له أغراض ودوافع مادية سعى لتحقيقها، من أهمها تأليب المرابطين على **ابن رشيق**، الذي رأى **المعتمد بن عباد** أنّه سلبه حقّه على مدينة **مرسية**. [9]

---

[1] ابن بلقين، **نفس المصدر السابق**، ص 108.

[2] عباس سعدون نصر ا ، **نفس المرجع السابق**، ص 104.

[3] يطلق عليه **بالإسبانية Aledo**، وهو حصن منيع، يقع بين **مرسية، ولورقة، أنظر** : مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 67.

[4] مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق**، ص 67. حسين مؤنس، **المرجع السابق**،ج2، ص 33.

[5] بن بية، **المرجع السابق**، ص 149.

[6] عباس سعدون ا ، **المرجع السابق**، ص 105.

[7] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 98.

[8] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 108؛ حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص ص 61-62.

[9] **نفس المصدر والصفحة** ؛ بن بية، **المرجع السابق**، ص 149.

وبذلك جاز **يوسف بن تاشفين** جوازه الثاني إلى الأندلس بداية من عام **481هـ/1088م** وكتب لملوك الطوائف يستنهض هممهم [1]، ويوحدوا جهودهم للقيام بجهد مشترك للانقضاض على **حصن ليط**، معقل المقاومة النصرانية في الجنوب الشرقي وقد غادر **الجزيرة الخضراء** إلى **مالقة** [2]، ثم اتجه صوب **المرية**، ثم دخل **لورقة** [3]، حيث لحقت به قوات **المعتمد بن عباد** كما لبى باقي أمراء الطوائف الآخرون نداء يوسف وتوافدوا على الحصن للاشتراك في هذه المعركة. [4]وشرع الجميع في مهاجمة الحصن، وأطبقوا عليه من كلّ ناحية، [5]، وواصلوا هجماتهم عليه ليلا ونهارا، حيث اختص كل أمير بناحية، يشدد عليها الحصار، ويهاجمها باستمرار [6]، لكن الحصن كان منيعا جدا فاستعصى إسقاطه، بالرغم من محاصرته مدة أربعة أشهر [7]، الأمر الذي جعل **يوسف بن تاشفين**، يعدل عنه بعد ما يئس من سقوطه، وبعد ما خانه أهل **مرسية** الذين قطعوا الإمدادات الغذائية عنه[8]. وشكلت بذلك غزوة حصن ليط، مرحلة هامة من تاريخ المسلمين بالأندلس، حيث اكتشف **ابن تاشفين** طيلة الفترة التي قضاها محاصرا حصن ليط حقيقة أمراء الطوائف، وما هم عليه من خلاف،وتنابذ [9]، إذ برزت خلال هذه الفترة عدة خلافات، حطّت من شأن أمراء الطوائف أمام **يوسف بن تاشفين**، من بينها، خلاف **عبد ا بن بلقين** صاحب **غرناطة** مع أخيه **تميم بن بلقين** صاحب **مالقة**، الذين أظهرا **ليوسف** بن **تاشفين** الكره الدي يكناه لبعضهما، وكأن **يوسف بن**

---

[1] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 253.

[2] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 68.

[3] ابن بسام، **المصدر السابق**، مج2، ص 162.

[4] ابن بلقين، **نفس المصدر السابق**، ص ص 108-109؛ مؤلف مجهول، **نفس المصدر**، ص ص 68-69؛ ابن أبي زرع، **نفس المصدر السابق**، ص 98.

[5] ابن بلقين،**نفس المصدر السابق**، ص 108؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 254.

[6] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 69.

[7] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 99؛ مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق**، ص 69؛ عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، ج2، ص 730.

[8] مؤلف مجهول، **نفس المصدرالسابق**، ص 69.

[9] بن بية، **المرجع السابق**، ص 150.

تاشفين، ليس له من عمل إلاّ فض النزاع بين الإخوة [1]، كما بـرز علـى رأس هـذه الخلافات خلاف **المعتمد بن عباد وابن رشيق** صاحب **مرسية،** الذي شكاه **المعتمد بن عباد** إلى الأمير يوسف واتهمه باغتصاب ولاية **مرسية** منه، كما إتهمه بما هو أفـضع من ذلك وهو أنّه حليف لملك **قشتالة** سرا وأنّه دفع إليه جباية **مرسية** كجزية [2]، وأنّـه يساعد الحامية القشتالية داخل الحصن[3]. وكعادة أمير المسلمين **يوسـف بـن تاشـفين** وعملا بأحكام السنّة، استفتى الفقهاء في أمر **ابن رشيق**، فجاءت فتاويهم، بإزاحته عن حكم مرسية وتسليمه **للمعتمد بن عباد** [4]، فاستغاث **ابن رشيق** بالأمير **يوسـف،** الـذي أجابه بأنه لا يستطيع مخالفة أحكام الدين في أي أمر كان [5]، ثم **أمر سيربن أبي بكـر** باعتقاله وتسليمه **للمعتمد** بشرط الإبقاء على حياته [6]، وبهذا العمل يكون الأمير **يوسف بن تاشـفين** قد وضع فتاوي الفقهاء فوق كلّ اعتبار مهما كانت نتـائج هـذا العمـل، وضحى **يوسف بن تاشفين** بحليف صغير من أجل حليف أكبر[7]، وباعتقال **ابن رشيق،** انسحب جيش **مرسية** من المعركة وقطعوا الغذاء عن المـرابطين ومـن معهـم مـن الأندلسيين، فوقعت المجاعة، وارتفعت أسعار الغداء وخشي الأمراء أن يـصيبهم مـا أصاب **ابن رشيق** [8]، وقد صور أمير غرناطة **عبد ا   بن بلقين** هذه الأوضاع المؤسفة أصدق تصوير حين قال : " ...ونحن أحوج ما كنّا إليه للاتفاق، ولاسـيما فـي تلـك المرحلة، التي عدمت فيها الأقوات إلاّ بالشراء كل يوم...و طالت تلك المحلة الملعونة، فكأنها مئلق أبان الطيب من الخبيث، وكشف العدوات، فلم يزد الرؤساء إلاّ توحشا، ولا الرعية إلاّ تسلطا...، وكانت مقدمات سوء، وزماننا على السلاطين عسيرا ". [9]

---

[1] ابن بلقين، المصدر السابق، ص ص 106-107؛ عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 107.

[2] مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق،** ص 69.

[3] ابن بلقين،**نفس المصدر السابق**، ص 112.

[4] **نفس المصدر** و **الصفحة**؛ مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 70؛ عباس سعدون نصر ا ، **المرجع الـسابق**، ص 108؛ زبيب نجيب، **المرجع السابق، ج2**، ص 285.

[5] ابن بلقين، **المصدرالسابق**، ص 112.

[6] مؤلف مجهول،**المصدرالسابق**، ص 70.

[7] ابن بلقين، **نفس المصدر السابق**، ص 112؛ عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 107.

[8] مؤلف مجهول، **نفس المصدر**، ص 70؛ حسن أحمد محمود، **مرجع السابق**، ص 255.

[9] ابن بلقين، **نفس المصدر السابق**، ص 110.

وبينما الأندلسيون مختلفون أشدّ الاختلاف، وقد حلّ الارتبـاك فـي صـفوفهم وصلت أخبار بتقدم **ألفونس** بإتجاه **حصن ليط** لإنقاذ الحامية القشتالية [1] فخاف **يوسـف** أن يرجع الاندلسيون الى الوراء، تاركين المرابطين يصلون نار القتال مثل ما حدث في **معركة الزلاقة** [2]، كما خشي أن يشتبك في معركة مع جند **قشتالة** تدب بالاندلـسين ، فعاد أدراجه إلى **لورقة،** ولم يكن ذلك عن ضعف منه كما أورد **ابن أبي زرع،** وإنّمـا عن حكمة وبعد نظر، فلم يكن يريد الدخول في قتال لا غير مضمون أجل مئات مـن الفرسان اعتصموا بالحصن وأوشكوا على الموت جوعا وعطشا، وفعلا حدث ما توقعه الأمير **يوسف،** فقد تقدم **ألفونس** صوب الحصن وقام باقتحامه، وإنقـاذ المحـصورين داخله، ثم هدم الحصن، وعاد إلى **طليطلة** لا ينوي على شيء [3]، لأن خشي إن اشـتبك مع المرابطين أن تتكرر هزيمة الزلاقة، أما **يوسف بن تاشفين،** فلقد آمن منذ البدايـة بإخفاق أمراء الطوائف في تحقيق الآمال التي عقدها على التوحيد بين صفوفهم، وحدث فعلا ما كان يتخوف منه، فقد تفرق شمل أمراء الطوائف، وتخوفوا حينما أقبلت قـوات العدو لمقاتلتهم[4]، وبغض النظر مما ذكر، وما حدث في هذه المعركة من خلافات بـين أمراء الطوائف، وما ترتب جراء ذلك، فإن أخطر ما دار أثناء فترة الحصار هذه **هـو ما قام به العلماء من دور تحريضي على أمراء الطوائف،** فلقد قام عدد من الفقهـاء، باستغلال فترة حصار **حصن ليط** لتنبيه **يوسف بن تاشفين** ولفت نظره إلى ما هم عليه أمراؤهم من فرقة،وفساد وظلم وجور للرعية، كما قام العلماء بإثارة مسألة هامة عـان منها الشعب الأندلسي طيلة سنوات، وهي مسألة الضرائب المفروضة علـى الـشعب الأندلسي، من طرف أمراء الطوائف، والمنافيـة للـشرع [5] ومـن بينهـا كمـا أورد -**ابن حزم في إحدى رسائله**- ضريبة شهرية على رؤوس المسلمين تسمى القطيعـة، وضريبة على الأموال من الغنم والبقر والدواب والنحل وقبلات على كل ما يباع فـي

---

[1] مؤلف مجهول، **المصدرالسابق،** ص 70؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 99.

[2] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق،** ص 255.

[3] ابن أبي زرع، **المصدر السابق،** ص 99؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 256.

[4] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق،** ص 256.

[5] بن بية، **المرجع السابق**، ص 150.

الأسواق إلى غير ذلك من الضرائب التي قصمت ظهر الرعية [1]، فقـام **يوسـف بـن تاشفين** بتقديم شكاوى العامة وفقهائهم إلى أمراء الطوائف، الذين لم يكـن أمـامهم إلاّ رفعها تظاهرا بالامتثال **ليوسف بن تاشفين.** [2]

فقد لعب **الفقهاء** دورا بارزا في مجريات الأحداث بالأندلس، إذ قـاموا بـدور الوسـيط بـين الرعيـة الأندلـسية والأميـر ، فقـد أسـعدهم جـوازه الأول إليهم [3]، " **على رغم أنوف الفسقة سلاطين الأنـدلس** " [4]، وانتـصاره بالزلاقـة أزاح كابوسا ثقيلا عن صدورهم، وأصبح بإمكانهم الجهر بمواقفهم وآرائهم، دون أن يخشوا أمراؤهم [5]، فأتى العامة و على رأسهم فقهائهم خلال فترة حصار **حصن ليط** أفواجـا شاكين. [6] " وكان في مقدمة هؤلاء الفقهاء قاضي **غرناطة أحمد بن القليعي**، الذي لعب الدور الأكبر في المجاهرة بعيوب أمراء الطوائف خلال هذه الفترة [7]، فقد اشتهر **بـن القليعي** بالعلم والاستقامة والورع، [8] وقد أورثه هذا العلم والورع كره الظلم وأصحابه، فكان رحمه ا كما وصفه **ابن عطية المحاربي** " شيخ فضل وصدق، موقوفـا علـى **حوائج المظلومين والمضطهدين "**. [9]

وعندما يسخّر العالم نفسه لإزالة الظلم، فإنّه لشك سوف يصطدم بمـسببي هـذا الظلم والطغيان، وهذا ما حدث فعلا **لأبن القليعي**، مع ملوك **غرناطة**، ابتداء من حكـم باديس بن حابوس [10] الذي كان يخشى كثيرا هذا الفقيه وما يحمله من مبـادئ، لـذلك

---

[1] ابن حزم ،**المصدر السابق**، ج3، ص 174.

[2] ابن خلدون، **المصدر السابق**،ج6 ص 187.

[3] عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص ص 112-113.

[4] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 118.

[5] عباس سعدون نصر ا ، **نفس المرجع**، ص 113.

[6] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 109.

[7] نفس المصدر السابق109.

[8] ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج1، ص 157.

[9] ابن عطية المحاربي، **المصدر السابق** ص 125.

[10] ثاني أمراء بني زيري الصنهاجيين في **غرناطة** كانت علاقاته سيئة مع بعض أمراء الطوائف، **كزهير العامري أمير المرية**، و طالت مدة حكمه فألقى شؤون دولته إلى وزيره **ابن النغرالة اليهودي** وإلى نفوذ النساء في القـصر، حتى ساءت الأوضاع وثار أهل **غرناطة** باليهود؛ **أنظر** : ابن الأثير، **المـصدر الـسابق**، ج8، ص 113؛ إحـسان عباس، **المرجع السابق** ، ص ص 12 وما بعدها

فرض عليه شبه إقامة جبرية، طيلة فترة حكمه [1]، فكان كما صرح **حفيده الامير ابـن بلقين** " **لا يدعه في المدينة، ويأمره بسكنى ضيعته** " [2] في الوقت الذي كـان يحـاول التخلّص منه فحماه ا تعالى منه بالعلم [3] أما أمير **غرناطة عبد ا بن بلقين،** فـأراد الاستعانة بمكانة **ابن القليعي** وعلمه، فجعله وزيره وسفيره إلى أمير المسلمين **يوسف**[4]، هذه السفارة التي أتاحت **لأبن القليعي** الاتصال بيوسف **بن تاشفين،** والتعـرف عليـه، وتوطيد علاقته معه [5]، كما أدرك هذا الفقيه منذ معركة الزلاقة، أن أمير المرابطين هو الأمل الوحيد لتخليص الأندلسيين من أمراء الطوائف [6]، خاصة بعد أن تأكـد أنّـه، ذو ضمير حي ولا يسكت في أي حال من الأحوال عن المظالم والمفاسد [7]، لذلك اسـتغل فترة حصار **حصن ليط** أحسن استغلال، فنصب خيمته قرب أمير المسلمين وجعل منها مركزا للتشهير بملوك الطوائف وفسادهم، وقد وصف لنا **الأمير عبد ا بن بلقين** الذي كان متواجدا في مكان الأحداث وضع ابن القليعي، "**و صار بتلك المحلّـة، مغنطيـسا لكل صادر ووارد، يجد بهم السبيل إلى الطلب، للقدر الذي قدره ا** " [8] وفي الوقـت نفسه كان يحثّ الأندلسيين على عدم الامتثال لأوامر ملوكهم، فاستجابوا له، وامتنعـوا عن دفع المغارم الإقطاع التي كانت عليهم [9]، مما جعل بعضهم يقع في حرج وعـسر مادي [10]، ولم يخف **ابن القليعي** نواياه بل جاهر بعداء أمراء الطوائف [11]. الأمر الذي أغضبهم،وجعلهم يتخذون إجراءات سريعة إزاء ذلك، فأرسل **تميم بن زيـري** أميـر **مالقة** مبلغا كبيرا من المال إلى عيسى **بن سهل أبو الأصبغ،** يستعطفه به فـرده ابـن

---

[1] ابن الخطيب، **الإحاطة،** ط2، مج1، ص 147؛ بن بية، **المرجع السابق،** ص 151.

[2] ابن بلقين، **المصدر السابق،** ص 117.

[3] ابن الخطيب**، المصدر السابق،**مج1، ص 147.

[4] ابن بلقين**، نفس المصدر السابق،** ص 117؛ بن بية، **المرجع السابق،** ص 152.

[5] الحميري، **الروض المعطار،** ص 288.

[6] بن بية، **المرجع السابق،** ص 152.

[7] عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق،** ص 113.

[8] ابن بلقين**، المصدر السابق،** ص 108.

[9] ابن الخطيب، **المصدر السابق،** ط1، مج1، ص 148.

[10] ابن بلقين، **نفس المصدر السابق،** ص 109.

[11] **نفسه،** ص 110؛ بن بية، **نفس المرجع السابق،** ص 153.

سهل ورفض قبوله [1]. كما قام **عبد ا   بن بلقين،** باعتقال **ابن القليعـي** لفتـرة مـن الزمن.[2]

فضلا عن ذلك فإن مسألة الضرائب والمكوس لم تكن التهمـة الوحيـدة، التـي قدمها العلماء **ليوسف بن تاشفين،** بل قدموا تهمة أخطر من ذلك بكثير، وهـي اتهـام أمرائهم بالخيانة، بسبب تعاونهم مع عدو الإسلام والمسلمين، واستمرارهم فـي تقـديم الجزية **لألفونسو** حتى بعد انتصار الزلاقة، فقد اعتبر العلماء هـذا التـصرف منافيـا للشرع الإسلامي. [3]

وكان لهذه الحملة التي شنّها علماء الأندلس على أمرائهم، أثر كبير في نفـسية أمير المسلمين، الذي عاد إلى المغرب، متغيرا، مشغول البال في الإجراء الذي يمكـن أن يتخذه في حق أمراء الطوائف، خاصة بعد أن لمس بنفسه الخلاف الواقع بين هؤلاء الأمراء، وتوافد العامة وعلمائهم إليه ستكون ظلمهم وطغيانهم [4]، فوقع في حيرة كبيرة في المسلك الذي يمكن أن يتخذه اتجاه الأندلس وأهلها. **هل يتركهم فريسة عدو كالـب، وأمراء ضعاف عاجزي الحلول، أم يتدخل استجابة لنداء العلماء، ومن ورائهم الشعب الأندلسي بإزاحة هؤلاء الأمراء وإنقاذ الأندلس من سوء المصير ؟.** [5]

يبدو أن يوسف بن تاشفين قد أدرك خطورة الوضع، واقتنع برأي العلماء فعزم على أن يقضي على الفرقة المتفشية في صفوف الأندلسيين بالتخلّص من هؤلاء الأمراء [6]، إلاّ أنّه لم يقدم على أمر بمثل هذه الخطورة حتى يستفتي أكبر عدد مـن العلمـاء، ليطمئن لسلامة موقفه بمطابقته لشرع ا [7]، فبعث يـستفتي كبـار علمـاء الأنـدلس والمغرب في شأن هؤلاء الأمراء، وانتزاع الأمر من أيديهم، وشرعية إزاحـتهم عـن

---

[1] بن بية، **المرجع السابق** ، ص 116.

[2] **نفسه**، ص 119؛ عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 113.

[3] بن بية، **المرجع السابق**، ص ص 153-154.

[4] المراكشي، **المصدر السابق**، ص ص 97-98.

[5] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص154.

[6] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 257.

[7] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص 154.

حكم الأمة، فأفتاه الجميع بجواز خلعهم وإزاحتهم [1]، على أساس ظلمهم للرعية، وحكمهم على غير سنّة الرسول، ومداخلتهم عدو الدين وعجزهم عن الجهاد [2]، لأنّهم خائنين لدين ا لمساعدتهم وإعانتهم للعدو على محاربة إخوانهم المسلمين.وبالتالي وجب عليك خلعهم [3] لأنّك " **إن تركتهم وأنت قادر عليهم، أعادوا بقية بلاد المسلمين إلى الروم وكنت أنت المحاسب بين يدي ا** " [4] كما أن الإبقاء عليهم لا يتوصل معه إلى واجب الجهاد، وكان من بين من استفتاهم يوسف في هذه المسألة **الفقيه يوسف بن عيسى المعروف بابن ملجوم**، وقد ذكر له **يوسف بن تاشفين** في ثنايا هذه المسألة بأن هؤلاء الأمراء يتظاهر بعضهم على بعض بالنصارى، وأنّهم يفرضون على المسلمين بالأندلس ما لا طاقة لهم من الضرائب والمغارم والمكوس، وأنّهم تركوا واجب الجهاد واستعانوا بالنصارى، وباعوا لهم آلات الحرب والسلاح لاستخدامه ضد المسلمين، فأفتاه : " بأن من كان من الملوك مصرا على هذه الأوصاف، وموجود في الوقت إمام أعدل منه، عار من تلك الأوصاف مؤتمن من ارتكاب ذلك، وهو قادر على قتال المتغلّب من المسلمين الموصوف بما ذكر، فله قتاله وعزله عن ولاية المسلمين ".[5]

كما لم يتردد فقهاء الأندلس الذين ارتفعوا في نظر الشعب إلى منزلة القادة والزعماء في أن يطلبوا من **يوسف بن تاشفين** استفتاء كبار العلماء والفقهاء بالمشرق فجاءت فتاويهم مؤيدة وموافقة لفتاوى علماء المغرب والأندلس [6] من بينهم **الإمام أبو بكر الطرطوشي، والإمام أبو حامد الغزالي** [7]، الذي أفتى بأنّهم خانوا الأمانة، وجاوزوا

---

[1] ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص 187.

[2] العروي ، **المرجع السابق**، ص 125.

[3] بن بية، **المرجع السابق**، ص 155.

[4] ابن الكرديوس، **المصدر السابق**، ص ص 97-98.

[5] مؤلف مجهول، **بيوتات فاس الكبرى**، نقلا عن بن بية، **المرجع السابق**، ص 154.

[6] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 262.

[7] العروي، **المرجع السابق**، ص 125؛ المالقي، **المصدر السابق**، ص 27.

الحدود، كما قال في شأنهم " **يجب على الأمير -يوسف بن تاشفين- قتال هؤلاء المتمردة لسيما وقد استنجدوا بالنصارى... ".** [1]

لقد شجعت هذه الفتاوي أمير المسلمين، على التدخل في شؤون الأندلسيين، بعد ما أكدت له أنّه غير ظالم في القرار الذّي اتخذه بشأن ملوك الطوائف [2] فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان ورعا، تقيا، يحترم الفقهاء ويصغي إليهم ويشاورهم في كلّ ما يعرض له من شؤون [3]، لذلك لم يكن من الممكن ليتراجع عن هذا القرار بعد أن أوجبه الشرع عليه، فلم يكن تدخله إلى الأندلس قصد ربح مادي أو اقتصادي بل كان جهادا في سبيل ا أملاه عليه حقّ نصرة المسلم [4]، ويكفي هنا أن نورد بعضا من نص كلام يوسف بن تاشفين الذي يبين فيه دوافعه إلى احتلال الأندلس إذ يقول " إنّما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة، أن نستنقذها من أيدي الروم، لما رأينا استلائهم على أكثرها، وغفلة ملوكهم وتواكلهم، وتخاذلهم، وإيثارهم للراحة... ولئن عشت سأعيدن جميع البلاد التي ملكها الروم طول الفتنة إلى المسلمين... "[5]، فالمرابطون تمسكوا منذ قيام دولتهم بمفهوم الأمة الواحدة، ومن ذلك كانت تبعيتهم للخلافة العباسية رغم ضعفها، الأمر الذي جعل يوسف بن تاشفين لا يسلم بتلك الدويلات الصغيرة التي لا تستطيع حتى حماية نفسها، لأنّه إن تركهم بحجة احترام السيادة والاستقلال، ضيعوا ممالكهم، وضيعوا بلاد الإسلام بالأندلس والأخطر من ذلك أن الضرر الناجم عن ذلك ليس قاصرا على الأندلس فحسب، وإنّما قد ينتقل إلى بالمغرب [6]، فالتدخل المرابطي بالأندلس إذن كان عملا دينيا ذا هدفين : دفاعي، لحماية الأراضي التي تبقت من الأندلس، وهدف استراتيجي بعيد المدى، وهو حماية المغرب الأقصى من أي هجوم صليبي حاقد[7]، وبعد أن اطمأن **يوسف بن تاشفين** إلى سلامة قراره في إزالة أمراء

---

[1] أبو بكر بن العربي، **شواهد** الجلة ،تحقيق محمد يعلى ،المجلس الاعلى للأبحاث العلمية ،مدريد،1996م، ص 303؛ نجيب زبيب، **المرجع السابق**، ج2، ص 267.

[2] حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص ص 63-65.

[3] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 261.

[4] بن بية، المرجع السابق، ص 156.

[5] المراكشي، **المصدر السابق**، ص 114.

[6] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص ص 156-157.

[7] عنّان، **المرجع السابق**، ع2، ص 339.

الأندلس، جاز جوازه الثالث إليها برسم الجهاد [1]، وكان ذلك **عام 483هـ ـ/1090م** [2] وسار في الحين إلى طليطلة، مجتاحا الأراضي القشتالية، رغبة في استرجاع المدينـة، فضرب الحصار عليها وفيها **ألفونس،** لكن **يوسف بن تاشفين** تراجع أمـام أسـوارها المنيعة، وارتّد نحو الجنوب، كلّ ذلك ولم يتقدم أحد من أمراء الطوائف لمـساعدته [3]، وبذلك حصل على مبرر آخر لخلعهم. [4]

بدأ **يوسف بن تاشفين** بأمير **غرناطة، عبد ا بن بلقين** [5]، وكان مـن أكثـر أمراء الأندلس خيانة وتآمرا، واتصالا بالعدو [6]، فقسم جيشه إلى فرق أرسل فرقة إلـى **غرناطة،** وضربت بقية الفرق شبه حصار على أراضيها [7]، لمراقبة الحصون من تسلل النصارى لمساعدة حليفهم، واستمر الحصار طيلة شهرين حاول خلالها **ابن بلقين** إنقاذ نفسه بجعل العلماء واسطة بينه وبين **يوسف بن تاشفين** [8] لكن هؤلاء العلماء، خاصـة **القاضي أبو بكر بن سهل،** اعتبروا حصار **يوسف بن تاشفين** فرصة يمكن تعويضها، وخير ساقه ا من أجل القضاء على حكم **عبد ا بن بلقـين** [9]، لـذلك اغتـنم هـذه الفرصة وقام بحث يوسف على التخلّص من أمير غرناطة ، وأخبره بالأوضاع داخـل غرناطة وأن الجيش منقسم على نفسه [10]، وفي هذه الفترة بالذات اضطربت الأحـوال

---

[1] ابن أبي زرع، **المصدر السابق،** ص 99، مؤلف مجهول، **المصدر السابق،** ص 71.

[2] السلاوي، **المصدر السابق،** ج2، ص 225؛ حسين مؤنس، **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسـقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م،** مع أربـع وثـائق جديـدة، مكتبـة الثقافـة الدينيـة، مـصر، 1413هـ/1992م، ص 7؛ حسن إبراهيم حسن،**المصدر السابق** ج4، ص ص 118-119.

[3] ابن أبي زرع، **المصدر السابق** ،ص99

[4] بن بية، **المرجع السابق،** ص 157، حسين مؤنس، **نفس المرجع،** ص 7.

[5] مؤلف مجهول، **المصدرالسابق،** ص 71؛ عنّان، **دول الطوائف ،** ص ص 328-329.

[6] تبين في هذه الظروف **أن عبد ا بن بلقين** اتصل بالفرنجة وصانعهم، حيث عقد معاهدة مع **البرهـانس** ثم عقـد معاهدة مع **ألفونسو** ودفع له مالا كثيرا كجزية، ولم ينكر **عبد ا بن بلقين** على نفسه هذه الصلة بل ولم يحاول أن ينفيها في مذكراته، بل حاول أن يبرر موقفه بحجج واهية ملتوية. أنظر : عبد ا بن بلقـين، **المـصدر الـسابق،** ص 120 وما بعدها؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق،** ص 263.

[7] ابن أبي زرع، **المصدر السابق،** ص 100.

[8] ابن بلقين، **نفس المصدر السابق،** ص 119؛ عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق،** ص 118.

[9] بن بية، **المرجع السابق،** ص 158.

[10] كان القاضي ابن سهل قد أرسله **الأمير عبد ا بن بلقين** إلى **الأمير يوسف مع الفقيه باديس بـن واروي** مـن تلكانة لإعلامه بأنّه معه وغير مخالف له، فتآمروا عليه أمام الأمير يوسف، ويصور الأمير **عبد ا بن بلقين** فـي

داخل **غرناطة** وعمدت الرعية إلى الخلاص من حكامها وظلمـه واستبـشروا خيـرا بالمرابطين فالجميع كان يطمع أن يتبدل حالهم نحو الأحسن طمعا منهم بالجزية، وأن **يوسف** لا يلزمهم غير الزكاة والعشر [1]

وأمام هذه الأوضاع التي تحمل على اليأس، فتح الأمير **عبد ا بن بلقين** أبواب **غرناطة** أمام جيش المرابطين، وسلّم نفسه بعد أن قبل بشروط مبعوث **الأمير يوسـف بن تاشفين** [2]، وكان ذلك **في 12 رجب سنّة 483هـ/1090م** [3] بعدها وجـه أميـر المسلمين جيشه نحو **مالقة** [4]، فقام أميرها تميم **بن بلقين بن باديس** –شقيق عبـد ا - بتسليم مدينته دون قتال، وفوق ذلك ضرب الدراهم المرابطية [5]، مما أناله رضا أميـر المسلمين، وجعله مفضلا على غيره من الأمراء، ولما نقل إلـى **الـسوس بـالمغرب** الأقصى، بالغ أمير المسلمين في إكرامه فعاش طيلة حياته في رغد من العيش [6]

لقد كان استسلام **عبد ا بن بلقين** وأخاه **تميم**، ونفيهما إلى **المغـرب الأقـصى** المرحلة الأولى من مراحل خلع أمراء الطوائف، فاتضح للآخـرين المـصير الـذي ينتظرهم، فعمد هؤلاء الأمراء إلى البحث عن كـلّ الـسبل التـي تجنّـبهم الخطـر المرابطي.[7]

أما المرحلة التالية من مراحل توحيد الأندلس، فكانت بـضم **مملكـة إشـبيلية** وعزل أميرها **المعتمد بن عبـاد**، الذي تريث أمير المسلمين في شأنه، ومنحه فرصـة

=مذكراته شأن **القاضي ابن سهل والفقيه ابن واروي**، فيقول : " **وصح عندي وقت انصرافهما أن ابن واروي قال: أرسلنا للخدمة له في زعمه، ولم نصنع غير أنّي كتفته، والقاضي ضرب عنقه** " **أنظـر :** ابـن بلقـين، **المـصدر السابق**، ص 146؛ عباس سعدون نصر ا ، **المرجع السابق**، ص 118.

[1] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 150 بن بية، **المرجع السابق**، ص 158، عباس سعدون نـصر ا ، **المرجـع السابق**، ص 119.

[2] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 155؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 1000؛ عباس سـعدون نـصر ا ، **نفس المرجع السابق**، ص ص 119-120.

[3] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 263.

[4] شوقي أبو خليل، **المرجع السابق**، ص 61.

[5] ابن بلقين، **نفس المصدر السابق**، ص 162؛ عباس سعدون نصر ا ، **نفس المرجع السابق**، ص 120.

[6] **نفسه**، ص 162 وما بعدها.

[7] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص 158.

جديدة لتصحيح أخطائه، بتطبيق أحكام الشرع، وإلغاء المظـالم والمكـوس، والتـزام المرابطة، ومدافعة النصارى [1]، غير أن أمير **إشبيلية** امتنع عن ذلك، وبنا على الشر [2] وفي تلك الأثناء بالذات كان **يوسف بن تاشفين** قد عاد إلى المغرب [3]، أيـن اسـتفتى العلماء من جديد في شأن المعتمد، فأفتى الجميع بارتداده، لاستغاثته بالنـصارى علـى إخوانه المسلمين، كما أباحوا دمه ، إلاّ قاضي **مراكش** مع آخرون، ممن أفتـوا بعـدم ارتداده، ولم يبيحوا دمه [4]، فمال **يوسف بن تاشفين** إلى فتواهم [5]، أما **المعتمد بن عباد** فلم يستغل الفرصة التي منح إياها، بل كان يقوم بتأمين مدينته، [6]، كما قام بتوجيه نداء إلى أمراء الطوائف لعقد حلف لمقاومة المرابطين، ووصل بـه الأمـر أن اسـتدعى النصارى للدفاع عن حدوده [7]. فكلّ هذه التصرفات، فضلا عن فتوى العلماء بارتداده، جعلت **الأمير يوسف**، يقرر بشكل نهائي التخلّص من أمير إشبيلية،وسقيه مـن الكـأس الذي أسقى به أمير **غرناطة** [8]، فأرسل أمير المسلمين فرقة من جيشه بقيادة **سـيرين أبي بكر** لاحتلال إشبيلية، ولما وصل إليها، لم يرضى أميرها، تسليمه إياها، فما كـان أمامه إلاّ اقتحامها بالقوة، وإلقاء القبض على أميرها **المعتمد بن عباد**، الذي نفي إلـى المغرب **سنّة 484هـ/1091م** [9]، أين قضى بقية حياته مأسورا في **أغمـات** إلـى أن وافته المنية سنة **488هـ/1095م.** [10]

---

[1] **نفس المرجع والصفحة.**

[2] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 169.

[3] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 72؛ ابن أبي زرع،**المصدر السابق**، ص 100.

[4] السملالي، **المصدر السابق**، ج4، ص 26.

[5] بن بية، **المرجع السابق**، ص 159.

[6] مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق**، ص 72.

[7] بن بية، **المرجع السابق**، ص 159؛ حسن إبراهيم حسن، **المرجع السابق**، مج4، ص 119.

[8] ابن بلقين، **نفس المصدر السابق**، ص 169

[9] **نفسه**، ص 180؛ المراكشي ، **المصدر السابق**، ص ص 99-1000؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 101 زبيب نجيب، **المرجع السابق**، ج2، ص 287.

[10] ابـن الخطيـب، **المـصدر الـسابق**، مـج2، ص 119؛ جميـل عبـد ا المـصري، **المرجـع الـسابق**، ص 201؛ عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، ج2، ص 731.

وبعد دخول **إشبيلية،** واصل المرابطون خطتهم التوحيدية، فسقطت في أيـديهم **المرية،** في **22 ربيع الأول 484هـ/** 1091م، وكان أميرها **المعتصم بـن صـمادح** مريضا، فتوفي يوم دخول المرابطين مدينته [1].

بعد ذلك اتجهت قوات المرابطين إلى **بطليوس،** قاعدة ملك **بني الأفطس** وكان يحكمها وقتئذ **المتوكل بن الأفطس** [2]، الذي حاول بدوره أن يتحـالف مـع النـصارى لمساعدته في مواجهة المرابطين [3]، مقابل التنازل له عن مدة هامة من ممتلكاته، وهي **أشبونة، شنترين، شنتمرية الغرب** [4]، الأمر الذي أعطـى للمـرابطين مـبررا آخـر لإنهائهم **المتوكل بن الأفطس،** كما ألّب عليه سكان **بطليوس** وعلمائها الـذين وحـدوا جهودهم مع جهود المرابطين لإنقاذهم من هذا الأمير الخائن [5]، وفعلا تمكنوا من ذلك، واعتقل **المتوكل بن الأفطس في صفر سنة 487هـ/1694م** [6] ثم قتل مع ابنه سنة يوم الأضحى سنة **489هـ/1096م** [7] وبذلك محا من سجلّه ما فيه المجيـد فـي مجاهـدة النصارى بالأندلس، والدفاع عن أرض المسلمين بها.

لقد ارتبطت المرحلة الأخيرة من تاريخ **بني الأفطس** في **بطليوس،** بشخـصية ففيه يدعى **ابن الأحسن السجلماسي،** نسبة إلى **سجلماسة،** والذي دخل في خدمة الدولة المرابطية ودعوتها، فكان أول احتكاك له بشؤون الأندلس عندما بعثه أمير المـسلمين رفقة قاضي الجماعة **أبو مروان عبد الملك المصمودي** لمفاوضة **المعتمد بن عباد** في

---

[1] ابن الخطيب،**اعلام الاعلام،** ص191.

[2] **نفس المصدر،** ص 185، شوقي أبو خليل، **المرجع السابق،** ص 66.

[3] **نفس المصدر،** ص 214؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق،** ص 265.

[4] اسمها بالإسبانية **SANTAMARIA ALGARVE** وهي الواقعة في جنوب غربي ولاية الغـرب الأندلـسية، على المحيط الأطلسي، وبالضبط تقع على **نهر تاجة،** وتشغل مكانها اليوم **مدينة فاروا البرتغالية،** كانت هذه المدينة، تابعة لمملكة **بطليوس،** وسميت بهذا الإسم، تمييزا لها عن **شنتمرية الشرق،** أو **شنتمرية ابن رزين Albaracine**، وهو تحريف **لإسم بني رزين** أمراؤها أيام الطوائف، وهي تقع بين مملكتي **سرقسطة وطليطلة.**

أنظر : السلاوي، **المصدر السابق،** ص 247، الهامش رقم 141؛ محمد رجب عبـد الحلـيم، **المرجـع الـسابق،** ص ص 346-347.

[5] ابن بلقين، **نفس المصدر السابق،** ص 174؛ حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق،** ص 68.

[6] **نفس المصدر والصفحة؛** ابن خلدون، **المصدر السابق،** ج6، ص 187.

[7] السلاوي، **المصدر السابق،** ج2، ص 225.

أمر تسليم **الجزيرة الخضراء** [1] قبل الجواز الأول **ليوسف بن تاشـفين** وبعـد نـصر الزلاقة بقي **ابن الأحسن في بطليوس** مع جماعة من المرابطين، وكان هـدفهم الأول، المجاهدة في الثغور، إلاّ أنّه فيما يظهر حسب ما أشار إليه، صاحب كتاب المعجـب، كان لهم هدف آخر، وهو تهيئة النفوس للتدخل المرابطي، وإبراز أهمية ذلك في توحيد كلمة أمراء الطوائف، وجمع صفوفهم لدرء الخطر النصراني [2] وقد تمتع هـذا الفقيـه بمكانة رفيعة، واحترام كبير عند أمير المسلمين ، لعلمه وجلال قدره، فعمل المتوكـل بن الأفطس على تقريبه منه وصرف الكثير من شؤونه إليـه [3]، غيـر أن تـصرفات **المتوكل** الأخيرة، ومهادنته ومصالحته للنصارى، أفسد العلاقة بينهما، وبدأ هذا الفقيـه يعمل في السر للإطاحة بحكم **المتوكل بن الأفطس**، وسعى بكلّ وسعه لتحريض الناس عليه خاصة بعد تطور علاقاته مع ألفونسو، فلقيت بذلك دعوته استجابة من طرف **أهل بطليوس**، ولما حاصر المرابطون مدينته، ساعدهم أهلها على دخول بأن أبوابها ليلا.[4]

كانت خيانة أمراء الطوائف لشعوبهم، واستعانتهم بعدوهم، أقـوى مبـرر فـي الإسراع للتخلّص من أمراء الطوائف، الذين توالى سقوطهم جميعا على يد المرابطين، ولم يبق منهم سوى **سرقسطة** [5] التي هادن **يوسف بن تاشفين** أميرها المستعين أحمد **بن هود** لوقوعها على حدود النصارى، وحتى تكون بمثابة خطّ دفاعي أمامي ضد أي خطر نصراني طارئ. [6]

وبذلك نجحت مساعي العلماء في تحقيق ما كانوا يـصبون إليـه مـن توحيـد الأندلس مع المغرب، تحت سلطة واحدة تستطيع الدفاع عنها، والمتمثلـة فـي دولـة المرابطين، وكلّ ذلك كان منطلق من قناعات دينية راسخة، تتمثل في وجوب الوقـوف

---

[1] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 102.

[2] بن بية، **المرجع السابق**، ص 162.

[3] ابن بلقين، **المصدر السابق**، ص 172.

[4] ابن بلقين، **نفس المصدر السابق، ص** 174.

[5] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص ص 74-75؛ القلقشندي، **المصدر السابق**، ج2، ص 14؛ جميـل عبـد ا المصري، **المرجع السابق**، ص 201؛ عبد العزيز سالم، **المرجـع الـسابق**، ج2، ص 732؛ العـروي عبـد ا ، **المرجع السابق**، ص 125.

[6] علي بن محمد، **المرجع السابق**، ج1، ص 67؛ حسن مؤنس،**المرجع السابق**، ص 16.

إلى جانب من يقدر الإسلام، ويرفع شـأنه، وتـستطيع الـدفاع عنـه، كمـا رأوا أن خضوعهم مع هذه الدولة أوفر من حظهم مع غيرها، خاصة لما آنسوه في المرابطين من تعظيم للعلم وأهله [1].

إن الدور الذي اضطلع به العلماء في هذه المرحلة جعل السلطة المرابطية تجلّهم وتقدر صنيعهم، فقربتهم إليها، ومنحتهم سلطات واسعة إلى درجة أصـبحوا عنـصرا مؤثرا داخل جهازها السياسي. **فإلى أي مدى وصلت مكانة العلماء بالأندلس في عصر المرابطين ؟ وبالأخص أبو الوليد بن رشد الجد** الذي لم نلمس له مواقف بارزة علـى عهد **يوسف بن تاشفين** على خلاف عهد أبنه **على** الذي سيكون فيـه زعـيم علمـاء عصره على الإطلاق.

[1] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 165، بن بية، **المرجع السابق**، ص 163.

الفصل الرابع

العلماء في مواقع النفوذ والسلطة

I- مكانة علماء الأندلس عند المرابطين

II- الفقهاء ووظيفة القضاء

III- ابن رشد الجد والسلطة السياسية.

I- مكانة علماء الأندلس عند المرابطيـن :

قامت الدولة المرابطية كما وضحها من قبل، على أيـدي العلمـاء وجهـودهم ومثابرتهم وتضحياتهم، ولما قويت هذه الدولة، واشتد عودها، كان طبيعيـا أن يحتـل العلماء خاصة الفقهاء والقضاة محلا رفيعا ومكانا مرموقا، ففقهاء المغرب الأقصى هم الذين مهدوا الطريق للمرابطين لفتح بلادهم، فقد حببوا العامة فـيهم [1]، وقـدموا لهـم المساعدة، وساروا في ركابهم، كما بدا تأييد الفقهاء والقضاة للدولة الجديدة جليـا فـي معركة الجهاد بالأندلس، فلقد كانوا في الواقع ممثلـين وزعمـاء الـشعب الحقيقيـين المعبرين عن آلامه وآماله، في الوقت الذي كان فيه أمراء الطوائف منغمسين في حياة اللهو والمجون [2]، وما كاد المرابطون يعبرون إلى الأندلس، ويطئون أرضـها، حتـى هرع الناس إليهم، يلوذون بهم، منفسين عن كربهم، متذمرين من أمـرائهم [3]، وكـان الفقهاء هم المدافعين عن مصالح الناس، العاملين على رد الظلم عنهم [4]، ولمـا تبينـت خيانة أمراء الطوائف، وتنكرهم لمعركة الجهاد كانوا أول من أصدر فتاوي بـإزاحتهم عن عروشهم [5]، وساندوا **يوسف بن تاشفين** ووقفوا بجانبه يـشدون أزره، ويؤيدونـه ويباركون أعماله، لهذا اعتقد المرابطون عن يقين وعلى رأسهم أمير المـسلمين أنّهـم مدينون بنجاههم في المغرب والأندلس لجهود الفقهاء. فضلا عن أن الدعوة التي بثهـا **عبد ا بن ياسين** فقيه المرابطين، في نفوس أتباعـه، وتمـسك الملّثمـين بالمبـادئ الإسلامية جعلهم ينظرون إلى الفقهاء والقضاة نظرة تجلية وتقدير واحترام ، فلا نكون مغالين على حد تعبير حسن أحمد محمود" **أن الدولة في الحقيقـة دولـة الفقهـاء**"[6] باعتبارهم القائمين على تطبيق الشريعة الإسلامية التـي أصـبحت دسـتورهم الأول، يطبقون أحكامها ويهتدون بهديها [7]، فيد **الفقهاء المالكيين كانت السلطة الدينية**، وكان

---

[1] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص ص 317-318.

[2] عمر فروخ ، **الأدب الأندلسي العربي**، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1985، ص 53.

[3] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق**، ص 318.

[4] **أنظر** : ابن بلقين**، المصدر السابق**، ص 108 وما بعدها؛ ابن الخطيب، **المصدر السابق**،مج1 ، ص 148.

[5] ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص 187.

[6] حسن أحمد محمود. **نفس المرجع السابق**، ص 318.

[7] **نفسه ،** ص 319.

دورهم في ذلك مزدوجا سياسيا وقضائيا فهم الذين يستشارون فـي الملمـات، مبـدين آراءهم في السياسة العامة في الوقت الذي كانوا يسهرون فيـه علـى تعمـيم قواعـد الشريعة حسب مذهب مالك دون غيره، [1] فلقد ورد في رسالة **لتاشـفين بـن يوسـف** ما يلي : وأعلموا أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في الحضر و البدو على ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم ا من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة، فـلا عدول لقاض ولا مفت عن مذهبه، ولا يأخذ في تحريم ولا تحليل إلاّ به ". [2] كما أن ما اتصف به الأمراء المرابطين من تقوى وورع وخشوع، وإقبال على التفقه في الـدين، وإلمام بدقائقه كان سببا في تقريب الفقهاء والعلماء، [3]، فلقد ذكرت إحدى المصادر أن **أبا بكر بن عمر،** كان يقرب الفقهاء ويصغي إليهم ويدني مجالـسهم [4] **ويوسـف بـن تاشفين** ذهب في تقر به من الفقهاء والقضاة أبعد من ذلك، فلقد عرف عنه حبه للعـدل وإيثاره والعمل على نشره وإقراره، واحترامه لأحكام الشرع، وحرصه على تطبيقهـا، وتعظيمه للعلماء والفقهاء و الرجوع إليهم، والأخذ بآرائهم وفتا ويهم [5]، حتى كأنّه كان لا يسير إلاّ وهم معه، ولا يجلس إلاّ وقد حفوا به، ولا يكاد يفصل في أمـر إلاّ بعـد استشارتهم إلى درجة روى المؤرخون أنّه رد أحكام البلاد إلى القضاة وأسقط مـا دون ذلك من الأحكام الشرعية . [6]

فهذا القول في واقع الأمر يصور لنا الإصلاح الذي لجأ إليه **يوسف بن تاشفين** حين جعل القضاة أصحاب الأمر في البلاد، وقادة الشعب وحكامه، القائمين على تطبيق الشريعة الإسلامية، التي أصبحت دستورهم الأول، ويبدوا أن العلماء وخاصة الفقهـاء والقضاة لم يكن لهم في المجتمع مثل ذلك السلطان الواسع الذي آل إلـيهم فـي عهـد المرابطين، كما أن أحكام الشريعة لم تكن في الواقع الدستور الأول والوحيد الذي يعتمد عليه الولاة، فيما يصدر عنهم من أحكام، ومدام الفقهاء هم حفظة الـشريعة والملمـون

---

[1] العروي، **المرجع السابق،** ص 120.

[2] **نفس المرجع و الصفحة**

[3] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق،** ص 318.

[4] المقري، **أزهار الرياض،** ج3، ص 161.

[5] مؤلف مجهول، **المصدر السابق،** ص 59؛ ابن الخطيب، **المصدر السابق،** مج4، ص 349.

[6] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق،** ص 319؛ أشباخ، **المرجع السابق، ج1،** ص 121.

بخفاياها، كان طبيعيا أن يصبحوا أصحاب الكلمة العليا في المجتمع لأنّه لن يصدر حكم إلاّ إذا أقروه، وأفتوا بأنه لا يخالف الشريعة ولا يناقض أحكامها، وبلغ من بر **يوسف بن تاشفين** بالفقهاء أنّه أجرى عليهم الأرزاق، ورتب لهم المعطيات من بيت المال.

ومن أبرز مظاهر تمسكه بأحكام الشرع، وآراء الفقهاء، لجوئه إليهم في أخطر الأمور كاستشارته إياهم في مسألة العبور إلى **الأندلس،** وخلع ملوك الطوائف وانتزاع ممالكهم، فيما وضح سابقا، ولم يكتفي **يوسف بن تاشفين** في ذلك بفتاوى فقهاء المغرب والأندلس، بل لجأ إلى استشارة كبار العلماء بالمشرق **كأبي حامد الغزالي** [1] **وأبي بكر الطرطوشي** [2]، وكذلك موقفه من الضرائب والمكوس التي لم يجز الشرع إيجادها حيث أسقطها جميعا واكتفى بما يجيزه الشرع من الزكاة والأعشار، وأخماس الغنائم، وجزية أهل الذمة، وقد كان لسياسة الضرائب هذه أطيب أثر **بالأندلس** [3]، وأحسن مثال على ذلك موقفه من **قاضي المرية أبي عبد الله محمد بن يحي الفراء**. [4]حيث قرر **يوسف بن تاشفين** بعد مشاورة الفقهاء أن يطالب بمعونة مالية للمساهمة في أعمال الجهاد بالمغرب والأندلس، وكتب إلى قاضي المرية المذكور، يأمره بتحصيل ذلك، فرفض القاضي، وأرسل إلى الأمير **يوسف** يطعن في شرعية هذه الإتاوة، وفي رأي الفقهاء الذين أجازوها، وأكد بأنّه ليس له في بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم أسوة بما فعله **عمر بن الخطّاب** حين أراد فرض مثل هذه الإتاوة. [5]

ومن مظاهر تمسكه بآراء الفقهاء أيضا، موقفه من تولي سلطة الملّثمين بالأندلس **والمغرب،** فعندما دخل **يوسف** الأندلس، جمع فقهاءها وأحسن إليهم، فقالوا له : يجب أن تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على العامة"، فبعث إلى الخليفة المستظهر

---

[1] **أنظر :** فتوى الغزالي إلى يوسف بن تاشفين بشرعية جهاده، ابن العربي**، شواهد الجلّة**، ص 302 وما بعدها.

[2] **أنظر** : رسالة أبي بكر الطرطوشي يعظ فيها **يوسف بن تاشفين** ويوصيه **بأبي بكر بن العربي**. ابن العربي، نفس المصدر، ص 315 وما بعدها.

[3] التليلي **، المرجع السابق**، ص 49.

[4] ذكرت المصادر أنه كان رجلا دينا، متواضعا، سمع الناس منه بعض ما رواه، استقضي ببلده، روى عن أبي العباس العذري كثيرا وعن القاضي أبي عبد الله من المرابط، وغيرهم، وكان من شهداء **موقعة قتندة** سنة **514هـ/1120م**. أنظر : ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج2، ص 542.

[5] الناصري السلاوي، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 230-231، التليلي، **المرجع السابق**، ص 49 وما بعدها.

با [1] رسولا معه هدايا كثيرة وكتب كتابا يذكر فيه ما فتح ا من بلاد الفـرنج، ومـا كان له من نصرة للإسلام، وطلب تقليدا بولاية البلاد، فكتب له تقليدا من ديوان الخلافة بما أراد ولقّب أمير المسلمين. [2]

أما **على بن يوسف بن تاشفين،** فلقد كان أكثر من أبيه انصرافا إلـى مخالطـة الفقهاء ومجالستهم، حيث كان أميرا ورعا، متزهدا، متبحرا في الدين [3]فاقتفى آثار والده في مجاهدة النصارى بالأندلس، وفي تكـريم العلمـاء والأدبـاء، وتبجيـل الفقهـاء واستشارتهم، والأخذ بآرائهم إلى درجة بلغ الفقهاء على عهده مبلغا عظيما لـم يبلغـوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس وبقي الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم وأحكامها صغيرها وكبيرها موقوفة عليه طول فترة حكمه [4]، وبدا ذلـك النفـوذ وتلك المكانّة التي وصل إليها الفقهاء، جليين في تأثيراتهم على القرارات المهمـة فـي الدولة، حيث أصبح العلماء أهم مستشاري الأمراء المرابطين، إذ كان هؤلاء حريصين على الاستشارة في كلّ أمورهم [5]، وجعلوا هذا المبدأ أحد مرتكزاتهم في الحكم، وكانت الهيئة الاستشارية في مجلس أمير المسلمين عادة ما تتكون من مجموعة من الأمـراء ورؤساء القبائل والوزراء إلى جانب الفقهاء الذين لعبوا أهم دور في الهيئة الاستشارية، حيث برزوا في الجهاز السياسي أكثر من الوزراء [6]، لذلك كان لمشورتهم في أغلـب الأحيان الغلبة، لأنّهم القوة الأكثر تأثيرا على قرارات أمير المسلمين [7]، ولم يكن ذلـك مقصورا على عظائم الأمور فحسب، وإنّما استشيروا في كلّ الأمور جليلها وصغيرها ابتـداء مـن أمـور مثـل ولايـة العهـد [8]، إلـى أمـور أخـرى

---

[1] هـو أحمـد بـن عبـد ا المقتـدي بـن القـائم، خليفـة عباسـي، ولـي الخلافـة بعـد وفـاة أبيـه (**470-512هـ/1077-1118م**)، وكانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب، وفي أيامه أخذ الفرنج بيت المقدس عنوة، وقتلوا أهلها بالمسجد الأقصى، خير الدين الزركلي**، المصدر السابق**، ج1، ص 158.

[2] ابن العربي،**المصدر السابق**، ص 298 وما بعدها.

[3] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 69.

[4] المراكشي، **المصدر السابق**، ص 121؛ عنّان ،**المصدر السابق** ،ع2، القسم الأول، ص 411.

[5] بن بية، **المرجع السابق**، ص 167.

[6] حركات ، **المرجع السابق**، ص 59.

[7] بن بية**، المرجع السابق**، ص 168.

[8] **أنظر** : رسالة تعيين علي بن يوسف وليا للعهد : مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 79.

مثل بناء الأسوار [1]، والحصون وتوسعة المساجد. [2]فعندما أراد **يوسف بـن تاشـفين** تعيين ابنه عليا وليا للعهد، استشار العلماء في ذلك فقبلوا هذا الاختيار ورضوا بـه [3]، وقد ازداد الاعتماد على إشاراتهم على عهد أمير المسلمين **على بن يوسف**، الذي " كان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء " [4]، فكان لهم دور كبير في اختيار الأمير تاشفين لولاية عهد **على بن يوسف** الذي حاولت زوجته أن تضغط عليه لتعيين ولد آخر من أولاده لولاية العهد وهو **الأمير إسحاق**، لكن أهل الشورى وعلى رأسـهم الفقهاء، أجمعوا رأيهم على اختيار **الأمير تاشفين**، لعدة أسباب منها ديانته وشـجاعته وشهامته، ورجاحة عقله، ولما ظهر منه في الأندلس من النكاية بالعدو. [5]وكان هـؤلاء الفقهاء المستشارون لا يفارقون أمير المسلمين في أي حال من الأحـوال سـواء فـي قصره أو تنقلاته،يدلون لديه بآرائهم في الأمور والمشاكل الطارئة، وهذا ما يحلـي أو يوضح أن سلطة الأمراء المرابطين كانت في المقام الأول تنفيذية في حين كان الفقهاء المستشارون هم الذين يبتون في وجاهة القرارات وصلاحياتها [6]، ولم تكـن استـشارة الفقهاء وأهل الرأي مقصورة على أمير المسلمين، بل كان نائباه في المغرب والأندلس، ملزمين بالاستشارة في كلّ الأمور [7]، فهذه الظروف إذن هي مهدت لـسيطرة الفقهـاء

---

[1] **أنظر** : إشارة أبي الوليد بن رشد لعلي بن يوسف بن تاشفين بتوسير عاصمته مراكش والمـدن الأندلـسية فـي المبحث الثالث من هذا الفصل.

[2] **أنظر** : مسألة حول الزيادة في جامع **سبتة**، سئل عنها القاضي **أبو عبد ا بن عيسي التميمي**، **أبـا الوليـد بـن رشدالجد**، بعد اختلاف أهل العلم عليه فيها. ابن رشد، **الفتاوى**، **س1**، ص 262 وما بعدها.

[3] مؤلف مجهول،**نفس المصدر السابق**، ص 79.

[4] المراكشي،**المصدر السابق**، ص 121.

[5] ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ج1، ص 446 وما بعدها.

[6] بن بية، **نفس المرجع السابق**، ص 168.

[7] كان للمرابطين نائبان رسميان عن أمير المسلمين، أحدهما يقيم **بالمغرب**، **والآخر بالأنـدلس**، ووظيفة نائب أميـر المسلمين سياسية قبل كل شيء، لذلك كان منصبه كممثل أول لأمير المسلمين يتصل بالنظام الـسياسي أكثـر ممـا يتصل بالنظام الإداري، وكان يراعي في اختياره أن يكون أقرب الناس إلى أسرة أمير المسلمين، وأن يسهر علـى تنفيذه سياسة الدولة تطبيقا للتعاليم الإسلامية، وأن يتوفر على كفاءة حربية عالية، ومن الذين تولوا هذا المنصب في دولة المرابطين، **سيرين أبي بكر، علي بن يوسف، أبو الطاهر تميم أبو عبد ا محمد بن عائشة، أبو محمد بـن عبد ا بن فاطمة، يحي بن غانية، أبو عبد ا بن الحاج، تاشفين بن علي، وإبراهيم بن علي، وأبـو بكـر بـن علي**، حركات إبراهيم، المرجع السابق، ص 63 وما بعدها؛ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 71 وما بعدها.

والقضاة على الحياة العامة، سواء في المغرب أو الأندلس، وأعطت لهم الفرصة لبلوغ مراتب النفوذ والسلطة، ويسرت لهم الاستمتاع بسلطان واسع وكلمـة مـسموعة فـي شؤون البلاد في إطار نظام يعد من أهم النظم الإسلامية، ألا وهو نظام القضاء. [1]

II- الفقهاء ووظيفة القضاء :

فضلا عن الدور الاستشاري الذي قام به الفقهاء في مجلس أميـر المـسلمين، مارسوا أيضا نفوذهم وتأثيرهم في المجتمع من خلال الوظائف التي كانوا يتقلّـدونها، ولعلّ أهمها، منصب القضاء هذا المنصب الذي ارتفـع شـأنه وعـلا فـي العهـد المرابطي [2] حيث ازدادت الصلاحيات الموكلة إلى القاضي، فمنح سلطات واسعة إلـى حد كان في وسعه أن يتدخل في اختيار العمال وعزلهم، ومثال ذلك ما قام به **أبو الوليد محمد بن رشد الجد**، حين طلب من أمير المسلمين **على بن يوسف تاشفين** أن يعـزل أخاه **تميما** من النيابة في الأندلس لعدم كفايته [3]، مما سيأتي توضيح أسبابه في المبحث الثالث من هذا المفصل، وقد استجاب على بن يوسف إلى هذا المطلب وعزل تميما في رمضان **520هـ/1026م**. [4]

ويبدو أن سلطة القاضي، كانت فوق سلطة الحاكم الإداري والعـسكري، فهـو الرقيب عليه وعلى العمال والولاة التابعين له، والمسؤول عن تصرفاتهم [5]، وقد بـين أمير المسلمين على بن يوسف المسؤوليات المتوجبة على القاضي في رسالة وجههـا إلى قاضي **مالقة أبي محمد عبد ا بن أحمد بن عمر القيسي** [6] ومما جاء فيهـا مـا يلي: " وقد قلّدناك تقليدا تاما أن تظهر بجهتك من شكاوي العامة في اللطيف والجليـل، وسلمناك القيام بالخفيف منها والثقيل،... وأي عامل من الرعية قامت الـشهادة عنـدك

---

[1] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص ص 320-321.

[2] بن بية، **المرجع السابق**، ص 169.

[3] مؤلف مجهول، **المصدر السابق** ص 73؛

[4] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 73.

[5] بن بية، **المرجع السابق**، ص 180.

[6] كان من أهل العلم والمعرفة ، استقضي ببلده **مالقة** مدة طويلة، بلغت ثمانية عشر عاما، حمدت سيرته فيهـا، ثـم انقطع للعبادة واستعف عن القضاء لكبر سنه الى أن توفي **542ه/1148** ،ابن بشكوال، **المصدر الـسابق**، ج1، ص 285؛ يوسف عيد، يوسف فرحات، **المرجع السابق**، ص 127.

بتعديه وعلمت بصحة استهدافه وتصديه، فإنّه أمره إلى صاحب البلاد مستعمله ومولي ـه وأشعره بما ثبت عندك فيه فإن غل يد أذيته، وأنفذ عزله عن رعيته وإلاّ فأخف ذل ـك إلينا في سائر ما يتوقف لديك من الأمور التي تقصر عنها يدك... وأي عذر لك وق ـد شددنا من أزرك، وعضدنا من أمرك.....". [1]وكانت سلطة القاضي وأحكامه نافذة على الجميع أميرا ومأمورا، بتفويض من الأمراء المرابطين الذين تشددوا في ذل ـك ت ـشددا كبيرا، وهذا ما نلمسه في رسائلهم إلى الولاة والعمال على الأقاليم [2] وفي ذل ـك يق ـول **الأمير علي** مخاطبا القاضي **أبو القاسم بن حم ـدين** " وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كل حقّ تمضيه، ولا يتعرضوا لك في قضاء تق ـضيه ... والعم ـال والرعية كافة سواء في الحقّ، فإن شكات إليك الرعية بعامل وصح عندك ظلمه له ـا، ولا يتجه في ذلك عمل غير عزله فاعزله، وإن شكا العامل من رعيت ـه خلاف ـا ف ـي الواجب، فاشكه منها وقومها له، ومن استحق من كلا الف ـريقين ال ـضرب وال ـسجن فاضربه واسجنه، وإن استوجب الغرم في ما استهلك فأغرمه، واسترجع الحقّ ش ـاء أم أبى من لدنه، وأمر في استكفاء من يكفيك، ويغني في بعض الأمور عن ـك إلي ـك، ولا تشير عليك بشيء، وتصرفك أحيانا في إصلاح صنعك وترفيع معاشك غي ـر م ـضيق عليك فيه فأعلمه ". [3]

فهذه الرسالة تبدي جليا أن القاضي لا يرد له حكما وأن حكمه نافد بين السلطتين التنفيذية والمتمثلة في المرابطين وعمالهم، وبين رعيتهم [4]، من أمثلة ذل ـك أن أمي ـر اشبيلية **وجداي بن عمر بن سير** عندما تسبب في إحدى غزواته ف ـي ح ـبس بع ـض المسلمين بسبب تهاونه في أخذ الحيطة رفع القضاة الأمر إلى أمير المسلمين على ب ـن **يوسف بن تاشفين،** فألزم **وجداي** فدية من أسر وأنفذ الأمر بعزله. [5]أما تعيين ه ـؤلاء القضاة، فكان يتم إما بأمر من الحاكم [6] أو يرشح أهل المنطقة واحدا منهم بين علمائهم

---

[1] بن بية، **المرجع السابق،** ص 170؛ الهدفي، **المرجع السابق،** ص ص 268-269.

[2] **نفس المرجع و الصفحة.**

[3] ابن بسام، **المصدر السابق،** مج2، ص 160.

[4] بن بية، **المرجع السابق،** ص 171.

[5] ابن بسام، **المصدر السابق،** مج1، ص ص 261-262.

[6] حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق،** ص 283؛ حسن علي حسن، **المرجع السابق،** ص 162.

لتولي قضاء بلادهم، ثم يرسلون بترشيحهم للأمير الذي يقر هذا الترشيح، كما حدث في **قرطبة** عندما استعفى **أحمد بن رشد** عن القضاء، واختار أهلها القاضي **أبا جعفر بن حمدين** وبعثوا باختيارهم إلى أمير المسلمين **علي بن يوسف** فأقرهم على اختيارهم. [1]

ويترأس هيئة القضاء قاضي الجماعة [2] وهو مصطلح مستحدث بالأندلس يعود إلى لقاضي **قرطبة يحي بن يزيد التجيبي** [3]، وكان في العهد المرابطي قاضيان للجماعة، أحدهما مسؤول على القضاء بالأندلس ومقره **قرطبة** [4] ومن أشهر من تولى هذا المنصب، القاضي **أبو الوليد محمد بن رشد الجد** [5]، **وأبو القاسم أحمد بن حمدين التغلبي** [6]، **وأبو عبد ا بن خاف التجيبي المعروف بابن الحاج** [7]، والآخر مقره **بمراكش،** وكان يسمى في بعض الأحيان بقاضي الحضرة، كما كان من أقرب الفقهاء إلى قلب أمير المسلمين، وأدناهم منه مجلسا، فقد كان من أهم أعضاء المجلس الاستشاري، يستفتيه ولي الأمر في كلّ ما يعرض له من شؤون [8]، من أشهر من تولى هذا المنصب **أبو عبد ا محمد بن إبراهيم اللخمي** [9] **وأبو سعيد خلوف بن خلف الصنهاجي.** [10]

ويبدو أن المرابطون قد قطعوا في سبيل تنظيم القضاء شوطا أبعد من ذلك بكثير، إذ اتخذوا فقيها له السلطة العليا على قضاة المغرب والأندلس، على السواء،

---

[1] النباهي، **المصدر السابق،** ص 135.

[2] بن بية، **المرجع السابق،** ص 171.

[3] الخشني، **المصدر السابق،** ص ص 47-49؛ ابن الفرضي،**المصدر السابق،** ص 177؛ أبو الفضل محمد، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس،** دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 287.

[4] الهدفي ، **المرجع السابق،** ص 222.

[5] ابن بشكوال، **المصدر السابق،** ج2، ص 546؛ النباهي، **المصدر السابق،** ص 130.

[6] النباهي، **نفس المصدر السابق،** ص 135.

[7] **نفسه،** ص 134.

[8] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق،** ص 321؛ حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق،** ص 227.

[9] ابن الأبار، **المعجم،** ص 214.

[10] ولي قضاء **غرناطة** للملثمين بعد أبي بكر بن القليعي، ثم صرف بأبي عبد ا بن حسون الكلبي سنة ، كما ولي قضاء مدينة **فاس،** ولقد كان من أهل العلم والفضل، صادعا بالحقّ، ساعيا إلى أعمال البر، لا تأخذه في ا لومة لائم، توفي بمدينة فاس، وهو يتولى قضاءها.ابن الأبار، **التكملة،** ج1، ص 314.

وهو بمنزلة وزير العدل في الأسماء الحديثة [1]، وهو منصب مشيخة القضاء بالعدوتين وكان يعطى لقاضي الحضرة بمراكش أو قاضي سبتة وطنجة، وتارة لقاضي الجماعة **بقرطبة**، وكان **أبو الوليد محمد بن رشد الجد** بثقله ومكانته من بين من ولي هذا المنصب من الأندلسيين، ثم خلفه **محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي** [2]، وكانت سلطة الفقيه الذي يتولى مشيخة القضاة قوية إلى درجة كان يترتب على أمير المسلمين أن يستشيره في تعيين غيره من القضاة [3]، كما تعددت وتنوعت مهامه، إذ كان عليه أن يبسط إشرافه على عدة خطط كخطة الشورى والفتيا، وخطّة الأحكام والصلاة والخطبة [4]، أما خطّة الشورى فكان يتولاها فقهاء يعمل القاضي على اختيارهم من أهل المدينة المعروفين والمشهورين بالورع والتقوى والتبصر في الفقه، يشاورهم في الأحكام، وكان عددهم في أغلب الأحيان أربعة اثنان يشتركان في مجلس القاضي، واثنان يدليان بالشورى للطلاّب في المجلس الجامع [5]، وكان يتزعمهم واحد منهم، يقوم على تنظيم شؤونهم [6]، **أما الفتيا** فكانت في بعض الأحيان تضاف إلى الصلاة والخطبة، وفي بعض الأحيان يعمل القاضي على تولية فقيه لكلّ خطّة من هذه الخطط، يستقل بشؤونها، ويختص بها [7]، مثل خطّة الأحكام، التي كان يختار لها فقيها من أهل الثقة المعروفين بالعلم والنزاهة، اختصاصه الفصل في القضايا البسيطة. [8]أما المسؤوليات الكبيرة التي يتطلب الفصل فيها الجرأة والشجاعة والعدل والقوة لإحقاق الحقّ، فكانت تترك للقاضي نفسه حتى يفصل فيها، وينفذ حكمه حيالها وذلك على الجميع سواء كانوا حكاما أو عمالا أو قادة أو أشرافا [9]، ونلمس هذه السلطة الواسعة

---

[1] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 322.

[2] **نفس المرجع والصفحة**

[3] بن بية، **المرجع السابق**، ص 173.

[4] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق**، ص 322.

[5] ابن عبدون، **رسالة في الحسبة**، ص 197، نقلا عن حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 322؛ حسن حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص 279.

[6] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق**، ص 322.

[7] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 122.

[8] حسن علي حسن، **المرجع السابق**، ص 165.

[9] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق**، ص 122؛ حسن علي حسن، **نفس المرجع السابق**، ص 166.

التي بسطها القضاة على المجتمع دون تمييز بين فئاته مما ورد في عقد تولية قاضي الجماعة **ابن حمدين**، حيث جاء على لسان **أمير المسلمين** : " ولا تبال برغم راغم، ولا تشفق من ملامة لائم، فآس بين الناس في وجهك وعدلك، ولا يكن عندك أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحقّ له، ولا أضعف من القوي حتى تأخذ الحقّ منه وانصح تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام ولنا ولجماعة المسلمين... ". [1]

وكان القاضي إلى جانب هذا السلطان الواسع، يتولى الإشراف على بيت المال، وموارده من أموال الأوقاف والأحباس، فكان يقيم الصوامع، ويعمل على إصلاح المساجد وينفق على خدمهم، ويصنع المنابر والمحارب [2]، وكانت موارد بيت المال حسب ما ذكر **عبد المجيد بن عبدون التجيبي** [3] تستغل في الجهاد وسد الثغور [4] وكانت في بعض الأحيان تقع في أيدي العابثين، فلقد شدد **ابن عبدون** النكير على القضاة قائلا : " يجب على القاضي أن لا يمكّن من بيت مال المسلمين أحدا، وأن يحافظ عليه جهده، وأن يخدمه ولا يتصرف في أبوابه إلاّ رجل غني عدل، حتى لا يترك أحد يتصرف في شيء منه إلاّ برأي من القاضي ". [5]

فضلا عن ذلك فقد اشترك القضاة والفقهاء في الغزو والجهاد، وخرجوا مع الجند يحثونهم على التفاني في القتال، وحضروا مجالس الأمير، وأشاروا عليه في كلّ ما يعرض له من شؤون، فلا مراء إذن إذا كان الفقهاء والقضاة قد عظم نفوذهم، وكثر مالهم وجاههم، وارتفعت مكانتهم، ويتضح ذلك مما دونه **ابن عبدون** الذي كشف عن سلطة الفقهاء وصور سطوتهم ونفوذهم أصدق تصوير، وذكر أنّهم سيطروا على الحياة العامة، حتى أصبحوا حكام البلاد الحقيقيين وأضحت سلطة الأمراء المرابطين لا

---

[1] ابن بسام، **المصدر السابق**، مج2، ص 160؛

[2] الهدفي، **المرجع السابق**، ص 269.

[3] كان يعيش في بلاط **المتوكل بن الأفطس** في **بطليوس**، وعندما زالت دولتهم، التحق بخدمة **سيرين أبي بكر اللمتوني**، ثم كتب **ليوسف بن تاشفين وابنه علي** ، وكان من كبار شعراء الأندلس فإليه تنسب مرثية بني الأفطس المسماة بالعبدونية. **أنظر ترجمته** : المراكشي، **المصدر السابق**، ص 116، حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص 275 وما بعدها.

[4] ابن عبدون،**المصدر السابق**، ص 223 .

[5] ابن عبدون، **المصدر السابق**، ص 200.

تتجاوز الشؤون العسكرية. [1]ولقد كان الوزير أو كاتب الأمير يمثل حلقة اتصال بـين القاضي، وبين الأمير صاحب السلطة العليا، حيث كان القاضي يمثل السلطة الفعليـة، والحاكم يمثل السلطة العليا التي تسيطر وتهيمن من بعيـد، فـإذا تعاونـت الـسلطتان صلحت الأحوال، وإذا تعارضت وتضاربت مصالحهما، فسد حال البلد، ونشب الخلاف بين أهله.[2]وكان القضاة في المدينة يتدخلون في صغائر الأمور وكبائرها، حتـى فـي شؤون أصحاب الحرف والصناعات، فكان يولي كلّ حرفة واحدا من أهلها بفض مـا ينشب من خلافات [3]، ويحرص **عبد المجيد بن عبدون، -وهو من الفقهاء**- علـى أن تبقى الأمور بين القضاة، فلا يتدخل الأمير في شؤونهم، حيث يقول : " إذا وقع بيـنهم الخلاف في شيء من أمورهم لا يبلّغون الحاكم، بل يحدهم القاضي، ذلك أن يرجع إلى حكمه ورأيه فهو أرفق لهم وأستر لانكشافهم ". [4] و القاضي لم يكن له سـلطان لغيـر القانون، يحكم وفق الشرع لا يخالفه أو يخرج عليه في شيء، ينفذ حكمه على النـاس فهم سواء أمام القانون، يحكم حتى على ولي الأمر نفسه، إذا جار أو حاد عن الحقّ. [5]
كلّ هذا جعل القضاة في عهد المرابطين يحتلون مكانة مرموقة، ونفـوذا واسـعا قـلّ نظيره، حتى أن بعضهم صاروا يدخلون المدن دخولا رسميا يشبه إلى حد كبير دخول الأمراء [6] فهذا القاضي **عياض بن موسى اليحصبي**، لما قدم **غرناطة** متوليا القـضاء بها، خرج الناس لاستقباله، واحتفلوا به " **وبرزوا تبريزا ما رأيت لأمير مؤمر مثلـه** " على حد ّتعبير إحدى المصادر [7]، وقد شجع الأمراء ذلك وأمروا بالاحتفـاء بالقـضاة حتى وأصبح التعظيم والاحتفاء من عادات هؤلاء القضاة فهاهو أحدهم وهو القاضـي

---

[1] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق**، ص 325.

[2] ابن عبدون، **نفس المصدر السابق**، ص 304.

[3] **نفسه'** ص 314.

[4] **نفس المصدر و الصفحة**.

[5] حسن أحمد محمود، **نفس المرجع السابق**، ص 328.

[6] إبراهيم بوشتيش القادري، **المرجع السابق** ، ص 145.

[7] المقري، **أزهار الرياض**، ج1، ص 11.

أبو بكر محمد بن إبراهيم بن أسود الغساني [1]، ينزعج من كون أميـر غرناطـة لـم يختفي به لما مر به متوجها إلى **قرطبة**، فشكا ذلك لنائب أميـر المـسلمين بالأنـدلس **تاشفين بن علي**، فأرسل بكتاب لأمير **غرناطة** يلومه على عـدم احتفائـه بالقاضـي، وتقصيره في العناية بأمره. [2]

ولقد كان أثر هذه المكانة الرفيعة التي تمتع بها الفقهاء والقـضاة أن أصـبحوا ذوي جاه عريض ومال جزيل [3] " فانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أمـوالهم واتسعت مكاسبهم " [4] وارتفع قدرهم، وعظم سلطانهم واجتمع الناس حـولهم متـزلّفين متقربين، وقصدهم أصحاب الحاجات يلتمسون الوساطة والـشفاعة [5]، وقـد اختلفـت مسالك القضاة وطرقهم في استغلالهم واستفادتهم من النفوذ الذي أعطتهم إيـاه وظيفـة القضاء [6]، فمنهم من سخره لإقامة الحقّ وكبت الإجرام وأهله **كأبو بكر بن العربـي** ، الذي كانت له في الظالمين صورة مرهوبة [7] **والقاضي عياض بن موسى اليحـصبي** الذي ما إن حلّ بقرية أو مدينة إلاّ أزال عنها المظالم والمكوس [8]، وآخرون اسـتعملوه في البر بالناس ومشاركتهم أفراحهم وأقراحهم وجميع ما يلم بهم إلى جانب إقامة الحقّ والعدل، مثل **القاضي أبي عبد ا محمد بن حمدين** [9]، **والقاضي أبو الوليد محمد بـن رشد الجد،** الذي كان الناس يلجئون إليه ويعولون في مهماتهم عليـه [10] ممـا سـيتم توضيحه بإسهاب في المبحث الثالث من هذا الفصل، **والقاضـي محمـد بـن أصـبع**

---

[1] من أهل **المرية،** روى عن أبي علي الغساني وغيره، وكانت له رحلة لقي فيها أبا بكر الطرطوشـي، وغيـر، شوور ببلده لمعرفته، كما استقضى **بمرسية،** مدة طويلة لم تحمد سيرته فيها، ثم صرف من ذلك وسكن **مراكش** إلى أن توفي من سنة ست وثلاثين وخمسمائة، أنظر : ابن بشكوال**، المصدر السابق،** ج2، ص 553.

[2] برشتيش **،نفس المرجع السابق،** ص 145؛ بن بية، **المرجع السابق،** ص 174.

[3] دندش عصمت عبد اللطيف، **الأندلس في نهاية المرابطين،** ص 237.

[4] المراكشي، **المصدر السابق،** ص 121.

[5] **نفس المصدروالصفحة** ، دندش، **المرجع السابق،** ص 273.

[6] بن بية، **المرجع السابق،** ص 175.

[7] ابن العربي، **العواصم،** ص 143.

[8] بن بية، **المرجع السابق،** ص 175.

[9] عياض، **الغنية،** ص 46.

[10] عياض ، **نفس المصدر** ، ص 54.

المعروف بابن المناصف ، فلم تكن هذه الفئة من القضاة العلماء، تسعى إلى جمع الثروة عن طريق المنصب، ولا لاستعماله لأغراض شخصية أو مكاسب مادية، بل كان كلّ همها إقامة الحقّ والعدل الذي امتحنوا وابتلوا في سبيل إقامته بشتى أنواع الابتلاءات [1]، فلقد تعرض قاضي الجماعة **بقرطبة محمد بن أحمد بن الحاج التجيبي** للقتل رغم ما عرف عنه من لين وصبر وحلم وعدل [2] والقاضي **أبو بكر بن العربي** الذي ثار عليه الفسقة **بأشبيلية،** لحزمه وصرامته مع الجناة والمفسدين في المدينة، الأمر الذي لم يرق لمن تعود حياة اللهو، فثاروا عليه وتألبوا ضده محاولين قتله [3]، وهذا ما يصوره ابن العربي بنفسه في كتابه **العواصم** من ، في قوله:" وقد حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لم يك يرى في الأرض منكر، واشتد الخطب على أهل الغضب، وعظم على الفسقة الكرب، فتألّوا وألّبوا فثاروا إلي واستسلمت لأمر ا ، وأمرت كلّ من حولي أن لا يدافعوا عن داري، وخرجت على السطوح بنفسي، فعاثوا علي وأمسيت سليب الدار، ولولا ما سبق علي من حسن المقدار لكنت قتيل الدار ". [4] ومثل هذه الحادثة تكررت سنة 534هـ، حيث قامت العامة بقرطبة بالثورة على **أبي القاسم بن رشد** مما اضطره للاستعفاء عن القضاء. [5]

إن هذه الفئة من القضاة الأعلام هم الذين أصحوا مثلا وقدوة يحتذي بها في القيام بواجباتها الشرعية كاملة، والارتفاع عن الظلم والجور والارتشاء ، فلم يفيدوا مالا ولا ثراء بل كان أغلبهم على مثل حال القاضي **أبو عبد ا محمد بن عيسى التميمي** الذي كان من أحسن القضاة سيرة فقضى حياته فقيرا حميدا [6] وحتى الأغنياء

---

[1] بن بية،**نفس المرجع السابق**، ص 176.

[2] ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج2، ص 550.

[3] الهدفي ، **المرجع السابق**، ص 175.

[4] ابن العربي، **المصدر السابق**، ص ص 143-144.

[5] ابن الخطيب،**أعمال الأعلام**، ص 253.

[6] عياض ، **المصدر السابق**، ص 29.

منهم حرصوا على أن يشركوا الناس أموالهم **كالقاضي محمد بن أصبغ** الـذي كـان " ينفق في كلّ يوم على ثلاثمائة بيت يعيل ديارهم ويقيل عثراتهم ". [1]

إلى جانب هذه الفئة من القضاة الذين أصبحوا مثلا وقدوة، هناك فئـة أخـرى انحرفت عن جادة الاعتدال،واستغلت القضاء واتّخذته مطية لمآرب دنيويـة، فجمعـت الأموال من حلها وحرامها [2]، فبلغ ثراءهم ما لم يبلغه القضاة والفقهاء في أي عـصر من العصور، الأمر الذي تنبهت له السلطة العليا، فكان مصير الكثير مـنهم العـزل، ولعلّ ما حدث **لابن ملجوم قاضي فاس** [3] أحسن مثال على ذلك، ومما جاء في كتـاب عزله الذي أرسله **علي بن يوسف** إلى **فاس** ما يلي : " ... وقد أنهي إلينـا، وتحقـق لدينا أن ابن ملجوم أجهل بأحكام القضاء من العلجوم، وأنّه أظهر فيكم أحكاما، يتـرحم من مثلها على السدوم، فقد وليناه خطّة الملوم، **... ".** [4]

كما كان قاضي **مرسية، محمد بن أسود الغساني**، من القضاة الذين لـم تحمـد سيرتهم، فكان جزاءه أن غرب منكوبا إلى **مراكش** [5]،

لقد أدى ذلك السلطان الواسع الذي تمتع به القضاة أن انصرفت وجـوه النـاس إليهم وتعلقت آمالهم بهم، فصاروا معظمين عند عامة الـشعب وخاصـتهم، ومـدحهم الشعراء إما اعترافا بفضلهم وعملهم أو طمعا في نوالهم [6]، كما حسدهم كثيرون مـن أهل **الأندلس** بسبب هذا الجاه العريض، وهذه الأموال الجمة التي حازوها [7]، ويتبـين ذلك من قول الشاعر **أبي جعفر بن محمد المعروف بابن البني** [8] يهجوا القاضـي أبـا **عبد ا محمد بن حمدين** قاضي قرطبة :

---

[1] ابن سعيد ، **المصدر السابق**، ج1، ص 163.

[2] بن بية، **المرجع السابق**، ص 176؛ حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص 330.

[3] بيت **بني ملجوم** بفاس من بيت علم وقضاء، ظهر وبرز فيهم في العهد المرابطي **كلّ من يوسف بن عيـسى بـن ملجوم** وكان من أهل التقوى والشورى، وتولى قضاء الجماعة بمراكش ليوسف بن تاشفين، إلى أن تـوفي، ، كمـا برز في هذا العصر **عيسى بن يوسف بن ملجوم** . **أنظر** : النباهي، **المصدر السابق**، ص 133.

[4] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 92، حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص 285.

[5] ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج2، ص 553.

[6] دندش، **المصدر السابق**، ص 275.

[7] المراكشي، **المصدر السابق**، ص 121.

[8] شاعر معاصر للفتح ابن خاقان، وترجم له في كتابه القلائد. **أنظر** : ابن خاقان،**القلائد** ، ص 311.

أهل الرياء لبستم ناموسكـم **كالذئب أولج في الزمان العاتم**

فملكتمو الدنيا لمذهب مـالك **وقسمتم الأموال بابن القاسـم**

وركبتمو شهب الدواب بأشهب **وبأصبغ صبغت لكم فـي العـالم** [1]

وأبا إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي يقول عنهم :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم **فيـها صـدر المجالـ ـس**

وتزهدوا حتى أصابوا فرصة **في أخذ مال مساجد ومكانس** [2]

ولم يقتصر انتقاد الفقهاء على الشعراء وحسب وإنّما تعداه إلـى بعـض أفـراد الصوفية، مثل **ابن العريف،** الذي استطاع من خلال وظيفته كمحتسب أن يتعرف على الكثير من الفقهاء والقضاة، الذين يكنزون الذهب والفضة، فـسماهم " علمـاء الـسوء وكبراء أهل الدنيا المغرورين "، ووصفهم بقوله : " كان الكبر والفخر والسرور يجمع الدنيا في وجوههم باديا، وناموا بجنوبهم على اللين من أنواع الملبوس، إيثارا لراحـة النفوس، عملا متماديا، واعتمدوا بظهورهم على صدور المجالس زهوا على الخواطر، ظاهرا باديا، وأي ظهور لم تثقل بأعباد الدين ولا نشطت للقيام بأمور المـساكين، بـل خفت واستريحت بطرحها لأثقال الأمانة، وقامت بشرائع مثالها أهل العجز والخيانة ".[3]

ورغم الأهمية الكبيرة، والمنزلة الرفيعة لوظيفة القضاء، فلقد زهد عدد كبير من العلماء فيها، ورفضوا قبولها، ولم يكن ذلك لضعفهم عن إقامة العدل وإحقاق الحقّ، ولا جهلا بما في إقامة الحقّ والعدل من أجر عريض، بل لأنّهم كانوا يرون أن ما هم فيـه من تدريس وتعليم لا يقلّ أجرا من ذلك [4]، فها هو **الفقيه هشام بن سعيد بن أحمد بـن الجواد** [5] يعرض عليه القضاء فيتمتع عن ذلك، وحتى الذين تولـوا القـضاء لـسبب أو لآخر فإن البعض منهم سرعان ما استعف عنه، ومن أشهر هؤلاء **القاضي أبو علي الصدفي** الذي تولى قضاء **مرسية** نزولا عند رغبة أهلها، " فسار فيه سيرة فضحت من

---

[1] المراكشي، **المصدر السابق**، ص 121.

[2] ابن خفاجة، **الديوان**، تحقيق وشرح كرم البستاني، مكتبة الصادر، بيروت، 1951، ص 329.

[3] دندش، **المرجع السابق**، ص 274؛ بن بية، **المرجع السابق،** ص 181.

[4] بن بية، **المرجع السابق**، ص 182.

[5] ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج2، ص 619.

كان قبله، وأتبعت من جاء بعده " [1]، لكنه سرعان ما استعف، ولما رفض إعفاءه هرب إلى **المرية** و بقي فيها شهورا إلى أن جاء كتاب الإعفاء، فعاد لتلاميذه وطلبته [2]، **وأبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد** الذي تولى قضاء الجماعة لمدة قصيرة، ثم استعف حتى يتفرغ لإكمال موسوعته الفقهية **البيان والتحصيل** فتم إعفاءه [3]، أمـا الـبعض الآخر، فلقد بقوا في وظائفهم مكرهين، من بينهم قاضي الجماعة **بقرطبة محمـد بـن أحمد بن الحاج التجيبي** الذي رغم ما تمتع به من حظوة عند أمير المـسلمين فإنّـه استعف عن منصب القضاء، إلاّ أنّه ما يكاد ينعم به حتى أجبر وأكره على القضاء مرة ثانية [4]، وكذلك القاضي **أبو عبد ا محمد بن عيسى التميمي**، الذي استعف عن قضاء **سبته** فأعفي ثم أجبر على قضاء **فاس** بعد أن سجن بسبب رفضه لـذلك [5]، ونوافـق **محمد محمود عبد ا بن بية**، على أن الإجراءات التي اتخذها المرابطـون بإرغـام العلماء على تولي منصب القضاء قريبة من الصواب، إذ كيف يقوم الحقّ وينشر العدل إذا لم يجد الحكام من يعينهم عليه من أهل العلم والفضل ؟. [6]

علما أن مهام الاستشارة والقضاء التي تولاها العلماء والتي أفادوا منها مجتمعهم واستفادوا هم منها مكانة وجاها، لم تشغلهم عن وظيفتهم الأساسية ومهمتهم الأولى، ألا وهي نشر العلم، فلقد قام العلماء في هذا العصر بدورهم كاملا، وانتشرت حلقات العلم في نواحي **الأندلس والمغرب**، واتجه إليها الطلبة من كلّ حدب وصوب،و بالرغم مـن أن الكثير من العلماء حرصوا على أن تكون وظيفة التعليم شغلهم الشاغل. فلقد شـكّلوا في هذه الفترة من تاريخ **الأندلس** تيارا فكريا أثّر أفراده في المجتمع تأثيرا بليغـا مـن خلال النّفوذ الذي كان يتمتعون به والذي جعل منهم فئة مـؤثرة فـي المجتمـع وذات نصيب كبير في توجيهه حيث اشتهر في هذا العهد علماء أجلاء كانت مـشاركة فـي

---

[1] ابن بشكوال، **المصدر السابق**،ج1، ص 144.

[2] عياض، **المصدر السابق**، ص 131.

[3] **نفسه** ، ص 54؛ ابن بشكوال، **نفس المصدر السابق**، ص 547.

[4] عياض، **نفس المصدر** ، ص 47.

[5] **نفسه**، ص ص 27-29؛ مخلوف، **المصدر السابق**، ص 124.

[6] بن بية، **المرجع السابق**، ص 183.

القرارات و التّوجيهات[1] وبما أنّنا اتّخذنا من ابن رشد الجد أنموذجا للسلطة العلمية بالأندلس في هذه الفترة سنكتفي بذكر مواقفه مع السلطة السياسية المرابطية.

III- ابن رشد والسلطة السياسية :

إن ذلك التحصيل العلمي والثقافي الذي وصل إليه **ابن رشد الجد**، مما سبق التطرق إليه، جعله يحتل مكانة مرموقة عند الخاصة والعامة " فكان مقدما عند أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، عظيم المنزلة عنده، معتمدا على فتواه و شوراه " [2]، واستخدم ابن رشد الجد هذه المنزلة الرفيعة لرعاية أهل بلده وخدمتهم " فكان الناس يلجئون إليه، ويعولون في مهماتهم عليه " [3] في شتى أنحاء المغرب والأندلس، يستفتونه ويأخذون بآرائه وفتاويه في المسائل الفقهية، ومشاكل حياتهم اليومية التي تتطلب معرفة حكم الشرع فيها [4]، فكان ملاذهم و مؤلهم في تلك السنين العصيبة التي عرفت شدة الضغط النصراني على الأندلس، وما صحب ذلك من اضطراب وقلق شديدين [5]، إذ كانت له مواقف بارزة وإجراءات حاسمة داخل إطار دولة المرابطين، التي كان مواليا ومطيعا لها، حيث خدمها وتولى لها قضاء الجماعة **بقرطبة**، لكن دون أن يكون أبدا من صنف فقهاء البلاط المستسلمين للسلطة، الملازمين لركابها [6]، فالسياسة عند **ابن رشد**، ليست التسابق إلى الحكم يأتي طريقة، وإنّما تعني المفهوم الإسلامي للسياسة، أي الاهتمام بالأمور العامة للمسلمين وفق نظام تعين، ألا وهو الإسلام الذي يقوم على حفظه الخليفة أو الإمام، انطلاقا من مبدأ أساسي فيه وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. [7]

---

[1] بن بية، **المرجع السابق**، ص 205.

[2] عياض، **المصدر السابق**، ص 54.

[3] ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج2، ص 547.

[4] كمال السيد أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص4 وما بعدها.

[5] حسين مؤنس، **شيوخ العصر بالأندلس**، ص 96.

[6] عمر بن حمادي، **من مشاكل كتاب المعيار للونشريسي، نسبة الفتاوى إلى أصحابها والظروف التي حفت بإنجازه وظهوره**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، 2001، العدد الخامس والعشرون، ص 76.

[7] ابن رشد، **المسائل**، ج1، ص ص 30-31.

إن تلك المكانة الكبيرة التي وصل إليها **ابن رشد،** بين معاصرية، جعلت السلطة السياسية في احترام دائم لآرائه وفتاويه، وهذا ما سنلمسه جليا في عدة مواقف قام بهـا سواء في إطار توليه القضاء، أو بعد استعفائه عنه، والتي تبرز مدى علو شأنه وسـمو منزلته عند أمير المسلمين **علي بن يوسف بن تاشفين**.

1- ابن رشد القاضي :

عرفنا فيما سبق أن وظيفة القضاء، حضت بعناية ومكانة خاصـة فـي العهـد المرابطي، حيث خولّها الأمراء المرابطون استقلالا واضحا، ومنحوها سلطات واسعة، إلى درجة أصبح القاضي هو الذي يمثل السلطة الفعلية التي تسيطر من بعيد [1]، ففـي نطاق هذا النظام، مارس **ابن رشد** منصب قاضي الجماعة، وفي نطاقه مارس المشورة القضائية، ومن خلاله برزت مكانته العلمية، وتوسعت سلطاته حيـث أشـرف علـى الهياكل الإدارية التابعة له، والتي تدخل تحت أنظاره، وعين فيها الأشخاص باختياره، وتجاوبوا معه واستفتوه في كل ملماتهم [2]، وهذا ما سعى إلى توضيحه احد الباحثين في قوله: وكان الأمراء الأندلسيين، يستفتون قاضي الجماعة **بقرطبة** في كلّ ما يتعلق بهذه البلاد من شؤون. [3]

وقد تم تعيين **أبو الوليد بن رشد** الجد، في هذا المنصب الإداري، بأمر من أمير المسلمين **على بن يوسف بن تاشفين في جمادى الأولى سنة 511** هـ [4]، إلاّ أن **ابـن رشد** وكعادة كبار الورعين من الفقهاء، رفض توليه، لكنّه وأمام إلحاح أمير المـسلمين عليه لم يجد سبيلا لرفضه، فتولاه وهو لذلك كاره [5]، وإذا التفتنا لعمر ابن رشد في هذه الفترة، نجده قد جاوز الستين من عمره، وهي سن الشيخوخة التي يكون فيها المرء قد اكتسب تجارب كثيرة، وحصل علوما جمة، ونال الشهرة في دروسه، وسمعة في فتواه، ومكانة في بيئته، وكان **ابن رشد** أول من شرف بتولي منصب قاضي الجماعـة مـن

---

[1] ابن رشد، **نفس المصدر**،ج1، ص ص 41-42.

[2] التليلي، **المرجع السابق**، ص 218.

[3] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق،** ص 321.

[4] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 41-42؛

[5] مخلوف، **المصدر السابق**، ص 293.

أسرته، ثم تولاها بعده ابنه **أبو القاسم أحمد،** ثم حفيده **أبو الوليد محمد بن أحمـد**، إلاّ أنّه إذا كان **ابن رشد الجد** قد تولاها وهو في سن الشيخوخة، فإن **ابنـه وحفيـده** قـد تولياها في سن أصغر بكثير. [1]

والظاهر أن أسبقية **الجد** في القضاء، وحسن سمعته وسـيرته، أكـسبتا الابـن والحفيد شهرة وجاها، مما جعل منصب القضاء يسند إليهما في سن مبكرة عن عمـر الجد حين تقلّدها. [2]

كما يبدو أن اختياره من بين أقرانه المبرزين والشيوخ الكبار، **بقرطبة** ومن بيت حسيب من بيوتات الأندلس المرموقة، كان عن قصد، راعي فيه أمير المسلمين **علـى بن يوسف بن تاشفين**، الاعتبارات العلمية والاجتماعية والسياسية، فهو لم يختر ولـم يعين على الأندلسيين إلاّ واحدا منهم، ولم يول قضاء قرطبة إلاّ واحدا مـن مـشايخها الكبار، الذين علا صيتهم فيفي مختلف الأقطار، وحتى لو طلب رأيهـم فـي اختيـاره لوافقوه. [3]

أما تاريخ التولية، فكان عند جواز أمير المسلمين **على بن يوسف بن تاشـفين** جوازه الثالث إلى الأندلس س**نة 515هـ/ 1117م** [4]، وها هو ابن رشد الجـد يمـدنا بتاريخ توليه القضاء في مقدمة كتابه البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه، والتعليل ، في قوله " وامتحنت بتولي القضاء، وذلـك فـي جمـادى الأولـى، سـنة **511هـ"[5]،** وجاءت سائر المصادر موافقة لذلك، **[6]**، ولا صحة لمـا أورده ، صـاحب المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، الذي جعل أمر التولية في جـواز أميـر المـسلمين الثاني إلى الأندلس، في قوله : " ودخل إلى الأندلس مرة ثانية بجيوش لا تحصى، فنزل

---

[1] تولى أبو **القاسم بن رشد** الابن القضاء عن عمر يناهز 45 سنة أما **أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيـد،** فقد تقلّد القضاء عن عمر يناهز 46 سنة، وكان قد تقلد قبل ذلك **قضاء إشبيلية** عن عمر يناهز 44 سـنة. أنظـر : التليلي، **المرجع السابق**، ص 209.

[2] **نفس المرجع و الصفحة**.

[3] التليلي، **المرجع السابق** ، ص209 .

[4] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 62.

[5] ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ج1، ص 15.

[6] عياض، **المصدر السابق**، ص 54 ،ابن فرحون،**المصدر** السابق،ص374 .

بقرطبة وتفقد أحوالها، وولى ابن رشد الجد القضاء "[1]، فلقد أخطأ ابن أبي دينار في تقديره بدليل ما ذكره **ابن رشد** بقلمه[2]، وما أورده **ابن عذاري** في بيانه قائلا : " وفي سنّة احد عشر وخمسمائة تحرك أمير المسلمين **علي بن يوسف** من حضرته **مراكش** إلى بلاد الأندلس فأجاز البحر في أواخر محرم، ويمم **اشبيلية** ريثما استتب أمر الغزو، ولحقت العساكر العدوية، وتأهبت العساكر الأندلسية، ولحقت **قرطبة** لمة من الفقهاء والعلماء، ولفيف من المجاهدين الزعماء خيلا ورجلا، وتأهب فقهاء **اشبيلية** ومجاهدوها، واستوفت مطوعة **غرناطة** ومرتبوها، ثم تحرك أمير المسلمين بجميع العساكر من **اشبيلية**... وأسند أمير المسلمين على ولاية **ابن الوليد بن رشد** خطّة القضاء **بقرطبة** "[3] وبدليل ما أورده صاحب الحلل الموشية أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، أجاز البحر إلى الأندلس أربع مرات، فكان جوازه الأول سنة **500هـ/ 1106م**، والثاني في صدر **503هـ/ 1109م**، والثالث أوائل **511هـ/ 1117م** والرابع سنة **515هـ/1121م**.

ولقد اعتبر **ابن رشد** هذه التولية تكليفا لا تشريفا، وعد التولية ابتلاء لا راحة، وهذا ما نلمسه في قوله لما شرع في شرح **رزمة الأقضية** "وامتحنت بتولي القضاء"[4]، زيادة على ذلك فلقد تولى ابن رشد إمامة الصلاة بجامع قرطبة، ففي: ترجمته عند **أحد تلاميذه ورد أنّه " قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها**"[5] وبذلك يكون قد جمع بين منصبين أحدهما ديني، والآخر دنيوي[6]، إلاّ أن أخلاق ابن رشد غلبت عليه، فزانت القضاء، فهو الذي وصف " بالدين والوقار والحلم والسمت الحسن والهدي الصالح "[7]، فشخصيته هذه، وجميل صفاته هي التي رشحته ليصبح ذا

---

[1] ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، تحقيق محمد الشمام، الطبعة الثالثة، المكتبة العتيقة من تراثنا الإسلامي، تونس 1337هـ، ص 109.

[2] ابن رشد، **نفس المصدر**، ج1، ص 15.

[3] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 64.

[4] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 15؛ التليلي، **المرجع السابق**، ص 211.

[5] ابن بشكوال، **المصدر السابق**،ج2، ص 546.

[6] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 212.

[7] ابن بشكوال، **نفس المصدر السابق**، ج2، ص 546.

نفوذ كبير، وإشعاع واسع، وهي التي أكسبته الهبة والاحترام، الأمر الذي ساعده علـى أداء وظيفته القضائية أحسن قيام، حتى اشتهر ذكره وعدله، وازداد مكانة ورفعة عنـد أمير المسلمين **على بن يوسف بن تاشفين،** الذي قربه إليه، واستـشارته فـي أمـور دولته، واعتمد عليه في العظائم والملمات [1]، هذا ما أثبته تلميذه **عياض** قوله : " وصار مقدما عند أمير المسلمين، عظيم المنزلة، معتمدا في أيام حياته "[2]، وباعتبار **ابن رشـد** واحدا من الأندلسيين، فلقد حضي لديهم بمزيد من التقدير، خاصة وأنهم خدمهم بكلّ ما أوتي، وفصل في خصومتهم، ونشر العدل بينهم وقمع الظالمين، وأدب أهل الفجـور، وكان مثال النزاهة بعيدا عن الميل إلى الأهواء المحافظ على الدين لا يهتم بالتحامل ولا التخاذل. [3]

ويبدو أن **ابن رشد** كان على اتفاق واتصال وثيق بالفقهاء المشاورين، فلم يحدث أن أخبرت التراجم عن وجود أو وقوع مصادمات أو خلافات بين الطرفين، ولم يلـق منهم أي عرقلة لسير القضاء، حتى أنّه لم يجد أي فتوى من الفقهاء تخالف رأيه، كمـا حصل مع القاضي **ابن العربي المعافري** الذي ولي القضاء باشبيلية [4] فأبتلي بالفقهـاء المشاورين حيث عارضوه في الكثير من آرائه، فاعتبارهم غير متحررين ولـه غيـر موافقين[5]، ولقد كان بين **ابن رشد** وأمير المسلمين **على بن يوسف بن تاشفين،** كثيـرا من التجاوب بداية من اختياره على رأس القضاء إلى الفزع إليه في حـلّ المـشكلات العويصة، حتى بعد استعفائه عن وظيفة القضاء، بقي لديه مكرما، مسموع الكلمة فـي شأن أهل **قرطبة** وأهل **الأندلس،** وكأنّه بقي على سلطته القضائية وعلى وصفه **عميـد فقهاء قرطبة، ورئيس مشيخة القضاء** [6]، ولا عجب في ذلك فأمير المسلمين علي كما وضح في المبحث الأول من هذا الفصل، عرف عنه محبته للفقهاء وإكرامه لهم، حيث كان يطبق مبدأ الشورى الإسلامي بكلّ حذافيره، تجسيدا لحكم الدين وتعاليمه في جميع

---

[1] التليلي،**نفس المرجع السابق**، ص 213.

[2] عياض، **المصدر السابق**، ص 54.

[3] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 214.

[4] ابن عذاري، **المصدر السابق، ج4**، ص 92.

[5] التليلي**، المرجع السابق،** ص 214.

[6] **نفس المرجع والصفحة**

الأمور حتى أن صاحب الحلل الموشية وصفه بأنّه : كان ذكيا، فقيها، مكرمـا لأهـل العلم، مقلدا لأمور الفقهاء ". [1]

وقد كان قاضي الجماعة بقرطبة هو الذي يشرف على شؤون الأندلس كلهـا [2]، وعلّق أحد الباحثين على ذلك في الهامش بالتمثيل بذلك **بأبي الوليد بن رشد** عميد فقهاء قرطبة، ومتولي مشيخة القضاة بالعدوتين[3]، وبذلك تفرغ ابن رشد للقضاء ومتطلباتـه، وانشغل بأمور المسلمين الأمر الذي عاقه عن مواصـلة مهمتـه التعليميـة، وإتمـام مصنّفاته، ومواصلة نشرها ولم يستطيع التفرغ إليها إلاّ يوما واحـدا فـي الأسـبوع، اعتزل فيه الناس، ولم يخرج إليهم إلاّ في الضروريات، فهو القائل أي **ابـن رشـد** : " فشغلتني أمور المسلمين عما كنت بسبيله من ذلك، ولم أقدر على التفرغ إليه أكثر مـن يوم واحد من الجمعة، اعتزلت فيه عن الناس إلاّ فيما لم يكن فيه بد " [4]، ورغم دخول ابن رشد سن الشيخوخة، إلاّ أنّه قام بخطته أحسن قيام، وأظهر كثيـرا مـن النـشاط والحيوية [5]، وقد مكث في وظيفته هذه أربع سنوات، إلاّ بضعة أيام ففي سنة 515هـ ـ طلب من أمير المسلمين **علي بن يوسف** إعفاءه عن منصب القضاء، وبرر ذلك بجملة أعذار من بينها : أنّه يريد التفرغ لتلامذته، والعكوف لإكمال مصنّفاته، من بينها كتاب البيان والتحصيل الذي لم يتمكن من مواصلة تأليفه بنفس السرعة التي بدأه بها، ولـم يستطع أن يكمل منه إلاّ أربعة كتب أو خمسة في فترة توليه منصب القضاء، فاستجاب أمير المسلمين لذلك وأعفاه، وأورد **ابن رشد** ذلك في كتابه قائلا : " فما أعمل لي على هذا منه في مدة تولي القضاء، وذلك أربعة أعوام غير أيام إلاّ نحـو أربعـة كتـب أو خمسة، فآيست من تمامه، وذكرت ذلك لأمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، أدام ا تأييده وتوفيقه في جملة الأعذار التي استعفيت بسببها، وغبطته بالأجر على تفريغي لتمامه فقبل الرعبة في ذلك لرغبته فيما رغبت فيه من الثواب، وأسعف الطلبة فيه لما

---

[1] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 84.

[2] حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 321.

[3] **نفسه**، الهامش رقم 4.

[4] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 93.

[5] التليلي، **المرجع السابق**، ص 219.

رجاه من أن يثقل بذلك موازنه يوم الحساب، وا يدخر له هذه الحسنة ويبوئهـا مـن درجات التعميم أعلى درجة برحمته "[1].

لقد توصل أحد الباحثين الى استنتاج تاريخ محدد لإعفاء **ابن رشد** من القـضاء، **وهو ربيع الثاني سنة 515هـ الموافق لجوان وجويلية 1121م** بناء على أنّه تقلّـد القضاء أول جمادى **سنة 511هـ،** و ما صرح به **ابن رشد** بأن مدة التوليـة كانـت أربعة أعوام غير أيام، بالإضافة إلى ما أورده **ابن عذاري** في قوله الذي سبق ذكـره، من أن **أبا الحسن علي بن يوسف** وصل **قرطبة** في ربيع الأول من السنّة، ولـم يكـن الإعفاء بمجرد الوصول بل بعد مدة وصلت إلى أيام وأسابيع انقضت في المفاوضـات التي دارت بين الطرفين إثر الثورة التي قام بها أهل **قرطبة** والتي قام فيها **ابـن رشـد** بمساعيه الحميدة بين الطرفين حقنا للدماء المسلمين، وتأليفا لجماعتهم، وإعـادة لجـو الانسجام بين السلطة العليا وأهل قرطبة [2]، مما سيأتي توضيحه في المبحث التالي.

2- ابـن رشـد السياسي :

أ)- ثورة أهل قرطبـة سنة 515هـ/1122م :

قضى **علي بن يوسف بن تاشفين** بحاضرته **مراكش** عقب جوازه الثالث إلـى الأندلس سنة **511هـ/1117م**، ما يقارب أربعة أعوام لم يرجع فيها إلى الأندلس إلـى غاية سنة **515هـ/ 1122م،** حين نهض على غير عادته، بجيش ضخم قيل أن حشوده لم يبلغ عددها في أي عبور سابق ما بلغته هذه المرة، وقد اختلفت الأسباب والبواعـث حول هذا الجواز المفاجئ إلى الأندلس، فمنهم من قال أن عليا تأثر كثيرا بما أصـاب جيشه من محن وهزائم في الأنـدلس، خاصـة بعـد هزيمـة **وقعـة كتنـدة سـنة 514هـ/1121**، فما كان جوازه إلاّ ليتدارك الموقف ويصلح الوضع، ويوطد جيوشـه من جديد [3]، إلاّ أن الباعث الأهم والأخطر، والأكثر احتمالا والذي تردده أكثـر مـن رواية، هو قيام الثورة في **قرطبة** أو تلك الفتنة العظيمة التي حدثت بين أهـل **قرطبـة**

---

[1] ابن رشد، **نفس المصدر السابق**، ج1، ص 15؛ التليلي، **المرجع السابق**، ص 219.

[2] التليلي، **المرجع السابق**، ص 222.

[3] عنان ، المرجع السابق،ع3 ، ق1، ص 82.

والجنود المرابطين سنة **515هـ/1121م** [1]، والتي كان **لابن رشد الجد** دورا بارزا ومؤثرا فيها، حيث كان في تلك الأثناء يترأس قضاء الجماعة بقرطبة، **فما سبب هذه الفتنة يا ترى ؟ وما الدور الذي لعبه ابن رشد الجد إزاءها ؟.**

رددت المصادر أكثر من رواية حول هذه الحادثة، إلاّ أنّها أجمعت على قيام الهيج بقرطبة، مترددة في سنة وقوعها ما بين **514هـ و515هـ**، **فصاحب الحلل**، يذكر سبب الحادث أن أمير المسلمين **علي بن يوسف** ، ولى على **قرطبة أبا بكر يحي بن رواد** ، فحدث بينه وبين أهلها خلاف، فثاروا عليه، الأمر الذي أدى إلى حدوث فتنة كبيرة، وصلت رماها إلى حد نهب ديار المرابطين وقصورهم [2]، أما صاحب البيان، فيذكر لنا رواية أخرى، يقول فيها : أنّه في سنة 514هـ نفذ أمر أمير المسلمين إلى البلاد الأندلسية بإحياء المجانيق والآلات الحربية، فلما كمل منه المختص **بغرناطة** خرج لمشاهدة التجربة لها والرمي بها، **أجداي بن سير اللمتوني**، صاحب الأعنّة فتزاحم هناك الجم الغفير، فرام الفسحة، وأشار برسيخ كان في يده، فأصاب صبيا في مقتله، فمضى لوقته، وانفض اللّفيف وتهرجت البلدة، فاسترضى ولي الأمر دفع الجزية، فسكنت الثورة وأمهل ا القاتل، ثم أخذه، ولما كمل ما أنشأ منها **بقرطبة**، وقد جاء عيد النصر، فخرج ثانية عامل البلدة لمشاهدة التجربة وقد أقبل السواد الأعظم الذي لا يطاق بمجمع حضور العيد، وحضور كلّ زاعر وناعق وكلّ حدب وشاهق، فكثر التدافع والتزاحم، ودهم الحشم، فكثر بينهم التزاحم وأقبل لفيف الربض الغربي، فألقى بأسهم على القصر، وانتهب جميع ما فيه، وخرج هو عارا بنفسه، وركب القاضي **أبو الوليد بن رشد في أعلام الفقهاء، فردع العامة وقمع السلطة** ". [3]

أما **ابن الأثير**، فيقدم لنا تفاصيل أوفر حول هذه الكائنة، فيذكر أنّه " لما أقبل عيد الأضحى، خرج الناس للاحتفال في **قرطبة**، فاستغل أحد عبيد الوالي المرابطي، فرصة خروج النساء للتنزه في ظاهر المدينة، فمد يده إلى امرأة فأمسكها، فاستغاثت بالمسلمين

---

[1] عياض، المصدر السابق ،ص 54؛ مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 86؛ ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج9، ص 235. حسن إبراهيم حسن، **المرجع السابق**، ص 123.

[2] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 86؛ حسين حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص 142.

[3] عنان، **المرجع السابق،ع3** ، ق1، ص 82. نقلا عن أوراق مخطوطة **لابن عذراي**، عثر عليها في مكتبة القرويين

وقامت الحرب بين العبيد وأهل قرطبة ونشب القتال بينهما حتى حلّ الظلام، فتفرق كلّ فريق وهو يتربص بالآخر، فاضطر الفقهاء للتدخل لتهدئة الوضع، حيث طلبـوا مـن الوالي المرابطي أن يقتل أحد العبيد المتسببين في الفتنة، حتى يكون رادعا لمن تحدثـه نفسه بأن يعبث بالتقاليد الإسلامية، فأبى الوالي ذلك وأنكر عليهم، وغضب وأبدى رغبة في تأديب أهل **قرطبة،** الذين قاموا بالفتنة فأمر بإخراج السلاح، إلاّ أن أهـل قرطبـة يتدقدمهم الفقهاء بادروا بمقاتلته، فأوقعوا به وبقواته الهزيمة فتحصن لقصره، فحاصـر الأهالي القصر، ونهبوه، وأحرقوا دور المرابطين، ونهبوا أموالهم، وأخرجـوهم مـن بلادهم، فاضطر الوالي إلى الهرب ". [1]

بالرغم من الاختلاف الواضح في هذه الروايات، إلاّ أنّها اتفقت على حدوث هيج من طرف العامة بقرطبة، ووقوع فتنة عظيمة بين القرطبيين من جهة والمرابطين من جهة ثانية [2]، وقد وصل صدى هذه الفتنة إلى **أمير المسلمين بمراكش** فوجه إنذارا إلى **أهل قرطبة** إلاّ أنهم لم يرتدعوا، فعبر إليهم بجيش عظيم من جنود المرابطين وكان هذا الجواز هو الرابع له والأخير إلى **الأندلس** [3]، وذلك لخطورة هذه الحادثـة وتهديـدها مركز المرابطين بالأندلس. فلقد كانت كما أشار أحد الباحثين، تحمل في ثناياها عوامل أخطار وأبعد مدى، فلم تكن حادثا عابرا وإنّما كان أعمق جذورا، حيث كان أول ثـورة علنية ضد الحكم المرابطي بالأندلس، وفي استعدادات أمير المرابطين تلـك وجـوازه لمعالجة القضية ما ينبئ عن تخوفه الشديد من العواقب الوخيمة التي يمكـن أن تنجـر عنها هذه الثورة [4]، ولما وصل **علي بن يوسف** إلى **قرطبة،** عـسكر بجنـوده الجمـة بمظاهر المدينة ولم يخرج أحد من أهل **قرطبة** لاستقباله وإنّما عملوا علـى الإغـلاق أبواب المدينة في وجه أمير المسلمين، واستعدوا وتهيئوا لمقاتلته دفاعا منهم عن أنفسهم وأموالهم [5]، إلاّ أنّه بالرغم من هذه الاستعدادات من كلا الطرفين فإنّه لـم يحـدث أي صدام أو عراك بينهما، وإنّما فضل القرطبيون الامتناع داخل أسوار المدينة رفضا منهم

---

[1] ابن الأثير، **المصدر السابق،** ج9، ص 235.

[2] التليلي، **المرجع السابق،** ص 276.

[3] ابن القطّان، **المصدر السابق،** ص 23.

[4] عنّان، **المرجع السابق،**ع 3، ق1، ص 83.

[5] ابن الأثير، **المصدر السابق،** ج9، ص 235.

لتهديدات المرابطين، كما فضل **أمير المسلمين** عدم اقتحام المدينة عنوة، مع أنّه لديه الإمكانيات لذلك وتحلّي بالصبر والحلم، وجنح إلى السلم، تجنّبا لأسباب قد تثير العصبية الأندلسية وتؤدي بالتالي إلى كارثة محققة [1]، في هذه الأثناء تردد إليه وجوه قرطبة من فقهاء وأعيان شارحين له الوضع، ودارت مفاوضات الصلح بين الطرفين، وقد برز **أبو الوليد محمد بن رشد** من سائر الفقهاء والأعيان بقرطبة، حيث لعب دورا بارزا ونشيطا، وأظهر من الحزم والحنكة السياسية ما أرجع الثقة إلى النفوس بين المرابطين وعلى رأسهم أمير **المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين**، أما بالنسبة لأهل **قرطبة** فثقتهم به تامة، فهو واحد منهم، وكبير قضاتهم، وزعيم فقهائهم [2]، ويذكر **ابن عذاري المراكشي**، أن أمير المسلمين قام باستدعاء قاضي الجماعة **بقرطبة أبا الوليد بن رشد الجد**، وأعيان قرطبة، ووقعت بينهم مناقشات وحوارات طويلة، في أمر الثورة، وقيامهم باقتحام ممتلكات الوالي المرابطي و انتهابها نهبا فضيعا [3]، فما كان أمام الفقهاء وعلى **رأسهم أبو الوليد بن رشد** الجد، إلاّ انتهاز هذه الفرصة لتذكير أمير المسلمين علي بوصية أبيه [4] في " **أن يقبل من أحسن من أهل قرطبة، ويتجاوز عن مسيئهم** " [5] إلاّ أن **محمد بن داود** الذي حضر في ركاب أمير المسلمين عظّم الأمر وهوله، وبالغ في تصوير شناعته، وراح يصفه بأنّه اجتراء وعصيان وضلال، واغترار لحلم أمير المسلمين، فوقف **أبو الوليد بن رشد الجد** له بالمرصاد، ودافع عن موقف أهل المدينة دفاع من يقاتل عن عرضه ودمه،و بين ووضح الأمر لأمير المسلمين **علي بن يوسف**، في أنّهم لم يشقوا عصا ولا نبذوا طاعة والي المرابطين بالأندلس، وإنّما كان من الأجدر بالوالي أن يعاقب المذنب من عبيده، فمال **أمير**

---

[1] حسين محمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص ص 144-145.

[2] التليلي، **المرجع السابق**، ص ص 276-277.

[3] **نفسه** ، ص 277.

[4] أوصى **يوسف بن تاشفين** ولده **عليا** بثلاثة أمور هي ألا يفعل شيئا لإثارة أهل جبل درن، ومن ورائه المصامدة وأهل القبلة، وأن يهادن بني هود أمراء سرقسطة، وأن يتركهم حائلا بينه وبين النصارى، وأن يقبل من أهل قرطبة ويتجاوز عن أساء منهم. **أنظر** : مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص ص 82-83؛ عنّان ،**المرجع السابق**،ع3 ، ق1، ص 59.

[5] مؤلف مجهول، **نفس المصدرالسابق**، ص 83.

المسلمين علي لرأي **ابن رشد الجد،** وطلب منهم القبض عليهم، فذكر له **ابن رشد** أنّه ليس لهم القدرة على حصرهم، وإنّما يحصرهم صاحب الأمـر وبـذلك انتهـت هـذه المفاوضات والمناقشات الحادة على أن يقوم أهل **قرطبة** بـالتعويض لمـا نهـب مـن المرابطين، وارتضى أمير المسلمين هذا الاتفاق.[1]

لقد فرض **أبو الوليد بن رشد الجـد** من موقعه كقاض للجماعة سلطة قوية على المؤسستين السياسية والعلمية [2]، وهذا ما نلمسه في هذه الكائنة التي خرج منها زعيمـا مطلقا لأهل **قرطبة** " معتمدا في العظائم أيام حياته " [3]، إذ دافع عن أهل بلده أمام أمير **المسلمين علي بن يوسف بن تاشـفين** دفاع من يحمي عرضه وماله، وانتقد تصرفات الوالي المرابطي، وحمله مسؤولية الحادثة دون أن يخاف بطش حاكم أو لومة لائم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يعود إليه الفضل في ردع العامة وإسكان ثائرتهم، وبـذلك حال دون وقوع حرب وخيمة النتائج، كما قام بدور المفاوض بين أمير المسلمين وأهل بلده [4]، وهذا ما يدل إلاّ على أن **ابن رشد** كان شخصية قوية، فرضـت نفـسها علـى الأحداث، حيث سيطر سيطرة تامة على الفتنة، فلم يخرج الأمر من يده، وقام بتهدئـة العامة حين أقام **أمير المسلمين** على مشارف **قرطبة** اسـتعدادا لتأديـب الثـائرين أو الخارجين عن السلطة واجتهد لأجل ذلك إثر المفاوضات القائمة بين الطرفين اجتهـادا خاصا في إيجاد الحلول المرضية لكلا الطرفين، وهذا ما زاده إلاّ رفعة وفخارا، فلقـد كان **ابن رشد** القاضي الحيوي، النشيط ورغم بلوغه سن الشيخوخة، كما كان القاضي الحكيم، والعالم الحقّ الذي يرعي نظام الدولة، التي ينتمي إليها، ويقدم المصلحة العامة على مصلحته الشخصية، فلم يكن القاضي المغامر المـستغل للأوضـاع مـن أجـل الاستقلال عن السلطة العليا [5] كما فعل **أبو جعفر بن حمدين سنة 535هـ** لما ثـارت

---

[1] عنان،**نفس المرجع السابق**،ع3، ق1، ص 84.

[2] محمد المغراوي، **المرجع السابق**، ص 61.

[3] عياض، **المصدر السابق**، ص 54.

[4] التليلي ، **المرجع السابق**، ص ص 277-278.

[5] التليلي ، **نفس المرجع السابق**، ص ص 278-279.

العامة على والي **قرطبة**، وخلعوا دعوة الملّثمين وبايعوا القاضي **أبو جعفر بن حمدين** الذين قبل الأمر عن رغبة منه.[1]

ب)- سفارته إلى مراكش :

فضلا عن قيام **ابن رشد الجـد** بدور المفاوض، المتحدث باسم الأندلسيين، قـام أيضا بدور السفير لهم، الناقل لأخبارهم وأوضاعهم إلى السلطة العليا، وهذا ما نستشفه من الرحلة التي قام بها سنة **520هـ/ 1126م** إلى بر العـدوة بـالمغرب فـي ذروة **انشغاله بالعلم، للقاء أمير** المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، والتحدث معه في أمر بالغ الأهمية من الناحية السياسية والعسكرية، حتى يشرح له ما ألّـم بالمـسلمين مـن اعتداءات جراء خيانة النصارى المعاهدين[2] ومساعدتهم **ألفونس المحارب المعـروف بابن ردمير** في حملته الكاسحة لأراضي الأندلس. لكن السؤال الذي يطرح هو : **مـا الذي دفع ابن رشد الجد للقيام بهذه الرحلّة، وتحمل مشاق السفر وهـو فـي سـن الشيخوخة** ؟ هذا ما سيتم الإجابة عنه عند معالجة قضية شكلت معلمه أساسية في العهد المرابطي ألا وهي :

*** تغريب النصارى المعاهدين :**

تعرض مسيحي الأندلس خلال العصر المرابطي لحادثة شـديدة الوقـع بـين أوساطهم إذ تم إجلائهم وتغريبهم ونفيهم قصرا من الأندلس إلى بالمغرب، فيما عرف بعملية التغريب[3]، هذه الحادثة التي أجمعت معظم المصادر على وقوعها في عهد **علي بن يوسف بن تاشفين**، بالرغم من اختلافها في تحديد سنة الوقوع، فبعض المصادر[4]، ذكرت أنّها وقعت سنة **518هـ/ 1125م** في حين ذهبت أخرى إلى تحديد سنة الوقوع

---

[1] ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ص ص 252-253.

[2] إحسان عباس، **بحوث وآراء في الأدب والتاريخ**، ص 416؛ دندش عصمت عبد اللطيف، **أضواء جديـدة علـى المرابطين**، ص ص 113-114.

[3] بوشتيش ، **المرجع السابق**، ص 78.

[4] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 74 ؛ ابن الخطيب، **المصدر السابق**،مج1 ، ص114.

ب **520هـ/1126م** [1] وهي السنّة الأرجح، لأن **غزوة ابن ردمير المحارب** لم تنتهـي إلاّ في تلك السنّة ورحلة **ابن رشد كانت** في السنّة نفسها، هذا ما أثبته أبو الحسن بـن الوزان لاتصاله بشيخه، وضبطه أخباره ضبطا دقيقا تناول اليوم والشهر والسنّة. [2]

أما السبب الذي حذا **بعلي بن يوسف بن تاشفين** إلى إصدار قرار التغريب في شأن النصارى المعاهدين، **بفتوى من ابن رشد الجد** يكمن في سبب مباشر، يتمثل في المكائد التي حاكمها نصارى **غرناطة** وخيانتهم، حينمـا قـاموا باسـتدعاء **ألفـونس المحارب** ملك **أرغون** لغزو مدن الأندلس، واعدين إياه بالانضمام ألوفا إلى جيشه متى نوى وعزم على اختراق **الأندلس**، وبالفعل قام **ألفونس المحارب** بهذه الغزوة وخـرج من **سرقسطة** في سبتمبر **1125م/ 519هـ**، ودخل الأندلس من جانبها الشرقي مـارا بقرب **بلنسية ودانية ومرسية** عابثا في أراضيها، والمعاهدون ينضمون ألوفا من كـلّ حدب وصوب وهو مستمر في سيره إلى أن وصل مشارف **غرناطة** في شهر **جـانفي 1126م/ 520هـــ**، لكنّه لم يستطع دخولها وإسقاطها، الأمر الذي جعله يلـوم زعـيم المعاهدين **بغرناطة** على تقصيره وعدم مساعدته، فبعثوا إليه يردون عليـه بأنّـه هـو السبب في ذلك لأنّه أضاع الوقت في زحفه الطويل سدى، وفي تلـك الأثنـاء كانـت القوات المرابطية تلاحقه بقيادة **أبي الطاهر تمـيم** وتعمل على إرهاقه وهو يحوم بقواته في شمال **غرناطة** فوقعت بينه وبين المرابطين سنة **520هـ/ 1125م** فـي **فحـص الرنيسول** موقعة هزم فيها المرابطون [3]، إلاّ أن **ألفونس المحارب** لـم يـستفد مـن النصر، بسبب غروره الذي دفعه إلى الاستمرار في الزحف جنوبا حتى وصل البحـر المتوسط، ثم عاد إلى الشمال بعد أن خسر الكثير من جنده بسبب الإرهاق والوباء. [4]

بالإضافة إلى هذا العامل المباشر، توصل باحثون محدثين [5] إلى استنتاج أسباب أخرى كانت وراء عملية التغريب ومنها قطع أحلام ألفونس المحارب، بمعاودة الهجوم على المدينة ذات بعد اقتصادي هام **كغرناطة** التي تميزت بكثرة فوائدها من قمح وشعير

---

[1] النباهي، **المصدر السابق**، ص 131؛ مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 90.

[2] ابن رشد، **الفتاوي**، ص ص 1523-1524.

[3] عنان ، **المرجع السابق** ، ع3 ، ق1، ص 113.

[4] عنان، **نفس المرجع السابق**، ق1، ص 113.

[5] بوشتيش، **المرجع السابق**، ص 80.

وكتان وكثرة مرافقها من الحرير والكروم والزيتون وأنواع الفواكـه وكثـرة العيـون والأنهار [1]، بالإضافة إلى الحيلولة دون هجرة الأيادي العاملة لتعمير المناطق الفارغـة التي استردتها القوى النصرانية، وعدم حرمان بيت مال المسلمين من مـوارد هامـة تتجلى في الجزية التي كان يؤديها أكثر من 12 ألفا من المعاهدين، فضلا عمـا كـان يجبى من ضرائب على أراضيها الخراجية، واستغلال الخبرة المـسيحية فـي تنميـة الأراضي الزراعية وجلب الأيادي العاملة نحو المغرب الأقصى. [2]

هذه هي الأسباب التي دفعت علي بن يوسف بن تاشفين إلى قبول فتـوى ابـن رشد الجد وإصدار حكمه في إجلاء النصارى والمعاهدين وتغريبهم عن أوطانهم إلـى المغرب الأقصى لكن **ما هي الأسباب التي دفعت النصارى المعاهدين لنقض عهـدهم للمسلمين والخروج عن الذمة ؟.**

أرجعت بعض الدراسات أسباب ذلك إلى الاضطهاد الديني الذي ألّـم بمـسيحي **غرناطة** [3]، لكنّها اختلفت حول الأسباب التي دفعت هؤلاء إلى مـد يـدهم **لألفـونس المحارب** فيوسف **أشباخ** أرجع ذلك إلى عوامل سياسية تتجلى في رفضهم الـسيطرة الإسلامية عموما والمرابطية بوجه الخصوص، بينما فـسرها **بالنيثيـا** بانعـدام روح التسامح لدى المرابطين [4]، في حين أرجع **دوزي** سبب ذلك إلى هدم إحدى الكنائس [5]، أما البعض آخر فبرر ذلك بمجرد حماية قام بها **ألفونسو** لبني جلدته. [6]

يبدو من خلال هذه الآراء المختلفة أن الدراسات الأجنبيـة قـد اسـتغلت هـذا الحدث، نفخت فيه وأعطته أبعادا أكثر من حجمه [7]، إلى درجة ذهب البعض إلى أنّـه

---

[1] ابن الخطيب، **المصدر السابق**، مج1، ص 109.

[2] بوشتيش، **نفس المرجع السابق**، ص 80.

[3] **نفس المرجع السابق**، ص 79.

[4] بوشتيش، **المرجع السابق**، ص79 .

[5] Dozy : **Histoir des musulmans d’espagne**,leyde,1932,T3,p 159.

[6] بوشتيش،**نفس المرجع السابق** ، ص79

[7] **نفسه المرجع و الصفحة**

كان خطة لتصفية الأهالي [1]، وإضعاف إيمانهم عن طريق توطينهم في أرض يجهلونها بين جماعات إسلامية تمارس عليهم كلّ أنواع الضغوط. [2]

علما أن الحدث رغم خطورته لا يستحق كلّ هذا التضخيم، فمن الأكيد أولا أنّه لم يتم ترحيل وإبعاد جميع معاهدة **غرناطة**، بل بقي منهم عدد لا يستهان به هـذا مـا أثبته **ابن عذاري المراكشي** في نص هام يوضح أنّه بعد سنتين من هذا الحادث وفـدت مجموعة من نصارى غرناطة ترفع شكوى، ضد عاملها، فأنصفهم من ظلماتهم [3]، وهو ما يعني أن المسيحيين ظلوا موجودين في **غرناطة** تمارس عليهم كـلّ أحكـام أهـل الذمة. [4]

بالرغم من سائر التفاصيل التي تم توضيحها، فإن ما يهمنا في هذه الحادثة هـو موقف ابن رشد منها، فهو الذي صدرت منه فتـوى التغريـب، وإجـلاء النـصارى المعاهدين.

يبدو أن **ابن رشد** قد حز في نفسه ذلك العدوان الجسيم الذي شنّه النصارى على المسلمين بالأندلس، وهذا ما دفعه للخروج متوجها إلى المغرب في أوائل ربيـع الأول **سنة 520هـ/ 1126م**، قاصدا مقر أمير المسلمين **علي بـن يوسـف بـن تاشـفين بمراكش** ليشرح له وضع **الأندلس** وما ألم بها من عدوان جـراء خيانـة النـصارى المعاهدين ومساعدتهم **ابن ردمير** في غزو المدن الأندلسية، وليبين الأمير المسلمين ما في ذلك من نقض للعهد، وخروج عن الذمة، وليفتيه بتغريبهم وإجلائهم عن أوطـانهم لأنّه أخفّ ما يؤخذ به في عقابهم [5]، هذا ما قام بنقله لنا تلميذه **ابن الوزان** فيما يلي : " واشتغل باله –أي ابن رشد- بأمر الطاغية، فلم يقرأ علي شيء إلى أن انقضت الكائنة بين المسلمين نصرهم ا ، وبينه أهلكه ا يوم الأربعاء الثالث عشر من صـغر سـنه عشرين وخمسمائة بموضع يقال له الأرنيسول على مقربة من قرطبة، وولـى علـى عقبه، فاستخار ا تعالى القاضي أبو الوليد المذكور في النهوض إلـى المغـرب،ليبين

---

[1] Dufourq (C.E) : **La vie quotidienne dans l'Europe médiéval sons la domination arabe**, Hachette, Paris 1978, p 235

[2] Dozy ,**op-cit** ,T3 ,p160.

[3] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 77.

[4] بوشتيش،**نفس المرجع السابق**، ص 81.

[5] التليلي، **المرجع السابق**، ص 279؛ دندش، **المرجع السابق**، ص 113.

على أمير المسلمين وناصر الدين على بن يوسف بن تاشفين أدام ا أمره وأعز نصره ما الجزيرة عليه ... " وخرج متوجها إلى العدوة غدية يوم الثلاثاء التالي لهذا اليـوم، ووصل إلى أمير المسلمين وناصر الدين، فلقيه أكرم لقاء وبقي عنده أبر بقـاء، حتـى استوعب في مجالس عدة إيراد ما أزعجه إليه، وتبين ما أوفده عليه، فاعتقد ما قـرره لديه ووعده النظر للمسلمين، ووصل قرطبة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى من السنة، وأورد للمسلمين ما رأى، من أمير المسلمين من حفي الإكرام والخير التـام فسر المسلمون بذلك .[1]

أما **ابن عذاري المراكشي** فأورد : " في هذه السنة –أي 520هـ – - احتـسب الفقيه القاضي **أبو الوليد بن رشد الجد** أجره ، وتجشم النهوض إلى حضرة مراكش، فتلقاه أمير المسلمين بالمكرمة والمبرة وبين له القاضي أمر الأندلس وما بليت به مـن معاهدتها، وما جروه إليها، وما جثوه عليها، من استدعاء **ابن رذمير،** وما في ذلك من نقض للعهد وخروج عن الذمة، وأصغى إليه الأمير، وتلقى قوله بالقبول، فوقع نظـره على تغريبهم، وإجلائهم عن أوطانهم، وهو أخفّ ما يؤخذ به من عقابهم، ونفذ عهـده إلى جميع بلاد الأندلس، بإجلاء المعاهدين إلى العدوة فنفي منهم في رمضان عدد جـم أنكرتهم الأهواء وأكلتهم الطرق، ونسفتهم الأسفار، ونزل بهم الوباء، وفرقهم ا شـر مذر، وأحلّ بهم عاقبة مكرهم، وأذاقهم وبال أمـرهم، ولا يحيـق المكـر الـشيء إلاّ بأهله ".[2]وصاحب الحلل الموشية [3]، ساق هو الآخر نفس الأحداث التي ذكرهـا ابـن عذاري موضحا ومبينا هدفين لتوجه **ابن رشد الجد** إلى **مراكش** وهما :

-تحديد موقف الإسلام من النصارى المعاهدين بغرناطة وغيرها، الذين طالبوا **ابن رذمير** بهذا الهجوم ورغبوه في **غرناطة** وخيرها وطبائع سـكّانها، كمـا رغبـوه بمركزها الإستراتيجي للحروب، ودعموه بالمتطوعة لحرب المسلمين اثنتي عشر ألفـا وأكدوا له أن هذا العدد سيضاعف عند خروجه لحرب المسلمين، **فرأى ابن رشـد** أن عقاب هؤلاء الخائنين لعهد الإسلام لا يكون إلاّ بإخراجهم من الأندلس، وتغريبهم عـن

---

[1] ابن رشد، **المصدر السابق**، س3، ص ص 1521-1524.

[2] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص ص 72-73.

[3] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 78.

أوطانهم [1]، وهذا ما تم فعلا حيث تم نفيهم إلى ناحية **مكناسة وسلا** [2]، وغيرها من بلاد العدوة. [3]

-أما الهدف الثاني فيتمثل في عزل **أبي الطاهر تميم** [4]، الذي لم يكن بمـستوى المسؤولية التي أوكلت إليه، خاصة اتجاه الخطر الأخير الذي هدد المسلمين، حيث كان متخاذلا ولم يبدي عزما في دفع الخطر عن المسلمين، وهذا مـا جعلـه يـنقم علـى تصرفاته، ويخاطب أخاه الأمير بعزله وتعويضه بمن هو أجدر منه وفعلا تـم عزلـه ونجح **ابن رشد** في مسعاه. [5]

إلاّ أنه بالرغم من التفاصيل التي نقلتها لنا المصادر حول هذه الحادثة، فإنّها لـم تفصح عن عدد المسيحيين الذين تم صدر القرار في تعريبهم، هل هم معاهدة **غرناطـة** فحسب كما أشار إلى ذلك **ابن الخطيب** [6]، أم أن القرار شمل جميع معاهدة الأندلس كما أورد ذلك **صاحب الحلل الموشية** في قوله " ونقذ عهده إلى جميع بلاد الأندلس، بإزعاج المعاهدين إلى ناحية مكناسة وسلا وغيرها من بلاد العدوة " [7]، ويبدوا أن هذه الرواية الأخيرة هي التي رجحتها الأبحاث الحديثة [8]، وذلك استنادا إلى رسالة أوردها ، **صاحب نوازل المعيار**، على **لسان علي بن يوسف بن تاشفين**، حول بيـع أمـلاك نـصارى **اشبيلية** الذين أبعدوا إلى **مكناسة** [9]، كما ذكرت أن عملية التغريب تمت علـى ثـلاث دفعات، وأنّها شملت كلّ من **مالقة وغرناطة** سنة **1126**م، **واشبيلية** سنة **1138م.** [10]

---

[1] ابن رشد، **المسائل**، مج1، ص 35.

[2] مدينة **بالمغرب الاقصى** متوسطة الصغر و الكبر يحدها البحر شمالا والنهر من غربها .**أنظـر**:الحموي،المـصدر السابق،ج3 ،ص231.

[3] مؤلف مجهول، **نفس المصدرالسابق**، ص 79.

[4] السلاوي،**المصدر السابق**، ج2، ص ص 239-230؛ ابن أبي زرع،**المصدر السابق**، ص 109؛ دندش، **المرجع السابق**، ص 114.

[5] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 35؛ دندش،نفس المرجع السابق، ص 114.

[6] ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ج1، ص 109.

[7] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 90.

[8] بوشتيش ، **المرجع السابق**، ص 79.

[9] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج8، ص ص 56-57.

[10] بوشتيش، **نفس المرجع السابق**، ص 79، الهامش رقم 2.

إن المتأمل لهذه الأحداث يلحظ جليا أن استعفاء ابن رشد عن القضاء لم يـؤثر فيه. بل بقي يتصرف في شؤون الأندلس، وكأنّه قاض للجماعة وحامي الأندلسيين من أبي خطر يداهمهم،[1] ولا عجب أن اعتبره **كارل بروكلمان** أشهر قضاة ذلك العصر لما أصدر فتواه بتغريب النصارى المعاهدين [2]، **فابن رشد الجد** كان يتمثـل العـالم فـي الإسلام، الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، الذي لا تأخذه في سبيل إحقـاق الحـقّ لومة لائم، إذ كان بمثابة القائم على شؤون الأندلسيين، المهتّم بأمورهم، وهذا ما نلمسه في توقفه عن مهمته التعليمية، وانشغاله بما أهم الأندلسيين من اعتداءات، وسخر لأجل ذلك ما له وجاهه، محترما السلطة التي ينتمي إليها، معتبرا إياها الحاميـة و المدافعـة عن ديار الإسلام، بما تملكه من قوة وإمكانيات، وهذا ما جعله يسمو عند أمير المسلمين **علي بن يوسف** فأكرمه وأبره واستمع إليه في عزل أخيه **أبي الطاهر تمـيم**، أقـرب المقربين إليه، وأحد ولاّته على أهم ولاياته ألا وهي ولاية **الأندلس**، كما عمل بفتواه في تغريب النصارى المعاهدين. [3]

---

[1] التليلي ، **المرجع السابق**، ص 283.

[2] كارل بركلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبيه أمين فارس،ط5 دار العلم للملايين، بيـروت 1968، ص 323.

[3] التليلي ، **المرجع السابق**، ص 283.

*** إشارته على أمير المسلمين تسوير مراكش والمدن الأندلسية :**

قام **ابن رشد الجد** بدور شيخ المالكية بالمغرب والأندلس، ودور المستشار في البلاط المرابطي [1]، فسفارته إلى **مراكش** لم تتضمن تغريب النصارى المعاهدين فحسب بالرغم من أنّه كان الغرض الأساسي من المرحلة، وإنّما شملت أمورا أخرى منها عزل أخيه **أبي الطاهر تميم** مما وضح من قبل، وأيضا إشارته على أمير المسلمين علي بن يوسف تسوير **مراكش** [2] وجميع المدن الأندلسية لحمايتها من الخطر المحدق التي يتهدد الحكم المرابطي سواء في **المغرب أو الأندلس،** ففي الوقت الذي اشتدت فيه غزوة **ابن ردمير المحارب،** بالأندلس، كان المغرب الأقصى يشهد اشتداد حركة المهدي بن تومرت [3]، واضع أسس الدعوة الموحدية والذي شكلت حركته خطرا على الحكم المرابطي، لذلك فكر أمير المسلمين علي بن يوسف تسوير عاصمته **مراكش** ردا لأي خطر يتهدد دولته، واستفتى لأجل ذلك العلماء والفقهاء بالعدوة والأندلس من بينهم ابن **رشد الجد** [4]، فلم يلقى هذا الرأي القبول من الفقهاء المشاورين الذين عارضوا فكرة التسوير بحجة عدم القدرة على بنيانه، شارحين له أنه ذا تكاليف باهظة جدا، يفنى فيه بيت مال المسلمين ولا يتم انتهائه ، إذ لا يقوم بذلك من مال إلاّ ما يحصى وما يعد والمجابي ضعيفة [5]، غير أن **الفقيه أبو الوليد بن رشد،** الذي شهد حادثة **غزوة ابن رذمير على الأندلس،** أصر على التسوير، **وأفتى أمير المسلمين** بالتّحفظ على نفسه وعلى الساكنين معه [6]، ونصحه في ذلك باستطلاع رأي شيخ الصلحاء **بالمغرب،** أبي **عبد الله محمد بن إسحاق بن أمغار الشريف الحسيني** [7] رئيس **زاوية عين الفطر**

---

[1] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 35.

[2] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 73.

[3] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 90. السملاوي، **المصدر السابق**، ج4، ص ص 58-76.

[4] مؤلف مجهول. **نفس المصدر والصفحة.**

[5] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 35.

[6] مؤلف مجهول، **نفس المصدر السابق**، ص 90.

[7] أحد مشايخ أسرة آل أمغار الشريفة بعين الفطر بأزمور، متصوف حضي بالتقدير والاحترام من طرف أمير المسلمين علي ،**أنظر رسالته التي يثني عليه فيها** : الأزموري محمد بن عبد الله محمد، **بهجة الناظرين وأنس العارفين،** مخطوط رصيد الخزانة العامة بالرباط، رقم ج3770، ص 31 نقلا عن بلغيث ، **المرجع السابق**، ص 446.

بناحية المدينة الجديدة [1]، فأشار هذا الأخير، برأي **ابن رشـد** في بنيانه، ودعا له وبعث له شيئا من ماله الحلال الخالص المحض. [2]

هكذا شرع أمير المسلمين ببناء الأسوار حول عاصمته **مراكش** وجميع المـدن الأندلسية، تجنّبا للأخطار المحدقة، إلاّ أن المصادر اختلفت في تحديد سنة الشروع في البناء، فجعل **ابن عـذاري** بناء هذا السور المحيط في سنة 519هـ بتنبيه من ابن رشد الجد، قائلا " ونبه القاضي ببناء الأسوار وشرع الأمير على بن يوسف في بناء سـور محدق بمراكش في هذه السنة فكمل في أقرب وقت و أعجله وورد كتاب أمير المسلمين على بن يوسف إلى الأندلس بالنظر في بناء الأسوار بجميع البلاد ". [3]

أما صاحب كتاب نظم الجمان، ذكر أن رحلة **ابن رشد الجد** وبنـاء سـورها لنصحه كان **سنة 522هـ** [4] وعلى خلاف هؤلاء جميعا أورد **صاحب الحلل الموشية** تاريخ البناء بـ **520هـ** [5] وهي الرواية الأرجح لأن رحلة **ابن رشد**، إلى مراكش فيما أثبت سابقا كانت في هذه السنة، وبالتالي لا وجه لما ذكره **ابن عذاري، وابن القطـان**، وباقي الروايات التي نقلت عنهم. [6]

إن نصيحة **ابن رشد الجد** لأمير المسلمين **علي بن يوسف** ، ما تـدل إلاّ علـى ولائه للدولة المرابطية، ورضاه عليها، لذلك اعتنى باستمرار وجودها، ودفاعـه عـن أهلها، وفي إشارته تسوير مراكش توجيه لأمير المسلمين فـي الاشـتغال بالوسـائل

---

[1] أو **تيطنفطر**، تبعد عن المدينة الجديدة ب، 14 كيلومترا، ولقد كانت رباطا من رباطات المغرب الأقصى، التـي يأوي إليها الزهاد والمنقطعون عن الدنيا، والمجاهدون في سبيل ا ، ولعلّها أسست أواسط **القرن السادس الهجري، الثاني عشر للميلاد في عهد** الخليفة **عبد المؤمن بن علي الموحدي**، لغاية حربية ومن آثارها الباقية أسوار مستقيمة الزاويا، و الأبواب الحصينة وصومعتان بارزتان للعيان، أحدها بجانب مسجد الزاوية الذي كان ملجئا لأتباع المهدي بن ترمرت، وخضعت **للبرتغال** لما نزلوا بها **أوائل القرن العاشر، السادس عشر ميلادي**، وكانت محـل حـروب كثيرة، فعمل السلطان **محمد الشيخ الوطاسـي** على إخلائها، ومند ذلك الحين بقيت خاليـة. أنظـر : الـسلاوي ، **المصدر السابق**، ج2، ص 192، الهامش رقم 44.

[2] ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 35.

[3] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 73؛ التليلي، **المرجع السابق**، ص 284.

[4] ابن القطان،**المصدر السابق**، ص 106 وما بعدها.

[5] مؤلف مجهول، **المصدر السابق**، ص 90.

[6] التليلي، **نفس المرجع السابق**، ص 285.

الدفاعية، والاحتياط من مفاجئات الغارات، التي تربك الجيش وتضعضع الصفوف، وتدخل الاضطراب على الآمنين، كما اعتمد في إشارته وفتواه الحلّ الأوسط الذي يعتمد على أخّف الأضرار، ففتواه بتغريب النصارى المعاهدين كانت أخفّ من فتوى لإبادة الجماعية، وإخلال دم جميعهم، ونصيحته بتسوير المدن رغم ما فيها من أتعاب، وصرف الأموال كانت أخفّ من ترك الأمر لهجوم المشاغبين وقتلهم الأبرياء حفاظا على الأموال، حيث قدرت مصاريف بناء الأسوار بسبعين ألف دينار [1] وبذلك يكون **ابن رشد** قد نجح في المهمات السياسية التي قام بها [2]، واستمر تأثيره فيما يجرى من أحداث تصيب المسلمين أو تنال من دولتهم، حيث دامت سمعته طيبة طوال حياته، حيث بقي مكرما عند العامة، مسموع الكلمة عند الأمير، مسخرا جهوده في خدمة المسلمين بالأندلس، وهذا للتعاون بينه وبين السلطة السياسية العليا ممثلة في أمير المسلمين أعطى طيب الثمرات، وصلحت به الأحوال. [3]

ج) ابن رشد وقضية إحراق " كتاب إحياء علوم الدين " :

سبق لنا وأن تطرقنا في الفصل الأول إلى قضية **كانت من أهم آثار السلطة العلمية بالأندلس،** ألا وهي **حادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين،** فشرحنا أسبابها وتعرضنا إلى آراء العلماء حولها، **وباعتبار أبو الوليد بن رشد"** شخصية علمية لها وزها وثقلها بالأندلس في عصر المرابطين، ولأن الفتوى تمت بإجماع أغلب علماء العصر، فلا يمكن أن نتجاوز هذه الحادثة التي تعكس مدى ما وصلت إليه سلطة العلماء بالأندلس، دون التعرض أو معرفة **موقف أبو الوليد بن رشد الجد منها، وهل شارك في فتوى إحراق الإحياء ووافق أبو عبد ا بن حمدين في ردوده على الغزالي أم لا ؟.** [4]

---

[1] التليلي، **نفس المرجع ،** ص 286.

[2] أحمد أمين، **ظهر الإسلام ،ط1،**دار الكتب العلمية ،بيروت ،2004 م ،ج3، ص 178.

[3] التليلي، **المصدرالسابق**، ص 287؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 371.

[4] التليلي، **المرجع السابق**، ص 288.

إن نسبة موقف كهذا **ابن رشد الجد** في هذه القضية الهامة، يصبح أمرا ذا وزنه الحقيقي، وله بعده التاريخي، إذ سيكون بمثابة أغلب علماء العصر، خاصة وأن زعامة **أبي الوليد بن رشد** لهم علميا، لم تكن محلّ أبي نقاش، والدلائل على ذلـك لا حـصر لها، منها ما أورده فقيه له وزنه العلمي وهو تلميذه **أبو الفضل عيـاض بـن موسـى اليحصبي** [1]، الذي أكد أن أبا الوليد " كان زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس، والمغرب، المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة النظر " [2] "وأنّه كان إليه المفـزع فـي المشكلات " [3] و" أنّه كان عظيم المنزلة معتمدا في العظائم طيلة حياتـه " [4] غيـر أن أغلب مصادر العصر لا تصرح باشتراك ابن رشد في الفتوى، التي تنص على إحراق **كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي** وإن كان إجماع أغلـب الفقهـاء يـوحي باشتراكه معهم، إلاّ نص نقله **صاحب كتاب الطبقات الكبرى** الذي أورد فيه مـا يلـي " وأفتوا بتكفير الغزالي رضي اللّه عنه، وأحرقوا كتاب الأحياء ثـم نـصره ا تعـالى عليهم، وكتبوه بماء الذهب، وكان من جملة من أنكر على الغزالي، وأفتـى بتحريـق كتابه، القاضي عياض وابن رشيد، فلّما بلغ ذلك دعا على القاضي عياض، فمات فجاءه في الحمام يوم الدعاء عليه " فإلى **أي** حد يصدق هذا قول ؟ [5]

بالرغم من التصريح الذي يحمله هذا النص، فإن ما أورده مثير للتساؤل ويبعث في النفس الشك والريبة وعدم الاطمئنان، إذ يلاحظ عليه التناقض في عدة أوجه منهـا أن حادثة الأنكار وعملية الحرق تمت **وعياض بن موسى اليحصبي** لزال طالبا للعلـم، وكان قد إتصل بشيخه **أبو عبد ا بن حمدين،** وذكر أنّه جالسه كثيرا وقرأ عليه بعض رسائله، وردوده على **الغزالي،** وسمع بعضها، فكيف يشترك التلميذ في الفتوى وهو لم يستكمل الأدوات، ولم تتوفر فيه شروط الفتوى، وكيف يصفه بالقاضي، وهـو مـازال طالبا في حين أنّه لم يصف **ابن رشد** بنفس الوصف، كما أورد أن **الغزالي** دعا علـى

---

[1] عمر بن حمادي،**المرجع السابق** ص ص 77-78.

[2] عياض**، المصدر السابق**، ص 55.

[3] **نفس المصدر و الصفحة.**

[4] **نفس المصدر و الصفحة** .

[5] الشعراني (**ت 973 هـ/ 1565 م**)، **الطبقات الكبرى**،ط1 ، دار الجيل،بيروت، الجزء الأول، 1408هـ/1988 م ص 17.

القاضي عياض، ولم يدع على **ابن رشد**، وكان لذلك الدعاء أثر سـريع وهـو مـوت القاضي **عياض** فجاءه في الحمام يوم الدعاء عليه.[1]

يبدو أن هذا القول بعيد عن الصواب، لأن **القاضي عياض** توفي سنة **544**هـ ـ أي بعد وفاة الغزالي **بـ 39 سـنة**، فمتى دعا عليه ؟ وكيف مات يوم الدعاء عليه، أما موقف **ابن رشد** من هذه الحادثة الفقهية السياسية، يبقى محلّ احتمال، ومـوطن ريـب وشك، فربما يكون ابن رشد قد تخير السلامة من الناس، وأراد البعد عن الخوض فـي الفتنة بين علماء المسلمين، وهذا خلقه، خصوصا وأن الغزالي قد وجد أنصارا لكتابـه من علماء الأندلس ممن سبق لنا ذكرهم.[2]

د) وفاة ابن رشد:

بعد حياة حافلة بالنشاط والعمل في مجال القضاء والإفتاء والسياسة والتأليف. توفي القاضي **أبو الوليد بن رشد بقرطبة**، وقد نقل لنا تلميذه **أبو الحسن بن الوزان**، الذي تعلّق بدروس شيخه كثيرا، فلازمة طيلة حياته ما يلي: "إلى هنا انتهى ما جمعته من مسائل التي سئل عنها القاضي أبو الوليد بن رشد شيخنا رضي ا عنه وأرضاه، فيما عنيت بجمعه وقراءته على مرور الأيام، وتعاقب الأعوام، مسألة إلى أن وقع المرض الذي قضى عليه رحمه ا ."[3]

فبعد عودة **ابن رشد من مراكش** سنة 520هـ من المهمة التي ذهب لقضائها، والتي همت أمر المسلمين بالأندلس، طلب إليه تلاميذه وأصحابه العودة إلى إسماع كتبه "**الشرح أو المقدمات**"، المؤلّف الذي حاز أو نال أكثر الطلب، فأمر **ابن رشد** تلميذه **الفقيه أبا مروان بن مسرة** بقراءتها عليه، أوائل جماده من **عام 520**هـ، وتواصلت القراءة إلى العشر الأواخر من الشهر المذكور[4]، وهي العشر التي أصابه فيها المرض، فبقي **ابن رشد** في بيته ملازما الفراش، أشهر عديدة، إلى أن وافته المنية، هذا

---

[1] التليلي، **المرجع السابق**، ص 288 وما بعدها

[2] نفسه، ص 290 وما بعدها.

[3] ابن رشد، **المصدر السابق** ،س3، ص 1517.

[4] **نفس المصدر و الصفحة .**

ما نقله لنا تلميذه **ابن الوزان** فيما يلي:"وأصبح يوم السبت في العلّة التي أصحبته مدة أربعة أشهر ونصف شهر، حتى أفضت به إلى قضاء نحبه، ولقاء المرتقب من محتوم ربه، فتوفي رحمه ا ، وأزلفه لديه، وأرضاه ليلة الأحد، وهي ليلة إحدى عشر من ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة"[1].

وقد اتفقت سائر المصادر التي ترجمت لابن رشد على هذه السنّة، **فعياض** في عنيته أثبت سنة الوفاة قائلا:"توفي ابن رشد رحمه ا في ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة" **وابن بشكوال** هو آخر أثبت سنّة الوفاة مع تحديد اليوم وتاريخ الدفن قائلا:"توفي عفا ا عنه، ليلة الأحد وتوفي عشي يوم الأحد، الحادي عشر من ذي القعدة سنّة 520هـ". [2]

ودفن **ابن رشد** بمقبرة العباس **بقرطبة**[3] أو **عباس**[4] أو **بني العباس**[5] ، بالروضة المنجازة، مدفن سلفه، أقام عليه الصلاة ابنه **أبو القاسم أحمد** الذي أثنى عليه ابن الوزان، فوصفه، "بالفقيه، النبيه، الفاضل الشبيه بأبيه، في كرم الخلال وشرف الشمائل"[6]. وحضر جنازته كثير من الأندلسيين، فكان يوما حافلا حيث تأسف على وفاته خاصة الناس وعامتهم وأثنوا عليه كثيرا،[7]، كما صور **ابن الوزان** أحدث تلك الجنازة قائلا:" وكان مشهده حفيلا، والتفجع عليه جليلا، لم ير أحد من أهل زماننا مشهدا أكثر توهلا، ولا تفجعا، فلقد كان رحمه طود علم، وإنسان فضل وحلم وكوكب ذكاء وفهم، وواحد جلالة وديانة وفذّ رجاحة وأمانة"[8] وقد تنافس الأدباء في تأبينه، وتسابق الشعراء في رثائه، وكان الثناء منهم عليه حسنا جميلا[9]، منهم الأديب **أبو**

---

[1] ابن رشد، **المصدر السابق** ،س3، ص 1517.

[2] عياض،**المصدر السابق**،ص55.

[3] ابن شكوال، **المصدر السابق**، ج2، ص 547.

[4] الضبي، **المصدر السابق**،ج1، ص 74.

[5] ابن عذاري، **المصدر السابق**،ج4، ص 74.

[6] ابن رشد، **المصدر السابق** ،س3، ص 1525.

[7] ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 74.

[8] ابن رشد، **المصدر السابق**،س3، 2525.

[9] ابن شكوال،**المصدر السابق**، ج2، ص 547.

الطاهر محمد بن يوسف بن عبد ا التميمي[1].الذي نظم قصيدة في رثاء ابن رشد هذا مطلعها :

يا هل أقض عليك ذاك المضجع — أم هل بسوى النجيع المدمع
فلقد سما اك و الحوادث جمة — نبأ تخر له الجبال الخشع
رزء أجلّ على الزوايا بعده — فالقرح من نكأ عليه أوجع
أودي ابن رشد والرشاد وإنّما — أهوى به طود وأجذب ممرع [2]

[1] فقيه مالكي، كان مقدما في اللّغة العربية، شاعرا محسنا، له مقامات من تأليفه. **أنظر**: ابن شكوال، **المصدر السابق**، ج2، ص 556.

[2] أنظر: ابن رشد، **الفتاوى ،**س3،ص1526و ما بعدها .

الخاتمة

حاولت من خلال هذه الدراسة أن أبسط حقيقة ما وصلت إليه هذه السلطة العلمية بالأندلس على العموم خلال عصر المرابطين، متخذة من شخصية قلما نظفر بمثلها في الدراسات التاريخية أنموذجا مثلتها أحسن تمثيل وقامت بدورها أحسن قيام، ألا وهي شخصية **ابن رشد الجد** التي جمعت بين الفقه والسياسة واستطاعت أن توفق بينها إلى أبعد الحدود، وأن تلائم بين متطلبات الدين وظروف الواقع، وقد توصل البحث إلى نتائج بقدر من الأهمية تتمثل فيما يلي:

1- أنه كان للعلماء المالكيين دور مهم في قيام دولة المرابطين، فلقد قامت نتيجة تخطيطهم وتفكيرهم، واضطلع بالدور الأكبر في ذلك **الإمام عبد ا بن ياسين** واضع أسس الدولة المرابطية وراسم خطاها،و الذي أعطى بنجاحه الدليل الأكبر على صفة العالم ليست عائقا عن التعاطي الصحيح مع السياسة بل على العكس فالعلم هو الشرط الأساسي لتكون السياسة خيرة نافعة، وقد اقتفى أثره بعده الأمراء المرابطين والعلماء المالكيين الذين سعوا إلى توحيد المشارب الفكرية لهذه الدولة والتزام طريق السلف الصالح مما أثار عليهم الكثير من التحاملات.

2- أن أبو الوليد بن رشد الجد الفقيه الأندلسي المشهور كان يحتل مكانة علمية خاصة في العهد المرابطي، فلقد كان يمثل رفقه أبو بكر بن العربي المعافري، وعياض بن موسى اليحصبي نموذج الفقيه المرابطي، كما كان يمثل أكبر سلطة إفتائية في عصره وواحد من الفقهاء يحتلون مكانا ضمن ذلك الصنف من الفقهاء المجتهدين الذين اعترف لهم بالوجود أي المجتهدين داخل المذهب بعد أن أغلق باب الاجتهاد المطلق، ففي الكثير من الأحيان كانت مواقفه اجتهادية حيث كان قادرا على اتخاذ مواقف في فتاويه لا يعود فيها إلى رأي سابق كما أصبحت عليه عادة فقهاء المالكية في تقيدهم الشديد بالتقليد، إذ كان بحق من المستنبطين للفقه، الحاذقين له، العارفين بمستويات الاجتهاد، فضلا عن ذلك فلقد كان بارعا في مختلف المجالات من حديث وتفسير وعلم الكلام واللغة.

3- أن العلماء بالأندلس في عصر المرابطين صاروا زعماء الشعب ووسطائه الحاملين لرغباته المعبرين عن طموحاته أمام السلطة العليا كما قاموا بدور بارز بمن فيهم ابن رشد الجد في توحيد الأندلس مع المغرب تحت سلطة واحدة فآرائهم وفتاويهم المساندة للدولة المرابطية كانت عاملا مهما في تحقيق هذه الوحدة، وكان هدفهم الأول من ذلك

حفظ ما تبقى من أراضي الإسلام بالأندلس بمجاهدة النصارى كما قمنا بتوضيح العمل المتميز الذي أسهم به علماء الأندلس في معركة الزلاقة وهو دور تجاهله معظم المؤرخين لهذه الفترة.

4- أنه ن الطبيعي بعد أن استوى عود الدولة المرابطية واشتد وبعد الجهد الذي قام به علماء الأندلس في إطار الوحدة مع المغرب أن يتمتعوا بموقع مؤثر ونفوذ متسع، خاصة بعد أن منحوا موقع الاستشارة من الأمير ووظائف لممارسة سلطتهم كمنصب القضاء، الأمر الذي جعل منهم طبقة مؤثرة مرهوبة ومرغوبة. فبلغت سلطتهم بذلك مبلغا لم تبلغه في أي عصر من العصور وفي شخصية ابن رشد الجد أحسن أنموذج على ذلك فلقد استطاع بما أوتي من علم وقدرة على الإقناع أن يشارك في السلطة ويتقاسم الدولة مسؤوليتها، فقام بمهامه أحسن قيام واستطاع أن يؤدي وظيفته التي كلف بها ويخرج منها بشرف معززا مكرما، وأن يحافظ على طهارة سمعته وعلو منزلته، وأن ينجح في سفارته السياسية نجاحات كبيرا ،وان يعيش من أجل أفكاره ومبادئه باللسان والحركة والتأليف، فكان من أعظم من أنجبت الأندلس وأنتجت الدولة المرابطية ومن المتقدمين في إحياء الفقه المالكي المجددين شبابه في ظل دولة عرفت فضل الفقهاء ومكنتهم من السلطة الفعلية، فقام بعضهم بما يمليه عليه الوقف ويقتضيه الظرف الحالي أحسن قيام في حين خلق لدى البعض الآخر طموحات وأطماع شخصية فاستغلوا نفوذهم لتوسيع مكاسبهم وزيادة أموالهم.

لقد توصلت هذه الرسالة في الأخير إلى حقيقة لم توضح بهذا الشكل من قبل،و هي أن فئة العلماء في الفترة المرابطية كانوا يشكلون طبقة ناشطة وفاعلة في المجتمع أثرت في التاريخ السياسي الأندلسي وحاول أفرادها في أغلبهم نشر الأمن والعدل في ربوعه وإن خلق لدى بعضهم طموحات وأطماع شخصية فاستغلوا نفوذهم للاستقلال بمناطقهم في ما يعرف بثورات المنتزين في الفترة الأخيرة من الحكم المرابطي بالأندلس.

الملاحق

الملحق رقم 1:

أمراء المرابطين ونسبهم:

1- يحي بن إبراهيم **(القرن 5ه /11م).**

2- يحي بن عمر **(448هـ/1056م).**

3- أبو بكر بن عمر **(480هـ/1087م)**

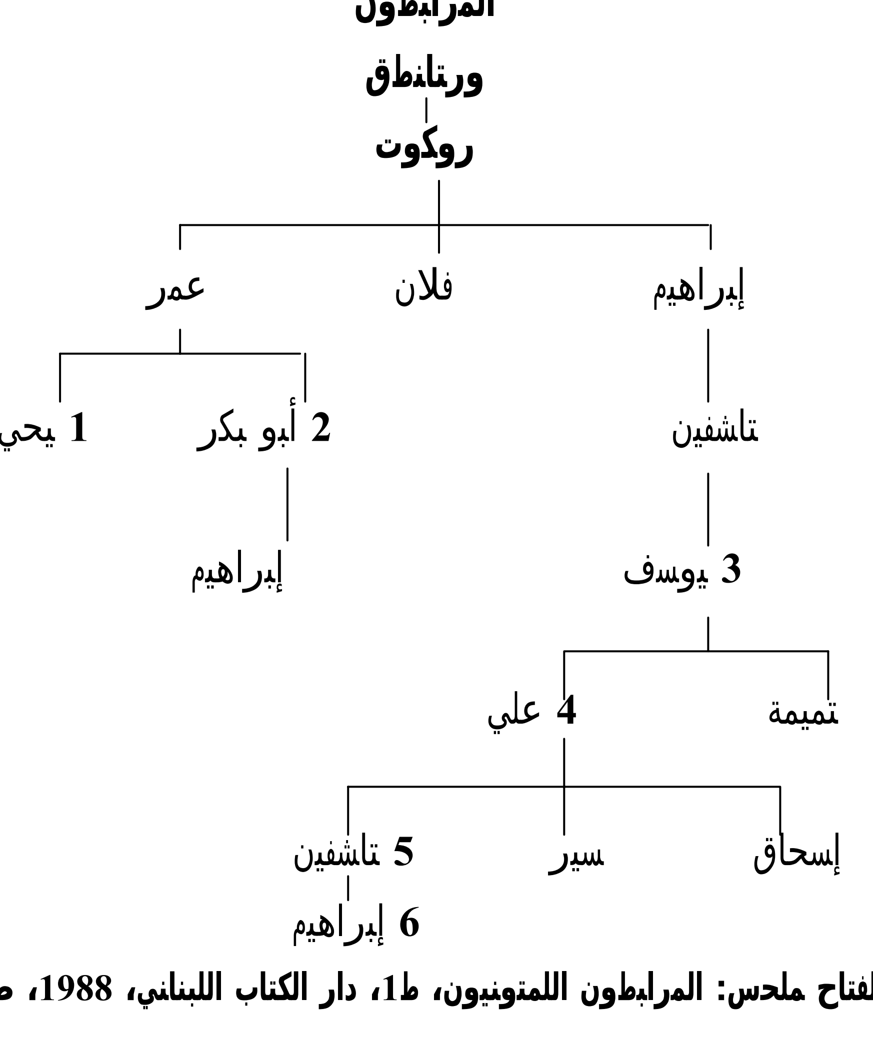
4- يوسف بن تاشفين، **(453هـ/ 1061م- 500هـ/1107م).**

5-علي يوسف بن تاشفين، (**500هـ/1107م- 537هـ/1143م).**

6-تاشفين بن علي (**537هـ/1143م-540هـ/1145م).**

7-إبراهيم بن تاشفين **(540هـ/1145م).**

نسبهم:



ثريا عبد الفتاح ملحس: المرابطون اللمتونيون، ط1، دار الكتاب اللبناني، 1988، ص 36، 37.

الملحق رقم 2:

من المرسوم تاشفين بن علي بالتزام مذهب السلف الصالح وحرق كتاب الأحياء.

"بسم ا الرحمن الرحيم، وصلى ا على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا، من أمير المسلمين وناصر الدين تاشفين بن علي يوسف بن تاشفين إلى وليه في ا تعالى، الأعز ، الأكرم، ...وسائر الفقهاء والوزراء والأخيار والصلحاء ببلنسية حرسها ا ، وآدم كرامتهم بتقواه...من مناخنا بكرنطة في العشر الأوائل من جمادى سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة وبحمد ا من صحيفتنا هذه صدرها إليكم، وكل قول فبعده يترتب وينتظم...".

....واعملوا رحمكم ، أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى، في الحضر والبدو على ما اتفق عليه السلف الصالح، رحمهم ا من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد ا مالك بن أنس رضي ا عنه، فلا عدول لقاض، ولا مفت عن مذهبه، ولا يأخذ في تحليل ولا ترجيم إلا به، ومن حاد عن رأيه بفتواه، ومال من الأئمة إلى سواه، فلقد ركب رأسه واتبع هواه ومتى عثرهم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة فإياكم وإياه، وخاصة وفقكم ا كتب أبي حامد الغزالي، فليتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتبع خبرها، ويبحث عليها، وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها....."

الفيومي، **تاريخ الفلسفة الإسلامية بالمغرب والأندلس**، ص 167 وما بعدها.

الملحق3:

قسم من فتوى الغزالي إلى يوسف بن تاشفين بشرعية جهاده بالأندلس.

"لقد سمعت من لسانه وهو الموثوق به، الذي يستغنى مع شهادته عن غيره وعن طبقة من ثقاة المغرب الفقهاء وغيرهم من سيرة هذا الأمير، أكثر ا في الأمراء أمثاله، ما أوجب الدعاء لأمثاله، ولقد أصاب الحق في إظهار الشعار الأمامي المستظهري، نشر ا على المستظهرين ظلاله".

وهذا هو الجواب على كل ملك استولى على قطر من أقطار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فعليهم تزيين منابرهم بالدعاء للإمام الحق، بلغهم صريح التقليد من الإمام، أو تأخر عنهم لعائق، وإذا نادى الملك المستولى بشعار الخلافة العباسية، وجب على كل الرعايا والرؤساء الأذان والانقياد، ولزمهم السمع والطاعة، وعليهم أن يعتقدوا أن طاعته في طاعة الإمام، ومخالفته في مخالفة الإمام، وكل من تمرد واستعصى، وسل يده من الطاعة، فحكمه حكم الباغي، قال ا تعالى: **"وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، أصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء لأمر ا "** والفيئة إلى أمر ا : الرجوع إلى الخلافة العباسية، فكل متمرد على حق، فإنه مردود بالسيف إلى الحق، فيجب على الأمير وأشياعه قتال المتمردة عن طاعته، ليسما وقد استنجدوا بالنصارى، المشركين أولياءهم، وهم أعداء ا في مقابلة المسلمين الذين هم أولياء ا ، من أعظم القربات قتالهم إلى أن يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية، ومهما تركوا المخالفة وجب الكف عنهم...أعني عن المسلمين منهم دون النصارى....وأما ما يظفر من أموالهم، مردود عليهم أو على ورثتهم، وما يؤخذ من نسائهم وذراريهم في القتال مهدرة لا ضمان فيها...."

ابن العربي ، **شواهد الجلة**، ص 302، وما بعدها.

الملحق رقم 4:

نماذج من الفقهاء والقضاة الأثرياء في عصر المرابطين.

الفقيه	سنة وفاته	النص المعبر عن ثرائه	المصدر
عبد ا بن محمد بن جبل الهمداني	غير محددة	نال بخدمة السلطان دنيا عريضة	التكملة، ج2، ص 917.
عبد ا بن عبد ا بن عيشون المعاثري	537هـ-1142م	صاحب ثروة ويسار	ن.م، ص 936
محمد بن عبد ا بن حسون الكلبي	519هـ-1125م	من مجلة أعيان بلده وكبار حسبانه	الذيل والتكملة، س6، ص 331.
محمد بن أصبع الأزدي	536هـ-1141م	كان مشاركا بجاهه وماله في المعروف والخير.	الصلة، ج2، ص 586.
سراج بن عبد الملك	508هـ-1114م	كان أوسع أهل عصره مالا وجاها	معجم ابن الأبار، ص 315.
أبو بكر بن العربي	543هـ-1148م	كان كثيرا الأموال	تذكرة الحفاظ، ج4، ص 88.
أبو عبد الملك بن سمجون اللواتي	غير محددة	كان ذا جاه عريض	الغنية، ص 197.
أبو الوليد بن رشد	520هـ-1126م	كان عظيم المنزلة، مقدما عند أمير المسلمين.	الغنية، ص 54.
أحمد بن محمد المخزومي	كان حيا 566هـ-1170م	من أهل الثروة واليسار	التكملة، ح1، ص 76.
إبراهيم بن ميمون الخضرمي	560هـ-1164م	ذو نباهة وثروة	ن ، م ج1، ص 150

محمد بن رزق أبا عامر	غير محددة	كان صاحب يسار و ثروة عظيمة	ن،م،ج1،ص 429.
محمد بن أبي الخليل	570هـ- 1174م	كان يملك ثروة كبيرة عمل على إخفائها.	ف م، ج2، ص 532.
محمد إبن الجد الفهري	586هـ- 1190م	نال دنيا عريضة وثروة عظيمة	ن،م، ج2، ص 542

الملحق رقم 5:

قسم من فتوى ابن رشد لأمير المسلمين علي بن يوسف في أي العملين أفضل في هـذا الزمان، هل الحج أم الجهاد لأهل الأندلس والعدوة.

كتب إليه رضي ا عنه، أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين أدام ا أمره وأعز نصره، يسأله هل الحج أفضل لأهل الأندلس أو الجهاد؟

فأجاب: "تصفحت رحمنا ا وإياك سؤالك هذا، ووقفت عليه، وفرض الحج ساقط عن أهل الأندلس في وقتنا هذا لعدم الاستطاعة التي جعلها ا شرطا في الوجوب، لأن الاستطاعة القدرة على الوصول مع الأمن على النفس والمال وذلك معدوم في هذا الزمان، وإذا سقط فرض الحج لهذه العلو صار نفلا مكروها لتقحم الغرر فيه، فبان بما ذكرناه أن الجهاد الذي لا تحصى فضائله في القرآن والسنن المتوترة والآثار أفضل منه، وأن ذلك أبين من أن يحتاج إلى السؤال عنه..."

ابن رشد ،**الفتاوى ،س2،ص1021.** ،

الملحق رقم 6:

فتوى ابن رشد على سؤال الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين عما اغترفه المسلمون من أموالهم بأيدي النصارى الداخلين إلى قرطبة من طليطلة باسم التجارة أيام الصلح.

فأجاب: "...إن كان التجار من أهل طليطلة أعادها ا ، خرجوا منها بعد أن أغارت سيرتهم على بلاد المسلمين فأسرت الرجال، وأخذت الأموال فلا عهد لهم، لأن العهد في الدخول إلى بلاد لمسلمين في التجارة وإنما أعطوه على أن يكفوا عن المسلمين ولا يغيروا عليهم فيأسروهم، ويأخذوا أموالهم، فالواجب أن يرهنوهم وما معهم من الأموال، فيما أخذت السرية الخارجة من عندهم من أسرى المسلمين وأموالهم، حتى يصرفوا ذلك إليهم، فإن أجابوا إلى ذلك وفعلوه بقيت الهدنة على ما كانت عليه، وإن أبو ذلك انقضت وعادت حربا وكان التجار المرتهنون أسرى للمسلمين وأموالهم فيئا لهم، ومن أثبت من الناس في شيء ما وجد بأيديهم أنه ماله وملكه أخذته السرية المذكورة الخارجة من طليطة بعد المهادنة قضى له به ".

ابن رشد، الفتاوى، السفر الثالث، ص 1423.

الملحق رقم 7:

من فتوى أبو الوليد بن رشد في تلثيم الملثمين:

سئل- رحمة ا - عما نشأ عليه، المرابطون من التلثيم الذي هو زيهم هل يجب عليهم التزامه، أو يستحب ذلك لهم، أو مكروه لهم، يستحب لمن مال إلى العبادة منهم أن يطرحه أم لا؟

فأجاب: ....قد خلق ا الخلق أجمعين، وجعلهم شعوبا وقبائل، وباعد بينهم في البلاد، وخالف بينهم في الأزياء والهيئات فلا يجب على أحد منهم الرجوع عما اختاره من زيه وهيئته إلى زي سواه وهيئته، لأن ذلك من قبل الجائز المباح للعباد، ...والتلثيم للمرابطين هو زيهم الذي اختاروه لأنفسهم ونشئوا عليه، وتوارثوه، ودرجوا عليه سلفا عن ماف، فلا كراهية فيه بل يستجيب لهم التزامه، والمحافظة عليه، وتكره لهم مفارقته، لأنه شعارهم الذي تميزوا فيه عن سائر الناس في أول أمرهم، إذ قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين، ففي التزامهم إياه لتظهر كثرتهم، ويتوفر في أعين الناس عددهم غيظ للمشركين وعز للمسلمين لأنهم حماتهم، الذابون عنهم، المجاهدون دونهم...... "

ابن رشد، الفتاوي ، س2 ،ص963.

قائمة المصادر

والمراجع

I- المصادر العربية:

ابن الأبار، أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن عبد الرحمن القضاعي (665هـ-1286).

1- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1956/1375م، جزئين.

2- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (594هـ/120م)، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، دار المصري، دار الكتب اللبناني، القاهرة، بيروت 1990.

3- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة 1962، الجزء الأول.

4- المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة 1410هـ/1989م.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني 630هـ/1232م.

5- الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت 1998.

الإدريسي، الشريف أبو عبد ا محمد بن عبد العزيز ت 548هـ/1158م.

6- نزهة المشتاق في إفتراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1414هـ/1994م، جزئين.

الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد ا (430هـ/1039م).

7- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق محمد عبد القادر عطا الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1997/1418م.

ابن أبي أصبيعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (ت 686هـ/1270م).

8- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.

ابن أبي دينار، أبي القاسم عبد ا محمد بن أبي القاسم المرعيني القيرواني، (ت 1110هـ/1699هـ).

9- المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد الشمام، الطبعة الثالثة، المكتبة العتيقة، تونس، 1987.

إبن أبي زرع، أبو الحسن على بن عبد ا الفاسي (ت726هـ/1325م)

10- الأنيس المطري بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، المكتبة التاريخية، د.ت.

ابن بسّام أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، (543هـ/1147م)

11- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصفى البدري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 419هـ/ 1998م، المجلد الثاني.

إبن شكوال، أبي القاسم بن خلف بن عبد الملك (ت578هـ/578هـ).

12- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، نشره وصحح أصله عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة 1999، جزئين.

البكري أبو عبيدة عبد ا عبد العزيز (ت 487هـ/194م).

13- كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

14- جغرافية الأندلس وأروبا، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الأرشاد، بيروت، 1968م.

البغدادي، إسماعيل باشا.

15- هدية العارفين، وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1955، المجلد الأول والثاني.

ابن تميمة

16- مجموع الفتاوي، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم ساحة وأبنه محمد، مكتبة المعارف، الرباط، د، ت.

التمبكتي أحمد بابا (1032هـ/1642م).

17- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المطبعة الجديدة، فاس، طبعة حجرية.

ابن حزم، أبو محمد علي بن حزم الظاهري (456هـ/1064م).

18- رسالة التلخيص لوجوه التلخيص(رسائل ابن حزم الظاهري)، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981.

الحميري محمد بن عبد ا بن عبد المنعم.

19- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1975.

20- صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق إ.ليفي بروفنسال، مطبقة لجنة التأليف والترجمة والنشر، طبعة القاهرة، 1414هـ/1993م.

الحميدي، أبي محمد، أبي نصر، فتوح بن عبد ا (ت488هـ).

21- جذوة المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، الطبعة المولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

الحموي، شهاب الدين أبي عبد ا ياقوت بن عبد ا الرومي البغدادي (626هـ/1228م).

22- معجم البلدان، الطبقة الأولى، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/1988م.

الحطاب الرعيني محند بن محمدبن عبد الرحمن.

23- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ضبطه وشرح آياته وأحاديثه، الشيخ زكريا، عميرات، طبقة خاصة، عالم الكتب، السعودية الرياض، 1423هـ/2003م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد ا (ت 1067-1636م).

24- كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م.

ابن حيان القرطبي (ت 467هـ/1076م).

25- المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن حجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م.

ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت 368هـ/979م).

26- كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1979م.

ابن الجزري، الحافظ بين خير محمد بن محمد الدمشقي.

27- غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق بوجستراسو، مؤسسة الخانبي القاهرة، 1932م.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد ا   (ت 529هـ/1134م).

28- قلائد العيقان في محاسن الأعيان، الطبقة الأولى، مطبعة التقدم العلمية، مصر 1320هـ.

29- مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، الطبعة الأولى، مطبعة الجواني 1302هـ.

ابن خفاجة، أبو إسحاق ابراهيم الأندلسي.

30- الديوان، تحقيق وشرح كرم البستاني، مكتبة الصادر، بيروت، 1951.

إبن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد ا   بين سعيد بن عبد ا   (ت776هـ/1374م).

31- تاريخ إسبانيا الإسلامية وكتاب أعمال الأعلام في من قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، الطبقة الثانية، دار الكشوف القاهرة 1393هـ/1973م.

32- الإحاطة في أخبار غرناطة، الجزء الأول، تحقيق محمد عبد ا   عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/1974م.

33- الإحاطة في أخبار غرناطة، الجزء الثاني، تحقيق محمد عبد ا   عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1323هـ/1975م.

34- الإحاطة في أخبار غرناطة، الجزء الثالث، تحقيق محمد عبد ا   عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م.

ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن (808هـ/1406م)

35- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المسمى بتاريخ إبن خلدون، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1991، الجزء السادس.

36- المقدمة، تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الخامسة.دار الرائد ،بيروت ،1982م

ابن خلكان أبي العباس شمس الدين محمد بن أبي بكر (6810هـ/1283م).

37- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1991، الجزء السادس.

الخشني، أبو عبد ا محمد بن الحارث بن أسر (3160هـ/971م).

38- تاريخ قضاة قرطبة، تحقيق ابراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت 1410هـ/1989م.

الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت 945هـ).

39- طبقات المفسرين، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

الدمشقي، أبي عبد ا بن أبي طالب الأنصاري.

40-نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1419هـ/1998م.

الذهبي، شمس الدين أبي عبد ا محمّد بن أحمد بن عثمان، 748هـ/1348م.

41-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، الطبقة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 424هـ/2003م.

42-العبر في خير من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد بن سعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، **د، ت.**

43-تذكرة الحفّاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1956م.

44-سير إعلام النبلاء، بهامشه إحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محي الدين أبي سعيد عمر بن غلاّف العمري،الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الجزء الرابع عشر.

ابن رشد، أبو الوليد محمّد بن أحمد القرطبي الفقيه (520 هـ/1126م).

45- فتاوي ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق المختارين الطاهر، التليلي، دار إحياء التراث الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، قطر-بيروت، 1407هـ/1987م.

46- مسائل أبي الوليد بن رشد الجد، تحقيق محمد الحبيب التكجاني، الطبعة الثانية. دار الجيل. دار الآفاق الجديدة، بيروت، المغرب 1414هـ/1993م.

47- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق محمد حجي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.ط

48- المقّدمات الممهدات، لبيان ما اقتضته رسوم المدونة ، تحقيق محمود حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

الرشاطي أبو محمّد (542ه/1147م)، وابن الخرّاط الأشبيلي (581هـ/1186م).

49- الأندلس في اقتباس الأنوار، وفي اختصار إقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق، إيميليومولينا، وخاثينتوبوسك بيلا، سلسلة مصادر أندلسية، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 199.

50- **الزيري عبد ا بن بلقين.**

51- المذكرات أو كتاب التبيان، تحقيق ونشر ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر- القاهرة، 1955م.

ابن الزبير، أبو جعفر العاصمي (ت 78هـ/1308م).

52- صلة الصلّة، تحقيق عبد السلام الهرتس، سعيد أعراب، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1413هـ/1993، القسم الثالث.

ابن الزيّات، أبي يعقوب يوسف التادلي (617هـ/1260م).

53- التشّوف في رجال التصوف، تحقيقي أحمد توفيق، الطبعة الثانية، منشورات كلية الآداب والبحوث الإنسانية، الرباط، 1997م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن

54- بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1 ،مطبعة عيسى الباجي الحلبي ،بيروت ،1963م.

55- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1997م.

السرّاج، محمّد بن محمّد الأندلسي (ت 1149هـ/1730م).

56- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيل، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

السلاوي، أبو العباس أحمد الناصري (ت1315هـ/1897م)

57- الإستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر خالد الناصري ومحمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء 1372هـ -1954م.

ابن سلمون بن علي بن عبد ا ، الغرناطي.

58- العقد المنتظم فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام، مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة، تحت رقم 1360.

الشعراني، أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري، الشافعي المصري (ت973هـ -1585م).

59- الطبقات الكبرى، المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، الطبعة الأولى، دار الجبل، بيروت، 1408هـ/1988م، الجزء الأول.

الشعبي المالقي، أبو المطرف عبد الرحمن بن القاسم (ت497هـ/1104م)

60- كتاب الأحكام، تحقيق الصادق الحلوي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

الطبي، محمد بن يحي بن عميرة (ت 599هـ/1203م).

61- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت 1410هـ/1989م.

62- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، جزئين.

ابن عذاري المراكشي (ت 706هـ/1306م).

63- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثالث، تحقيق ج،س، كولان، وليفي بروفسال، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت 1980م.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن العربي المعافري المالكي (543هـ/1148م).

64- العواصم من القواصم، في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول صلى ا عليه وسلم، تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب، شرح أحاديثه وعلق عليه محمود مهدي الإستمبولي، دار الصادر، بيروت، د.ت.

ابن العربي، إبن عبد الحليم (ق14/8م)، مؤلف مجهول.

65- كتاب شواهد الجلة، كتاب الأنساب، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996.

ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، (ت1083هـ/1936م).

66- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المركز التجاري في الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، المجلد الثالث والرابع.

ابن عسكر أبو عبد ا ، وأبو بكر بن خميس.

67- أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق، عبد ا المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1420هـ/1999م.

ابن عطية، أبومحمد عبد الحق بن عطية المحازي الأندلس (481هـ541هـ/1088-1147م).

68- الفهرس ، تحقيق أبو الأجفان- محمد الزاهي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1980.

عياض، أبو الفضل بن موسى إلحصي السبتي (544هـ/1149م)

71- ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، ضبطة وصححه محمد سالم هاشم، الطبقة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ/1998م، المجلدين.

72- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة المغربية، الرباط، د ت.

73- الغنية، فهرست شيوخ القاضي عياض، 467هـ-544هـ/1083، 1149م تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت.1402هـ/1982م.

الغرناطي الأندلسي، ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد ا (685هـ/1226م).

74- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1964م،

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ/1111م).
75- إحياء علوم الدين بذيله، المعنى يحمل الأشعار في تفريج ما في الأحياء من الأخبار، للعلامة زين الدين أبي الفضل العراقي، تحقيق محمد دالي بسطة، الطبقة الثالثة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت 1419هـ، 1998م.
ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، ت 799هـ.
76- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن يحي الجبان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م.
77- تبصرة الحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، دار الكتب العلمية، المطبعة العامرية الشرقية، بيروت- مصر 1301هـ.
ابن الفرضي، أبو الوليد عبد ا بن يوسف بن الأزدي (403هـ/)
78- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت.
ابن القاضي، أحمد بن محمد أحمد (1025هـ/1316م).
79- جذوة الإقتباس في ذكر من الإعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط، 1994م.
ابن القطان المراكشي، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتابي (منتصف القرن السابع).
80- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف.
81- أنباء الرواة على أنباه النحاة، تحقيق إبراهيم أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة 1953.
ابن الكردوس
82- الإكتفاء في أخبار الخلفاء، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، تحت رقم.
83- الكتاني، أبي المزايا محمد بن إبراهيم بن أحمد بن جعفر (ت1411هـ)

84- الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004/1425م.

مؤلف مجهول

85- الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1339هـ/1979م.

المرادي، أبو بكر محمد بن الحسن الخضرمي القيرواني (ت489هـ/1196م).

86- كتاب الإشارة في أدب الإمارة، تحقيق رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، 1981م.

المراكشي، عبد الواحد (581هـ/1185م)

87- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1419هـ/1998م.

المراكشي، عباس بن ابراهيم.

88- الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب منصور، الطبعة الثانية المطبعة الملكية، الرباط، 1419هـ، 1998م.

المراكشي،ابن عبد الملك محمد بن محمد الأنصاري (ت703هـ/1303م)

89- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريف، طبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984م.

90- الذيل والتكملة، السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1973م.

المقري، التلمساني أحمد بن محمد (1041هـ/1631م).

91- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1968م.

92- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق سعيد أحمد أعراب، محمد بن قاويت، حكومة المملكة العربية السعودية، د،ت، الجزء الأول والثالث.

مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت 1360).

93- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه، عبد المجيد الخيالي الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 1424، 2003م، المجلد الأول والثاني.

94- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكي**ة،دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، د.ت.

النباهي، أبو الحسن علي بن محمد المالقي (ق14/8م).

95- تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا تحقيق مريم الطويل، الطبقة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م.

النيسوري، أبي عبد ا محمد بن عبد ا الحاكم.

96- المستدرك على الصحيحين، معه تلخيص الذهبي، كتاب الدرك في تخريج المستدرك، وأحكام الأئمة الحفاظ على أسانيده، كمهك الحافظ ابن حجر العسقلاني، وشيوخه وزوائد المستدرك على الكتب الستة، والإستدراك على المستدرك العسقلاني والمدخل لمعرفة المستدرك، تحقيق راجي الرجات أبي عبد ا

الونشريسي، أبو العباس أحمد بن أحمد بن يحي (ت 914هـ/1511م)

97- المعيار المعرب، ولجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، مطبوعات دار الغرب الإسلامي بيروت، 1981م.

اليافعي عفيف الدين، أبو عيد ا بم أسعد بن علي بن سليمان اليمني الملكي (ت768هـ).

98- مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الطبعة الثانية، منشورات مؤسسة العلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت 1390هـ/1970م ، **اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد، (ت 1342/1743م).**

99- إشارة التعديل في تراجم النحاة اللغويين والنحويين، تحقيق عبد المجيد دياب، الطبعة الأولى، شركة الطباعة العربية، السعودية، 1406هـ/1986م.

اليعقوبي، أحمد بن محمد بن يعقوب بن واضح.

100- كتاب البلدان، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي 1408هـ/1988م.

المراجع العربية:

ابن بية محمد محمود عبد ا :

1- الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، الطبعة الأولى، دار الأندلس الخضراء، درا إبن حزم، جدة، بيروت، 2000م.

أبو أدهم عبادة بن عبد الرحمن رضا كحيلة:

2- المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، الطبعة الأولى، المطبعة الإسلامية، مصر، 1418هـ/1997م.

أبو حويح، مروان سليم.

3- أصالة التفيق التربوي في الفكر الأندلسي، الدار الجامعية، الكويت، 1997م.

أبو خليل شوقي.

4- الزلاقة بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، الطبعة الثانية، دار الذكر، دمشق، 1998.

أبو الريان محمد علي.

5- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، الطبقة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

أبو زهرة محمد.

6- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

أبو الفضل محمد،

7- دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1996م.

أبو مصطفى كمال السيد.

8- دراسات في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1997م.

أمليل علي.

9- السلطة الثقافية، والسلطة السياسية، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

إحسان عباس.

10- تاريخ الأدب العربي، الطبعة الثانية، درا العلم للملايين، بيروت، 1995، بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

أحمد هيكل.

11- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، الطبعة الحادية عشر، دار المعارف، القاهرة، 1994م.

أحمد بدر.

12- دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، مطابع ألف باءه دمشق، 1969م

أحمد أمين

13- ظهر الإسلام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، الجزء الثالث.

بوشتيش إبراهيم القادري.

14- مباحث في الحياة الإجتماعية عصري المرابطين والموحدين، الطبقة الأولى، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م.

15- تاريخ الغرب الإسلامي، قراءة جديدة لبعض قضايا المجتمع والحضارة، درا الطليعة بيروت، 1994م.

بيضون إبراهيم.

16- الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

بونار رابح.

17- المغرب العربي، تاريخه وثقافته، الطبقة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986م.

البشري عبد ا .

18- الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، الطبعة الأولى، الرياض، 1993.

بلغيث محمد أمين.

19- النظرية السياسية عند المرادي، وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982م.

بطاش كبرى زادة مصطفى.

20- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

التليلي عبد الرحمن.

21- ابن رشد الفيلسوف العلم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والتوزيع والعلوم، تونس، 1998م.

التليلي، المختار بن الطاهر.

22- ابن رشد وكتابه المقدمات، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988م.

حسن أحمد محمود،

23- قيام دولة المرابطين، الطبقة الثانية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1992.

حسين حمدي عبد المنعم.

24- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، الطبقة الأولى، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997م.

حسن مؤنس.

25- تاريخ المغرب وحضارته من الفتح إلى الغزو الفرنسي، الطبعة الأولى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، مصر، 1992.

26- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد ، القاهرة، 2000م.

27- شيوخ العصر الأندلس، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

28- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر 413هـ /1992م.

حسن على حسن.

29- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، الطبقة الأولى، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.

حسن ابراهيم حسن.

30- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، الطبقة الخامسة عشر دار الجيل، بيروت، 1998م.

حمادي الساحلي،

31- فصول في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

حركات إبراهيم.

32- النظام السياسي والحربي، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، د.ت.

الجيدي، عمر.

33- محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987م.

الجراري عباس.

34- صيانة أندلسية، دراسات مهداة إلى يوسف بن تاشفيت، الطبعة الأولى منشورات نادي الجراري، الرباط، 1416هـ/1995م.

الجابري محمد عابد.

35- ابن رشد، سيرة وفكر، دراسة ونصوص، الطبقة الأولى، بيروت، 1998م.

دنش عصمت عبد اللطيف.

36- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل لموحدين، الطبقة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

37- أضواء جديدة على المرابطين، الطبقة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

38- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، مع تحقيق رسائل أبي بكر العربي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984/1404م.

السحمراني، أحمد

39- التصوف منشؤه، ومصطلحاته، الطبعة الأولى، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ت.

سالم عبد العزيز

40- المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

سعدون عباس نصر ا .

41- دولة المرابطين في المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية بيروت، 1985/1404م.

السيد محمود.

42- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، الإسكندرية، 1999م.

سيتر أمير علي

43- مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رأفت رياض، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001.

الشواط محمد بن الحسين.

44- القاضي عياض وإمام أهل الحديث في وقته، دار القلم، دمشق، 1994.

الشرنباصي السيد، فراح حسين أحمد.

45- أصول الفقه الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، د.ت.

الشبي محمد رضا،

أدب المغاربة الأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية، الطبعة الثانية، دار إقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، 1404هـ / 1984م.

الصالح صبحي،

46- النظم الإسلامية منشأتها وتطورها، الطبقة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1388هـ/1968م.

عنان محمد عبد ا

47- دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، عصر الطوائف وبداية المرابطين الطبقة الثانية مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م.

48- دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين، الطبقة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م.

العروي عبد ا .

49- مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي.

العبادي أحمد مختار.

50- في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2001م.

العكاوي رحاب.

50- ابن رشد فيلسوف قرطبة، أعلام الفكر العربي، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، بيروت، 1979م.

العرافي، عاطف.

51- النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، 1993.

عبد العزيز عتيق.

52- الأدبي العربي في الأندلس، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1946م.

عبد الحليم رجب محمد،

53- **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية.** دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مصر، بيروت، 1985م.

الفيومي، محمد إبراهيم،

54- تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، 1417هـ/1997م

الفقي عصام الدين عبد الرؤوف

55- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1914هـ/1999م.

فصل ا مهدي

56- الإجتهاد والمنطق الفقهي في الإسلام، الطبعة الأولى، بيروت، 1987م.

فروخ عمر.

57- الأدب العربي في عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع.

الكنون عبد ا .

58- البنوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1395م/1995م.

المنصور محمد، المغراوي محمد.

59- التاريخ وأدب النوازل، الطبقة الأولى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

المنصور محمد صالح

60- العلاقات بين المرابطين وملوك الطوائف، الطبعة الأولى، منشورات جامعة فان يونس، بنغاري، 1995.

مقديش محمود

61- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق على زاوي، محفوظ محمود، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي.

محمد لطفي جمعة.

62- تاريخ تلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، المكتبة العلمية، بيروت، 1945م.

النجار عبد الحميد.

63- المهدي بن تومرت، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، مصر 1983/1403م.

الهدفي، سلامة محمد سليمان.

64- دولة المرابطين في عهد على بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية، القاهرة، 1985/1405م.

المراجع المعربة:

أشباح يوسف:

1- الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تحقيق عبد ا عنان، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1956م.

بروكلمان، كارل

2- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة بنية أمين فارس، منير البعلبكي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1998م.

بالنثيا، أنخل بنا ثاث

3- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ.

جوليان، شارل أندري

4- تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي وبشير سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969م.

رسلر جاك

5- الحضارة العربية، تعريب أحمد خليل، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1993م.

ليفي بروفنسال.أ

6- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

الموسوعات، المعاجم والرسائل الجامعية:

أبو عمران الشيخ وآخرون.

1- معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995م.

بلغيث محمد الأمين.

2- الحركة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، أطروحة مقدمة نيل دكتوراه دولة في تاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1423هـ-1424هـ/2002-2003م.

حسبلاوي نسيم.

3- الحركة الفكرية في عهد الدولة الأموية (138هـ-422هـ/756م/1031م)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001، 2000.

زينب نجيب.

4- الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم أحمد بن سودة، دار الأمير الدولية للثقافة والنشر، بيروت، 1995م.

الزركلي.

5- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال والمتحربين المستشرقين، الطبقة الثانية عشر، دار العلم للملايين، بيروت 1998م.

العفيفي، عبد الحكيم.

6- موسوعة ألف حدث تاريخي، الطبقة الأولى، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

العنبتاوي، عدنان.

7- حكايانا في الأندلس، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، 1998.

كحالة عمر رضا.

8- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، د ت.

جمال الدين عبد ا

9- تاريخ المسلمين بالأندلس، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، شبه جزيرة العربي، القاهرة، 1990.

يوسف عبد، يوسف فرحات.

10- معجم الحضارة الأندلسية، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 2000.

المراجع الفرنسية:

01- Clot (André): **L'Espagne Musulmans VII^e^ - XV^e^ siècle**, Library Académique, Perrin, 1990.

02- Clifford Bosworth (Edmund): **Les Dynasties musulmanes**, traduit de l'anglais par Yvers Thoraval, ed. Sindbad, Paris, 1996.

03- Dozzy (R): **Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie**, Leyde, 1932, Tome III.

04- Dufourca (Charles Emmanuel): **La vie quotidien dans l'Europe médiéval sous la domination arabe**, Hachette, Paris, 1987.

05- **Encyclopédie de l'Islam,** 2ème édition, Leiden, Paris, T. III.

06- Montran (Robert): **L'Espagne Musulmane**, Paris, 1992.

الدوريات والملتقيات:

1- " **أبو عمران الشيخ،** ابن رشد وبعض المفكرين المعاصرين له"، (ملتقى دولي تحت عنوان الحضارة الإسلامية بالأندلس في ق 8هـ/12م، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2007).

2- "**إبن إبراهيم سالم،** الإمام أبو بكر العربي، العطاء والرحلات"، (ملتقى دولي تحت عنوان الحضارة الإسلامية بالأندلس في ق 8هـ/12م، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2007).

3- "**ابن حمادي عمر،** من مشاكل كتاب المعيار للونشريسي، نسبة الفتاوي إلى أصحابها والظروف التي حفت بإنجازه وظهوره"- (مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس ، 2001، العدد الخامس والعشرون).

4- "**بنستباع مصطفى،** ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي، "الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الخامس، تحت عنوان العلوم الشرعية".

5- "**بولقطيب الحسين،** الحياة الإقتصادية للحاف المصمودي في القرنين الخامس والسادي لهجريين، "(مجلة الإجتهاد، دار الإجتهاد، بيروت، 1993م، الجزء الأول).

6- **جمعة، شيخة،** التصوف بين الدين والسياسة خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري، الثاني عشر للميلاد، "(مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، 1419هـ/1999م، العدد الحادي والعشرون)".

7- "**الدباغ عمر،** ابن عطية المحاربي وتفسيره المحرر الوجيز" (مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية، المغرب، المحمدية، 1994، العددان، 305، 306).

8- "**المصري جميل عبد ا** "، الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس، (مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1406هـ، العددان، 70،69).

9- "**هراس مختار،** سيرورة تكون الهياكل القبلية في جدالة"، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1998، العدد الثاني عشر).

10- **مزيان عبد المجيد**، العقلانية الرشدية في علم الشريعة، مؤتمر ابن رشد من 3 إلى 8 ذو الحجة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجزائر 1393هـ/1978م، الجزء الثاني.

الفهـــــــارس

فهرس الأعلام

- أ -

ابن الأبار : ص 79، 121.
ابن الأثير : ص 23، 41، 126.
ابن أبي زرع : ص 23، 151.
الإدريسي: ص 22، 23.
إليكي يحي بن سهل: ص 24، 54.
أبو بكر بن عمر: ص 36، 44، 46، 47، 48، 49، 63، 64، 165.
أبو عمران الفاسي: ص 30، 31، 32، 42، 51.
أبي بكر بن فورك : ص 68.
أشباخ يوسف: ص 53، 193.
أفلاطون : ص 70.
بن الأحسن السجلماسي: ص 161،
أرسطو : ص 70.
الأعمى التيطلي: ص 54.
الإسفراني أبي إسحاق : ص 65، 68.
الأشعري أبي الحسن :ص 68.
ألفونسو السادس: ص 130، 131، 132، 133، 137، 143، 144، 148، 151، 154، 157.
الإسكندر الثاني: ص 127
ابن الأثر تميم : ص 29.
ابن الأسود الغساني: ص 175، 177.
بن أبي بكر سير: ص 146، 150، 159.
ابن إبان عبد ا بن عيسى بن عبد الرحمن بن دينار: ص 110.
ابن أبو بكر بن عمر إبراهيم: ص 147.

ابن أدهم عبد ا بن محمد: ص 138، 139.
الأنصاري عبد الرحمن بن صقر: ص 70.
ابن أسبط الأندلسي: ص 139.
ابن أنس مالك: ص 50، 51، 52، 53، 54، 66، 67، 107، 109، 110، 115.
ابن أبي العافية: ص 87، 94، 98، 99، 100.
ابن أصبغ أبي عبد ا محمد: ص 116.

- ب -

ابن بشكوال: ص 79، 80، 93، 110، 116، 118، 203.
ابن بسام : ص 136.
بروكلمان: ص 197.
الباقلاني أبي بكر: ص 65، 68، 103.
البيروني أبو الريحان: ص 66.
البكري أبو عبيد: ص 26، 38.
الباجي أبي الوليد سليمان بن خلف: ص68، 89، 98، 120، 135، 136
البرجي أبو الحسن: ص 76.
ابن الباذش أحمد بن خلف: ص 55.
ابن البنى أبي جعفر بن محمد: ص 177.
ابن بلقين عبد ا : ص 139، 142، 150، 153، 157.
البجائي محمد بن أبي القاسم: ص 109.
بن بية محمد محمود عبد ا : ص 179.
بالنيثيا: ص 193.
ابن بطين الأثر: ص 29.
ابن برجان: ص 71، 72

- ت -

ابن تاشفين يوسف: ص 24، 25، 47، 48، 49، 50، 61، 64، 71، 114، 123، 137، 139، 140، 141، 143، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 159، 162، 164، 165، 166، 167.

ابن تاشفين تميم بن يوسف: ص 169، 192، 196، 197.

ابن تاشفين علي بن يوسف: ص 62، 65، 68، 70، 73، 77، 103، 117، 162، 167، 168، 169، 170، 171، 177، 180، 181، 182، 183، 184، 186، 187، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199.

تاشفين بن علي بن يوسف: ص 65، 71، 77، 165، 168، 175.

اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين: ص 103، 168.

ابن تيمية: ص 77.

التادلي: ص 74.

تارسنا عبد ا بن تيفاوت: ص 29.

ابن تميم الجدالي : ص 48.

التميمي محمد بن يوسف بن عبد ا : ص 204.

التميمي محمد بن عيسى: ص 113، 114، 176، 179.

التجيبي يحي بن يزيد: ص 171.

تيولوتان بن تلكان اللمتوني: ص 29.

- ح -

ابن حيان أبو مروان خاف بن خاف: ص 128، 135.

ابن حابوس باديس: ص 153.

ابن الحديدي أبو بكر: ص 131.

حسن إبراهيم حسن: ص 74.

حسن أحمد محمود: ص 74، 142، 164.

ابن حزم أبي محمد: ص 23، 128، 134، 145، 152.

ابن الحسن الهوزني: ص 129.

ابن حزمون القرطبي: ص 91.
ابن الحاج محمد بن أحمد التجيبي: ص 88، 92، 93، 111، 119، 120، 121، 176، 179.
ابن حوقل: ص 21.
ابن الحاج منصور بن داوود الصنهاجي: ص 58.
الحطاب : ص 101، 108.
ابن حمدين أبي عبد ا : ص 62، 73، 76، 111، 175، 177، 200، 201.
ابن حمدين أبي القاسم: ص 170، 171.
ابن حمدين أبي جعفر: ص 82، 171، 190، 191.
الحكيمي: ص 112.
عمر بن الخطاب: ص 166.

- ج -

الجزولي عبد ا بن ياسين: ص 33، 34، 35، 36، 37، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 60، 64 ، 71، 146.
ابن الجد محمد بن يحي الفهري: ص 94، 120.
الجذامي يوسف بن أبي سليمان : ص 109.
الجدالي يحي بن إبراهيم : ص 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 40.
الجذلي يحي بن علي: ص 94.
ابن جبير: ص 95.

- خ -

ابن خفاجة الأندلسي: ص 178.
الخشني عبد ا بن محمد: ص 92.
الخزرجي أحمد بن عبد الرحمن: ص 92.
ابن خيرة الأموي: ص 86، 90، 118.

ابن خلدون :ص 23، 25.
ابن الخطيب : ص 196.
ابن خاقان: ص 135.
ابن خير الإشبيلي : 110، 111.

- د -

ابن دحية الكلبي: ص 24.
دوزي: ص 193.
ابن دعموم الغرناطي عثمان بن علي: ص 109.
ابن دلهاث أحمد بن عمر العذري الدلائي: ص 86، 89، 100، 101.
ابن داود محمد: ص 189.

- ر -

ابن رميلة القرطبي: ص 145.
ابن رشيق أبو الحسن: ص 125.
ابن رذمير ألفونسو المحارب: ص 97، 191، 192، 193، 194، 195، 198.
ابن الرفيع التونسي إبراهيم بن حسن : ص 112.
ابن رزق الأموي أبو جعفر : ص 85، 87، 90، 91، 94، 98، 105.
ابن رشد الجد: ص 62، 68، 79، 80، 81، 82، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 134، 136، 146، 162، 169، 171، 175، 179، 180، 181، 183، 184، 185، 186، 187، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203.
ابن رشد الحفيد : ص 67 ، 79، 81، 82، 83، 182.
ابن رشد أبي القاسم أحمد : ص 82، 171، 176، 182، 203.

الرشاطي محمد : ص 24، 25.

يحي بن رواد: ص 187.

الركابي جودت: ص 53.

ابن رشد الوالد احمد بن محمد: ص 85.

- ز -

ابن زيدون: ص 139.

ابن زيدي تميم بن بلقين : ص 150، 154.

ابن زعزاع: ص 23

ابن زيري معنصر بن معز: ص 48.

ابن زلو اللمطي: 31، 32، 34، 35، 42، 50، 71.

- س -

ابن سينا: ص 66، 70

ابن سير وجداي بن عمر: ص 170.

ابن سعيد المقرئ: ص 56.

السلفي أبو الطاهر أحمد بن محمد: ص 120.

ابن سعيد القرطبي: ص 91.

ابن سكيم الجوهر: ص 35.

ابن سراج الأموي عبد المالك: ص 87، 89.

ابن سهل أبو الأصبغ عيسى: ص 154، 157.

- ش -

الشقندي: ص 54

الشريف الحسيني: ص 198.

الشيباني عبد ا عيسى: ص 57.

- ص –
الصنهاجي خلوف بن خلف: ص 171.
الصنهاجي ميمون بن ياسين: ص 58.
الصدفي أبي علي: ص 62، 71، 178.
- ض –
الضبي: ص 180.
- ط -
الطرطوشي أبو بكر: ص 60، 61، 64، 75، 119، 156.
ابن الطلاع أبو عبد ا : ص 88، 90، 91، 95، 96، 115، 166.
الطحاوي: ص 102، 112.
الطرابلسي حاتم بن محمد: ص 86، 88، 89.

- ع -
ابن عذاري: ص 23، 108، 114، 186، 189، 194، 195، 199.
ابن عبدون التجيبي: ص 173، 174.
ابن عطية المحاربي: ص 56، 98، 152.
العذري أبو مروان: ص 145.
ابن عتاب عبد الرحمن بن محمد: ص 92، 119، 120.
ابن عثمان الرعيني الأندلسي: ص 112.
أبي العباس الكناني: ص 100.
ابن عتاب أبي عبد ا محمد: ص 85، 86.
ابن العربي المعافري: ص 24، 56، 62، 64، 68، 72، 119، 120.
ابن عبد العزيز أشهب: ص 107.
ابن العريف الصنهاجي: ص 71، 72، 178
ابن العسال عبد ا بن فرج: ص 119، 133.
ابن عذراء سليمان: ص 46.

ابن عظيمة محمد بن طفيل العبدري: ص 55، 118.
العتبي محمد بن عينة:ص 102، 107.
ابن عمر يحي: ص 36، 37، 38، 39، 43.
ابن عبد البر أبو عمر يوسف: ص 23، 85، 87، 89، 98، 139.
ابن العواد هشام ابن أحمد: ص 91، 178.
ابن عبد الحق الإشبيلي: ص 67.
عنان عبد ا : ص 53، 74، 126.
ابن عبادة الأنصاري: ص 120.

- غ -

الغساني الحسين بن محمد : ص 89، 99، 100، 119.
الغزالي أبو حامد: ص 65، 67، 73، 74، 75، 76، 156، 166، 200، 201، 202.

- ف -

الفارابي أبي نصر: ص 70.
ابن فرحون: ص 98.
الفارسي سليمان: ص 64.
بن فتحون الأريولي: ص 120.

- ق -

ابن القطان: ص 73، 85، 88، 199.
ابن القاسم أبو عبد ا   العتقي: ص 107.
القادر بن ذي النون: ص 131، 147.
ابن القصيرة أبو بكر: ص 143، 145.
ابن القليعي أحمد: ص 152، 153، 154.
أبو القاسم بن أحمد القنطري: ص 111.
أبو القاسم بن أحمد القيسي: ص 112، 119.
ابن قزمان القرطبي عبد الرحمن: ص 114.

ابن قسي: ص 71.
قيسي أبو محمد عبد ا   بن أحمد: ص 169.

- ك -

ابن الكردبوس: ص 133.
الكناني محمد بن هارون: ص 112.
ابن الكلبي: ص 23.

- ل -

اللمتوني سير بن أبي بكر: ص 48.
اللخمي محمد بن إبراهيم: ص 23، 171.
الليثي يحي بن أبي إسحاق: ص 109.

- م -

الميورقي أبو بكر بن الحسين: ص 72.
المقري: ص 69، 79.
ابن ملجوم: ص 145، 155.
المستعين أحمد بن هود: ص 162.
المعتضد بن عباد: ص 130.
المصمودي عبد الملك: ص 144.
المصمودي أبو محمد يعلى: ص 144.
ابن مسرة عبد الملك: ص 97، 115، 202.
ابن محمد الصقلي عبد الحق: ص 85.
ابن المناصف محمد بن أصبغ: ص 176، 177.
المرادي أبو بكر محمد: ص 63، 64، 68.
المغراوي لقوط بن يوسف: ص 45.
المزدلي مدرك التلكاني: ص 48.

ابن مغيث يونس بن عبد ا   : ص 86، 88، 120.
ابن موسى الكلبي أبو الحجاج: ص 68.
المنصور الموحدي: ص 81.
المستظهر با   : ص 66.
المراكشي بن عبد الملك: ص 79.
مخلوف: ص 93، 118.
أبي محمد مكي بن أبي طالب: ص 88، 99.
ابن مفوز: ص 87، 142، 160.
المازري محمد بن عمر : ص 89، 119.
المعتصم بن صمادح: ص 142، 160.
المراكشي عبد الواحد: ص 54، 58.
المعتمد بن عباد: ص 127، 132، 138، 139، 140، 141، 143، 147، 148، 149، 150، 159، 161.
المتوكل بن الأفطس: 132، 136، 137، 142، 160.
المظفر بن أفطس: ص 135، 139، 161.
المنصور بن أبي عامر: ص 141.
المأمون بن ذي النون: ص 131.
المسوفي عمر بن سليمان: ص 48.

- ن -

النفزاوية زينب بنت إسحاق: ص 45.
النفزي أبو عبد ا   محمد: ص 120.
ابن نعمة عبد ا   بن خلف: ص 56، 120.
النحوي أبو الفضل: ص 76.
النبهي: ص 62، 79.
ابن نافع: ص 107.

- هـ -

الهروي أبو عبد ا : ص 86.

الهمذاني: ص 23.

- و -

ابن وانودين مسعود: ص 43

ابن الوزان: ص 79، 111، 118، 194، 202، 203.

ابن ورد أبو القاسم: ص 56، 76، 119.

ابن وهيب: ص 70.

- ي -

ابن يحي الفراء: ص 166.

اليحصبي عياض بن موسى: ص 52، 53، 57، 64، 68، 76، 93، 98، 101، 108، 110، 116، 120، 174، 175، 184، 201، 202، 203.

ابن يعيش أبو الحسن: ص 119.

اليافعي: ص 93.

فهرس الشعوب والقبائل والطوائف

- أ -

الأشعرية ص 69، 102، 103.

إخوان الصفا وخلان الوفا : ص 66، 70.

بنو إبراهيم : ص 21.

بني الأفطس: ص 160، 161.

- ب -

البربر: ص 25.

برغواطة: ص 31، 33، 39، 45، 46.

بني الباجي : ص 80.

- ت -

بنو تاشفين: ص 21.

- ح -

حمير: ص 25.

بني حماد: ص 50.

بني حمدين: ص 80.

الحنفية: ص 106.

- ج -

جدالة: ص 21، 28، 29، 30، 34، 37.

جزولة: ص 21، 26، 33، 34.

بنو جهور: ص 124.

- خ -

الخوارج : ص 50.

- ذ -

بنو ذي النون : ص 131.

- ر -

بني رشد: ص 80، 81، 82، 84.

- ز -

زناتة : ص 31، 39، 40، 45، 49، 50، 51.

بنو زيري: ص 50.

بني زهر: ص 80.

- س -

بني سليم: ص 21

السنة: ص 50.

- ش -

الشيعة: ص 32، 39، 50.

الشافعية: ص 106.

- ص -

صنهاجة: ص 21، 23، 25، 26، 29، 30، 40،

بنو صمادح: ص 124.

الصوفية: ص 70، 71، 75، 77.

- ع -

بني عباد: ص 124.

العباسيين: ص 59.

- غ -

غمارة: ص 39، 48.

- ق -

القدرية: ص 102.

- ك -

علم الكلام: ص 65، 105.

- ل -

لمتونة: ص 21، 23، 28، 37، 46، 49، 60.

لمطة: ص 21، 23، 26.

لواتة: ص 46.

- م -

مسوفة : ص 21، 28، 37، 46.

مسراتة: ص 21.

مداسة : ص 21

المرينيين: ص 25

الموحدين: ص 25.

المرابطون: ص 25، 27، 33، 34، 36، 37، 39، 40، 41، 44، 45، 46، 47، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 67، 68، 72، 73، 74، 77، 116، 117، 121، 123، 131، 136، 137، 138، 140، 141، 144، 174، 148، 151، 153، 158، 159، 161، 162، 164، 165، 171، 173، 190.

مغراوة : ص 48، 51.

مصمودة : ص 33.

ماسة : ص 44.
المعتزلة: ص 70
المذهب المالكي: ص 28، 50، 51، 52، 54، 55، 58، 59، 70، 80، 91، 92، 94، 95، 103، 109، 111، 117، 119، 165، 167، 168.
بنو محمد: ص 21، 77.
بنو منصور: ص 21.
بني مغيث: ص 80

- هـ -

هيلانة: ص 44.
الهلاليين: ص 21، 26، 40، 137.

- و -

وريكة: ص 44.
بني وانودين: ص 42.

- ي -

اليوناني: ص 66.

فهرس الأماكن والمواضع

- أ -

أراغون: ص 123، 192
أوروبا : ص 126
أريولة: ص 120
أزوكي : ص 26
إسبانيا: ص 126
الإسكندرية : ص 73، 120
إشبيلية: ص 58، 80، 83، 103، 124، 130، 132، 138، 139، 141، 159، 160، 175، 183، 184، 196.
أشبونة: ص 135، 160
أغمات: ص 45، 46، 160.
إفريقيا: ص 21، 123، 138، 140.
الأندلس: ص 27، 28، 50، 51، 52، 53، 54، 57، 58، 66، 70، 72، 73، 80، 84، 87، 90، 91، 92، 93، 94، 97، 100، 101، 104، 111، 115، 117، 119، 123، 127، 131، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 140، 142، 143، 144، 145، 147، 149، 154، 155، 156، 157، 161، 162، 164، 166، 167، 168، 169، 171، 177، 179، 180، 182، 183، 184، 186، 188، 191، 192، 194، 195، 197، 198، 200.
أوليل: ص 26
أودغشت: ص 28، 33.
الإبرو (نهر): ص 27.

- ب -

بجاية: ص 117.

بلنسية:ص120، 134، 147، 192.
برشلونة : ص 123.
بربشتر: ص 129، 135، 136.
بغداد: ص 135.
بطيليوس: ص 124، 132، 137، 139، 142، 143، 147، 160، 161.

- ت -

تبلبالة: ص 28.
تادلة: ص 45.
تارودنت: ص 44.
تازكرت: ص 23.
تلمسان: ص 49.
تمبكتو: ص 27
تنس: ص 49.

- ح -

الحجاز: ص 86، 135.

- ج -

جبل طارق: ص 50.
الجزائر : ص 50
الجزيرة الخضراء: ص 139، 141، 149، 161.
جنى:ص 28.
جيان: ص 120.

- خ –

خرسان: ص 86.

- د -

درعة: ص 22، 42، 43، 61.
درن: ص 44.
دمشق: ص 136.
دانية: ص 134، 142.

- ر –

فحص الرنيسول: ص 192.

- ز -

الزلاقة: ص 140، 143، 144، 145، 146، 151، 153، 154.

- س -

سينغال (نهر): ص 27.
السوس (وادي): ص 22
سبتة: ص 49، 113، 114، 117، 120، 123، 146، 172.
سرقسطة: ص 80، 124، 131، 143، 162، 192.
سجلماسة: ص 41، 42، 43، 61، 161.
سلا: ص 196.
السينغال: ص 22.
السوس: ص 26، 31، 32، 44، 47، 50، 158.
السودان: ص 26، 27، 28، 29، 38، 47، 49.

- ش -

شنترين: ص 135، 160.
شاطبة: ص 86، 134.
الشام: ص 51.
شنتمرية الغرب: ص 160.

- ط -

طليطلة: ص 130، 131، 132، 133، 137، 144، 151.

طنجة: ص 49، 172

– ع –

العراق: ص 51، 86.

- غ -

غرناطة: ص 119، 125، 139، 142، 150، 151، 153، 157، 158، 159، 175، 183، 187، 192، 193، 194، 195، 196.

غانة: ص 27، 28، 38.

- ف -

فازاز (جبل): ص 26، 46.

فاس: ص 32، 45، 177، 179.

- ق -

القيروان: ص 31، 50، 51، 117.

قشتالة: ص 123، 133، 150، 151، 157.

قرطبة: ص 62، 73، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 88، 89، 91، 100، 102، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 124، 134، 137، 138، 139، 142، 146، 171، 175، 176، 177، 179، 180، 182، 183، 184، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 194، 202، 203.

قتندة: ص 71

- ل -

ليون: ص 123.

لورقة: ص 147، 151.

ليط: ص 148، 149، 151، 153.

- م -

مكة: ص 86

المشرق: ص 56، 58، 66، 73.

مصر: ص 52.

مراكش: ص 50، 72، 117، 144، 145، 159، 171، 172، 177، 183، 188، 191، 194، 195، 197، 198، 199، 202.

مرسية: ص 62، 144، 148، 149، 150، 177، 178، 192،

المرية: ص 124، 142، 149، 179.

المغرب: ص 21، 26، 27، 28، 29، 39، 40، 42، 47، 49، 50، 51، 52، 64، 66، 67، 68، 73، 90، 91، 92، 93، 103، 104، 111، 115، 117، 137، 139، 146، 147، 149، 158، 159، 160، 162، 164، 166، 169، 179، 180، 191، 194، 198.

مالقة: ص 142، 149، 150، 158، 196.

مليلة: ص 49.

مكناسة: ص 46، 196.

موريطانيا: ص 21، 22.

الموصل: ص 135.

بلاد المصامدة: ص 44، 47.

المدينة: ص 51، 52.

- ن -

النول: 23.

نفيس: ص 33، 44، 71.

- و -

وهران : ص 149.

- ي -

اليسانة: ص 81.

فهرس المحتويات

المقدمة 05

الفصل الأول: العلماء والدولة المرابطية

I- دور العلماء في تأسيس دولة المرابطين 21
1- أصل المرابطين 21
2- بداية ظهورهم 29
3- عبد ا بن ياسين ودوره في قيام دولة المرابطين 33
4- تواصل جهود عبد ا بن ياسين وظهور يوسف بن تاشفين 46
II- أثر العلماء في الاتجاه الفكري للدولة 50
1- المذهب الفقهي للمرابطين 50
2- منهج العلماء في الحكم 58
أ) البيعة 59
ب) الشورى 60
ج) القضاء 61
3- مذهب العلماء العقائدي وموقفهم من التصوف 65
أ) مذهبهم العقائدي 65
ب) موقفهم من التصوف. 70

الفصل الثاني: ابن رشد الجد ومكانته العلمية

I- نشأته 79
1- التعريف به 79
2- أسرته 80
3- تكوينه العلمي 84
II- مكانته العلمية 90
1- ابن رشد 90
أ- الفقيه (مكانة ابن رشد الفقهية بين معاصريه) 90

ب- اللغوي 98
ج- المحدث 100
د- المتكلم 102
2- إنتاجه العلمي 104
3- مشيخته العلمية 113

الفصل الثالث: الأثر السياسي للعلماء بالأندلس

I- أوضاع الأندلس عند قيام دولة المرابطين 123
1- تشتت الوحدة الأندلسية 123
2- دور العلماء في الدعوة إلى الوحدة. 134
3- دور العلماء في الإستنجاد بالمرابطين... 137
II- المرابطون بالأندلس 140
1- دور العلماء في موقعة الزلاقة 140
2- دورهم في توحيد العدوتين وإسقاط أمراء الطوائف........................... 146

الفصل الرابع: العلماء في مواقع النفوذ والسلطة

I- مكانة علماء الأندلس عند المرابطين 164
II- الفقهاء ووظيفة القضاء 169
III- ابن رشد الجد والسلطة السياسية 180
1- ابن رشد القاضي 181
2- ابن رشد السياسي... 186
أ) ثورة أهل قرطبة سنة 515 هـ / 1122م 186
ب) سفارته إلى مراكش 520هـ / 1126م.. 191
- تغريب النصارى المعاهدين 191
- إشارته على أمير المسلمين تسوير مراكش والمدن الأندلسية........................ 198
ج) موقفه من إحراق كتاب الإحياء للغزالي.. 200

IV- وفاته 202
الخاتمة 206
الملاحق 210
المصادر والمراجع 222
فهرس الأعلام 245
فهرس الشعوب والقبائل والطوائف 256
فهرس الأماكن والمواضع 260
فهرس المحتويات 265